
وميض الفكر
مجلة نصف سنوية علمية محكمة

h_imamomais@hotmail.com
wameed.alfkr@gmail.com

مجلة "وميض الفكر" للبحوث هي مجلة علمية محكمة
نصف سنوية مؤقتاً العدد واحد حزيران 2018




**التعريف:**

هي مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير علم وخبر 1193/أ.د

وهي مرخصة من قبل وزارة الإعلام (بعد استشارة وموافقة نقابة الصحافة اللبنانية ) تحت رقم 928

والمنشور في الجريدة الرسمية بقرار 475/2018،

وحائزة على ISBN-978-6344024546من وزارة الثقافة اللبنانية.

يرأس تحريرها: الدكتورة هيفاء سليمان الإمام

يعنى بنشرها وتوزيعها دار النهضة العربية –بيروت



دار النهضة العربية

**مجلة "وميض الفكر" للبحوث**

**مجلة علمية محكمة نصف سنوية مؤقتاً**

**العدد واحد حزيران 2018**



**الاتصال والمراسلات:**

هواتف المجلة: 009613691425فاكس المجلة: 009618630280

البريد الإلكتروني:wameed.alfkr@gmail.com

h_imamomais@hotmail.com

الإشتراكات: لبنان والدول العربية 100 $ سنوياً ، باقي دول العالم 125 $ سنوياً.

# فهرس المحتويات

## الهيئة العلمية والاستشارية

1. **أ.د. علي مهدي زيتون:**
جامعة المعارف، رئيس مجلس الأمناء فيها، ورئيس الملتقى الثقافي الجامعي ورئيس قسم اللغة العربية في الجامعة اللبنانية.
2. **أ.د. محمد علي القوزي:**
جامعة بيروت العربية، رئيس قسم التاريخ وأستاذ التاريخ الحديث والمعاصر فيها.
3. **أ.د. حسان حلاق:**
جامعة بيروت العربية، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في كلية الأداب والعلوم الإنسانية، ومؤرخ بيروت المحروسة.
4. **أ.د. عبد المجيد عبد الغني:**
رئيس الجامعة الأمركية للثقافية والتعليم، وخبير دولي في تطوير التربية والتعليم وتنمية المهارات والتخطيط التربوي والاستراتيجي.
5. **أ.د. محمد توفيق أبو علي:**
الجامعة اللبنانية، عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية سابقاً وأستاذ اللغة العربية فيها.
6. **أ.د. أحمد فارس:**
كلية الدعوة الإسلامية في بيروت، وأستاذ اللغة العربية والآداب في جامعة بيروت العربية.
7. **أ.د. نشأت الخطيب:**
الجامعة اللبنانية أستاذة في التاريخ الوسيط ورئيسة قسم التاريخ سابقاً.
8. **أ.د. عفيف عثمان:**
أستاذ الفلسفة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية.
9. **أ.د. وجدان فريق عناد:**
جامعة بغداد، أستاذة التاريخ الوسيط فيها ورئيسة مركز التراث العلمي العربي في العراق.
10. **أ. د. فاتن المر:**
أستاذة اللغة الفرنسية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية.
11. **د. هالة أبو حمدان:**
أستاذ مساعد في مادة القانون في كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية.
12. **د. فدوى الخطيب:**
أستاذ مساعد في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية.

## الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير

**1.أ. د. نشأت الخطيب،**

دكتوراه في التاريخ وماجستير في الحقوق ومتقاعدة برتبة أستاذ دكتور من الجامعة اللبنانية.

**2.أ. د. لميس حيدر،**

استاذ دكتور في الجامعة اللبنانية مادة اللغة العربية وآدابها

**3.أ. د. لينا زيتون،**

أستاذ دكتور في الجامعة اللبنانية في مادة اللغة العربية وآدابها

**4. د. فدوى الخطيب:**

دكتوراه في الأدب العربي وأستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية.

**5. د. راغدة المصري:**

دكتوراه في التاريخ الوسيط، أستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية

**6.د. هيفاء الإمام،**

دكتوراه في التاريخ الاسلامي وصاحبة مكتبات واستاذة جامعية

**7. د. علا آغا،:**

دكتوراه في الأدب العربي ورئيسة جمعية الحكيم الخيرية ومديرة شركة معدات طبية.

**8. د. ندى الرمح:**

دكتوراه في التاريخ الإسلامي، واستاذة جامعية

**9. د. هبة الحشيمي:**

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، وأستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية.

**10.د. مروة الحاج يوسف:**

بكالوريوس صيدلة، واجتازت امتحان الكولوكيوم بتميز

**11.د. ندى شحادة،**

بكالوريوس في علم الصيدلة وصاحبة صيدلية

**12.م. لمياء القادري:**

مهندسة بترول وأستاذة في مؤسسات الغد الأفضل.

**13.أ. لينا عبد الغني**

ماجستير في تربية وأستاذة في مؤسسات الغد الأفضل

**14.أ.  إلسي جان ابو صالح:**

ماجستير في الحقوق، وموظفة إدارية في الجامعة اللبنانية الدولية، (مؤسسات الغد الأفضل).

**15.أ. أسمهان الإمام :**

مديرة مكتب لتحويل أموال

**16.أ. أمية الإمام:**

إجازة في اللغة العربية والأدب وأستاذة في التعليم الخاص.

**17.أ. حسانة ابو ذيب:**

ماجستير في العلوم الإجتماعية واستاذة جامعية ومديرة مكتبة ومركز ثقافي في قب الياس– البقاع.

**18.المحامية رولى آغا :**

محامية بالإستئناف،

**19.أ. شفيقة حرب،**

إجازة مهنية في علم الحاسوب وأستاذة في مؤسسات الغد الأفضل

**20.أ. غادة برشان:**

ترجمان محلف، وماجستير في اللغة الفرنسية واستاذة جامعية

**21.أ. سارية عمر ايوب:**

إجازة في علوم الحياة وتحضر ماجستير حاليا واستاذة في مؤسسات الغد الأفضل.

**22.أ. مريم حاطوم،**

إجازة في اللغة العربية وناظرة في مؤسسات الغد الأفضل

**23.أ. نسرين شمص،**

دبلوم في الحقوق واستاذة في التعليم الثانوي

**24.أ. نسرين شميطلي،**

إجازة في الإدارة ومحاسبة واستاذة في التعليم الثنوي والمهني

## قواعد النشر

## قواعد النشر في مجلة وميض الفكر للبحوث

ترحّب المجلة بنشر الأبحاث والدراسات العلمية المتخصصة ذات الصلة بالعلوم التربوية واللسانيات والأدب والنقد المقارن والدراسات الفكرية والفلسفية والاجتماع والجغرافيا والفنون والتراث الشعبي والأنثروبولوجيا والآثار. وتتصدى المجلة بالبحث الرصين والتحليل العلمي الموضوعي لأهم الظواهر التي تقع تحت مظلة العلوم الإنسانية.

### أولاً: قواعد عامة:

- تنشر المجلة الأبحاث والدراسات الأكاديمية الأصيلة، وتقبل للنشر فيها الأبحاث المكتوبة باللغة العربية، أو اللغة الإنجليزية أو الفرنسية التي لم يسبق نشرها، وفي حالة القبول يجب ألا تنشر المادة في أي دورية أخرى دون إذن كتابي من رئيس التحرير.
- تنشر المجلة الترجمات، والقراءات ومراجعات الكتب، والتقارير، والمتابعات العلمية حول المؤتمرات، والندوات، والنشاطات الأكاديمية المتصلة بحقول اختصاصها، كما ترحب بالمناقشات الموضوعية لما ينشر فيها، أو في غيرها من المجلات، والدوريات، ودوائر النشر العلمي.

### ثانياً: الأبحاث أو المقالات:

- ترسل البحوث مطبوعة مصححة بصورتها النهائية على قرص ممغنط يتضمن البحث، والخلاصة باللغات العربية والإنجليزية أو العربية والفرنسية. ويمكن إرسالها عبر البريد الإلكتروني للمجلة.
- توجّه جميع المراسلات باسم رئيس تحرير المجلة أو الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير، لبنان – البقاع / شتورا.
- يقدّم الأصل مطبوعاً على الحاسوب وذلك باستخدام نظام الـWord 2003 ، مع الالتزام بنوع الخط (Simplified Arabic) وحجم الخط (size 14)، التباعد بين السطور (1 سم) على ألا تزيد عدد صفحاته عن 20 صفحة مطبوعة (أو مكتوبة بخط واضح) مضبوطة ومراجعة بدقة، وترقّم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول، والأشكال.
- تطبع الجداول، والصور، واللوحات على أوراق مستقلة، ويشار في أسفل الشكل إلى

مصدره، أو مصادره، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

- يذكر الباحث اسمه وجهة عمله على ورقة مستقلة، ويجب إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى، وعليه أن يشير فيما إذا كان البحث قد قدم إلى مؤتمر، أو ندوة وأنه لم ينشر ضمن أعمال المؤتمر.
- يمنح الباحث نسختين من العدد الذي يتضمن بحثه، كما يمنح أصحاب المناقشات، والمراجعات والتقارير، وملخصات الرسائل الجامعية نسخة من العدد الذي يتضمن مشاركاتهم.
- يسدد الباحث رسماً رمزياً قيمته 100 دولار أميركي مقابل نشر البحث، أو يساهم في شراء وتوزيع عشرين نسخة من العدد الوارد فيه بحثه.

## ثالثاً: المصادر والحواشي:

- يشار إلى جميع المصادر بأرقام الحواشي التي تنشر في اسفل الصفحة أو في أواخر البحث، ويجب أن تعتمد الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة بحيث تتضمن:

اسم المؤلف، وتاريخ النشر، وعنوان الكتاب، أو المقال، واسم الناشر، أو المجلة، ومكان النشر إذا كان كتاباً، والمجلد، والعدد، وأرقام الصفحات إذا كان مقالاً.

- يزود البحث بقائمة للمصادر منفصلة عن الحواشي، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية، ويراعى في إعدادها الترتيب الألفبائي لأسماء المؤلفين.

**ملاحظة:** إن الأفكار والآراء المطروحة والمتداولة في صفحات المجلة لا تعبر بالضرورة عن خيارات واتجاهات تتبناها المجلة، بل إنها تخص الكاتب وحده مع احترام حق الرد والرد عليه إن كان ذلك مناسباً.

كما أن المجلة لا تتحمل تبعات أي موقف قد يثير إشكالاً في مادة البحث، والباحث هو المسؤول عن كل ما يكتبه أمام القانون.

## إفتتاحية العدد:



**بقلم: مؤرخ بيروت المحروسة الأستاذ الدكتور حسان حلاق**
أستاذ في كلية العلوم الإنسانية في جامعة بيروت العربية
hassanhallak06@hotmail.com

شهد لبنان منذ العهد العثماني ولادة الكثير من الصحف والمجلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والأدبية والعلمية. كما شهد في عهود الانتداب الفرنسي وعهود الاستقلال الكثير من إصدارات الصحف والمجلات، وقد كان لهذه الصحف والمجلات والدوريات العلمية أثر واضح في نشر الثقافة والمعارف، بل وفي نشر الوعي الوطني والقومي لاسيما وأن لبنان تميز عن باقي الدول العربية بحرية الصحافة التي كفلها الدستور اللبناني.

وفي الوقت الذي انتشرت فيه وسائل الاتصال الحديثة من إذاعة وتلفزيون وإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، وبات الخبر والمعلومة والحدث يصل إلى المواطن أسرع من البرق، شهدت الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا وبعض الدول العربية، بما فيه لبنان إقفال بعض الصحف والمجلات والدوريات بسبب المنافسة الشديدة بين الصحافة الإلكترونية ووسائل الاتصال الحديثة، وبين وسائل الأعلام التقليدية.

وفي الوقت الذي تشهد الساحة اللبنانية والعربية والدولية هذه التحولات المفصلية في تاريخ الصحافة المكتوبة، فإذا **بالدكتورة هيفاء الإمام** تتحدى كل هذه الصِعاب الأعلامية والمادية، وتقرر إصدار دورية علمية محكمة باسم "وميض الفكر" للبحوث بعد أن نالت

الترخيص الرسمي، والذي نشر في الجريدة الرسمية في لبنان في حزيران (يونيو) عام 2018.

وها هو العدد (الأول) بين أيدي القراء في لبنان والعالم العربي متضمناً مجموعة من المقالات والبحوث والدراسات العلمية والأكاديمية، معتمدة التقييم والتحكيم لجميع هذه البحوث استناداً إلى المعايير العلمية المعتمدة في الدوريات العلمية العربية والأجنبية.

تأتي "وميض الفكر" في ساعة مهمة من حياتنا العلمية والبحثية، ليس لأنها دورية تتميز بالجدية والرصانة فحسب، ولكن لأنها تأتي في مرحلة مهمة للغاية، لأن جميع الباحثين الجديين يبحثون اليوم عن دورية علمية غير ربحية لنشر بحوثهم ودراساتهم ومقالاتهم العلمية، في دورية محكمة، ولها تصنيف علمي.

لذلك، لابد من توجيه التقدير **للدكتورة هيفاء الإمام** على خطوتها الجريئة، ونبارك لوميض الفكر ولأنفسنا ولجميع الباحثين الذين انتظروا طويلاً إصدار مجلة لبنانية محكمة ومصنفة ومحترمة.

**أ.د. حسان حلاق**

## كلمة العدد:



**بقلم رئيسة التحرير:**

الدكتورة هيفاء سليمان الإمام

### أعزائي القراء

في العدد الأول من مجلة وميض الفكر للبحوث، والذي يحمل الرقم (واحد) بعد العدد التجريبي (صفر)، قمنا مع ثلة من الباحثين والأساتذة ببذل الكثير من الجهد من أجل الوصول بهذه المجلة إلى المستوى الأمثل.

وعلى الرغم من أن المجلة تصدر في ظل أوضاع صعبة، وتعاني من بعض القصور في الإمكانات لكي تصبح منبراً لكل الباحثين، وذلك بأنها لا تزال تفتقر إلى زخم التواصل مع الباحثين ومع القراء في العالم العربي، إلا أننا نعد القارئ بأن يشهد في الأعداد القادمة المزيد من العمل من أجل تخطي النواقص والعقبات ووضع المجلة في الإطار الذي رسم لها منذ البداية، في السعي الدائم إلى تطبيق المعايير العالمية للنشر البحثي القيم.

من هنا أضع بين أيديكم مجموعة من الأبحاث الأصيلة والمقالات المتنوعة، والتي بدأناها بباب مخصص **لشخصية العدد** وقد تم اختيار **المفكر عبد الوهاب المسيري** الذي اشتهر برؤيته الفلسفية الحضارية المتعددة الأبعاد، لمشروع تأسيسي تجديدي رسم فيه ملامح حداثة إسلامية. وتبرز أهمية دراسة مشروع المسيري الفكري في الذكرى العاشرة لرحيله – تموز

2018 – وطرح رؤيته الجديدة في تأصيل ورصد ظاهرة الصهيونية ووظائفها في إطار فكر الحداثة، وعلاقتها بالنازية، والتلاعب بقضية الإبادة، وصولاً إلى حتمية زوال إسرائيل. تشكل رؤيته خريطة طريق لكيفية الانتصار على الكيان الصهيوني، في وقت تحاك فيه المؤامرات على مدينة القدس، لتهويدها وطمس قضيتها وتزييف هويتها التاريخية والعربية.

كما تطرقنا في هذا العدد إلى بحث من التراث الإسلامي متخصص في علم الملاحة حيث لفت إلى مقدار التطور التي بلغته الحضارة الإسلامية في هذا الجانب.

وفي باب التاريخ أيضاً تناول هذا العدد من مجلة ومیض الفكر دراسة السمات التاريخية البارزة في لبنان، وأبرز القضايا الجداليّة، تتصدرها التجاذبات التي حصلت على مستوى تسمية لبنان وحدوده، وما يحفُّ بها من تحولات لامست الكيان السياسي المتغير.

ومن جهة أخرى كان البحث في موقف الولايات المتحدة الأمريكية من العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، بعد تأميم قناة السويس، واتفاق فرنسا وبريطانيا وإسرائيل على شن العدوان على مصر آنذاك . كما تم عرض موجز عن التحولات السياسية في سوريا من 1920 إلى 1946 وقد تم فيه استعراض أهم المحطات والمنعطفات منذ إعلان الانتداب الفرنسي على سوريا عام ١٩٢٠ .

وفي باب الجغرافيا قامت مجموعة من الباحثين بدراسة ميدانية لمقارنة الطرق المختلفة لتحديد الطريقة الأكثر ملاءمة لمنطقة سهل البقاع، الذي يقع على تخوم المناطق القاحلة وشبه القاحلة. استندنا في احتساب مؤشر التبخر في سهل البقاع (قضاء زحلة)، على معطيات مناخية (الحرارة والرطوبة النسبية) لمحطات كسارة ورياق وتربل، وذلك للفترة الممتدة من سنة 1998 حتى 2011.

وفي باب النقد الشعري والأدبي قام باحث بدراسة البنيّة الإيقاعية في الشّعر العربي، وقدم باحث آخر بحثاً يدور على حركة التجديد في الشعر العربي، بحيث ينتقل القارئ إلى عوالم جديدة في الشعر والأدب أضاء عليه الباحث من خلال دراسته لقصيدة الشاعر الثائر على التقليد أدونيس الموسومة بـ"هذا هو اسمي".

كما أحببنا في هذا العدد أن نسلّط الضوء على قصة تأسيس اليوم العالمي للشعر الذي انطلق من باريس حيث اجتمع الشعراء الثلاثة (درويش والمناصرة وطوقان) بتاريخ (15/05/1997)، وتفاهموا حول فكرة (المبادرة الفلسطينية لتأسيس اليوم العالمي للشعر)، فأرسلوا إلى مدير عام اليونسكو الدولية وطالبوا بتخصيص يوم عالمي للشعر في نهاية الرسالة.

وبالإضافة إلى النقد الشعري كان هناك نقد روائي لرواية "أناه" وهي رواية إيرانية تحكي تعايش مختلف الطبقات الاجتماعية في عهد الشاه.

وفي باب اللغة الإنكليزية تم تقديم مقالة استكشافية وموحية أكثر من كونها شاملة وحاسمة. وتبحث في مجموعة متنوّعة من الطرق التي يمكن بواسطتها تضمين مبادئ الأرض في منهاج اللغة الإنجليزية لحلقات مختلفة.

وتكريماً لذكراها وبمناسبة وفاتها في هذا العام، اخترنا الأديبة والروائية **إميلي نصر الله، كمحور للعدد واحد** من مجلة وميض الفكر.

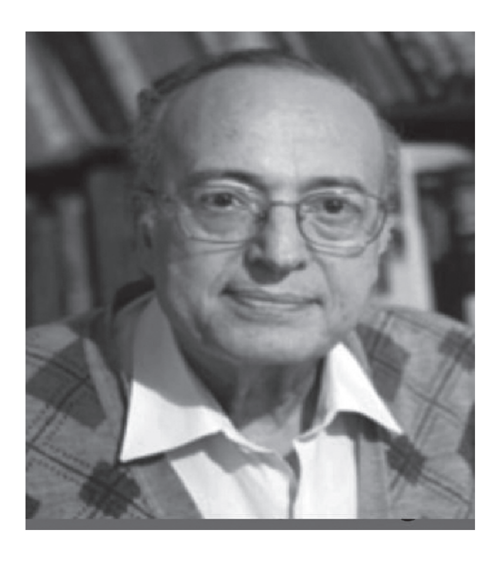
لأن إميلي نصر الله كانت قيمة وقامة، رمز وقلم، ولأنها اختصرت في شخصها كما في أدبها الكثير من الرموز والقيم، في الأصالة والرفعة، الجديّة والمثابرة، كان تسليط الضوء في مجلتنا على **أيديولوجيا كتاباتها من خلال قراءة في رواية "الرهينة"**، وتم لفت النظر إلى **لعبة الرحيل** في أدبها، وقراءة في رواية "**طيور أيلول**" في زمن الستينيات مناقشة لشخصية المرأة المكبّلة اليدين بقيود المجتمع وتقاليده .

وأخيراً، وفي **باب كتاب العدد** لا بد من تسليط الضوء على كتاب صدر في هذا العام، وقد وقع اختيارنا على ديوان "**أماليد لا ترضى اليباس**" للشاعر يحيى سليمان الإمام حيث تم نقده وشرح معانيه وتقديمه للقراء كأنموذج ثقافي عميق من قبل الأستاذ الدكتور علي مهدي زيتون.

نأمل أن تكون هذه الباقة من الأبحاث المتنوّعة كافية في هذا العدد لإرضاء كل قارئ عربي، آملين أن نورد في الأعداد القادمة كل ما يليق بذوقه وطموحه، والله ولي التوفيق.

رئيسة التحرير :د. هيفاء سليمان الإمام

## شخصية العدد:



**المفكر وعالم الاجتماع: عبد الوهاب المسيري**

## تعريف:

**عبد الوهاب محمد المسيري عاش بين عاميْ (1938 و 2008 م)**

هو مفكر وعالم اجتماع مصري إسلامي، وهو مؤلف موسوعة "اليهود واليهودية والصهيونية "أحد أكبر الأعمال الموسوعية العربية في القرن العشرين.



**المشروع المعرفي لعبد الوهاب المسيري**

(الصهيونية نموذجاً)

تقديم: الدكتورة راغدة محمد المصري

أستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية

raghidamasri@gmail.com

## ملخص:

اشتهر عبد الله المسيري بشكل واسع، من خلال رؤيته الفلسفية الحضارية المتعددة الأبعاد، لمشروع تأسيسي تجديدي رسم فيه ملامح حداثة إسلامية حديثة.

وتبرز أهمية دراسة مشروع المسيري الفكري في الذكرى العاشرة لرحيله – تموز 2018 –وطرح رؤيته الجديدة في تأصيل ورصد ظاهرة الصهيونية ووظائفها في إطار فكر الحداثة، وعلاقتها بالنازية، والتلاعب بقضية الإبادة، وصولاً إلى حتمية زوالها. تشكّل رؤيته خريطة طريق لكيفية الانتصار على الكيان الصهيوني، في وقت تحاك فيه المؤمرات على مدينة القدس، لتهويدها وطمس قضيتها وتزييف هويتها التاريخية والعربية.

ومن خلال هذه الأهمية والدور الريادي لمشروعه الفكري، تطرح مجموعة من الأسئلة تتشكل من خلالها إشكالية هذه الدراسة:

- ـ ما وظيفة الحركة الصهيونية في إطار فكر الحداثة؟
- ما العلاقة بين النازية والصهيونية والحداثة الغربية؟
- ما هي دلالاتُ رؤيته حتميّة زوال إسرائيل؟

- ما أبرز نتائج مشروع المسيري الفكري؟

**مصطلحات ومفاهيم:** الصهيونية، الحداثة، ما بعد الحداثة، الإمبريالية العلمانية، النازية، الإبادة، حداثة إسلامية.

## مقدمة:

التحق المسيري في الأربعينيات بجماعة الإخوان المسلمين لمدَّة عامين، ثم انضم لهيئة التحرير، وفي فترة دراسته الجامعية انضم للحزب الماركسي، وتأثر بقضاياه الكبرى ومنها فلسطين، وعلى مدى رحلة فكرية استغرقت أكثر من ثلاثين عاماً عاد مرة أخرى إلى الإسلام، لا كعقيدة دينية وشعائر، وإنما كرؤية للكون وللحياة ومشروع معرفي شبه متكامل، ارتكز على أمرين:

**الأول نظري:** نقد الفلسفة المادية والإمبريالية العلمانية الشاملة والحداثة، وما بعد الحداثة، حيث المراحل القصوى لتفكيك الكائن البشري وإدخاله دوامة العدمية واللامعنى والدمار النفسي والمادي. صدر له في نقد فكر الحداثة: **إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، العالم من منظور غربي، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، والحداثة وما بعد الحداثة.**

**الثاني تطبيقي:** انطلقت أسسه النظرية لمعالجة مشكلات الحداثة وما بعد الحداثة من ظاهرة الصهيونية باعتبارها جزءاً من فكر الحداثة، لتتكوّن لديه المبررات المعرفية لموقفه التطبيقي من ظاهرة الصهيونية التي مثلت دراسة حالة، في إطار مشروعه النظري، حيث رصد الصهيونية، بشكل دقيق، وعمل على تعريف المصطلحات الصهيونية: العدو الإسرائيلي، حركة الاستيطان واليهودية... وتحليل أدواتها التاريخية منذ بدء تشكيل جماعاتها، وصولاً إلى الصهيونية الاستعمارية وكل ما يتعلق بهذا الكيان، وبالحضارة الغربية والقوة التي أوجدته ولم يغفل عن دراسة ظواهر أخرى معها، كالنازية والفاشية وغيرها من النظم.

شكّل اهتمامه بقضية المسلمين الأولى، دافعاً قوياً لرغبته في تأصيل ظاهرة الصهيونية، وظهور دولة إسرائيل والصراع العربي الإسرائيلي. وكان أول كتبه هو **"نهاية التاريخ: مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني"**، صدر بعدها **"موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: رؤية نقدية"**.

## أولاً: أدوات المنهج لدى المسيري

يستخدم المسيري في منهجه أدواتٍ لدراسة للصهيونية كظاهرة سياسية-اجتماعية ترتكز على المفاهيم الأساسية لفكر الحداثة، التي هي جزءاً منها. فالتصور الكلّي للمنهج العلمي في نظره يميّز بين المبدع، والناقل. "فصاحب الفكر هو إنسان قد طوّر منظومة فكرية تتسم

أجزاؤها بقدر من الترابط والاتساق الداخلي. أما ناقل الأفكار: فهو إنسان ينقل أفكاراً متناثرة لا يربطها بالضرورة رابط، تنتمي كل فكرة إلى منظومة فكرية مستقلة"[1].

استخدم في تحقيق منهجه أدوات عدة منها:

**1 . نحت المصطلح: النحت** هو اشتقاق كلمة من كلمتين أو أكثر، على أن يكون هناك تناسب في اللفظ والمعنى بين المنحوت له والمنحوت منه. وقد أجازته المجامع اللغوية العربية، إن صياغة مفاهيم ومصطلحات جديدة جاءت حاجة ضرورية للتعبير عن التصورات الكلية التي استخلصها بالاستقراء الحدسي، فبعض المصطلحات جديدة بحكم المنهج، لا توجد لها ألفاظ في اللغة تترجم معناها، فكان لا بد من نحت المصطلح كمثال على ذلك: "الحوسلة" "حوسل" اختصاراً لعبارة "تحويل الشيء إلى وسيلة" Instrumentalization، فنحت كلمة «حوسلة» جاء لدواعي الإيجاز اللغوي، حيث عبارة «تحويل كذا إلى وسيلة» عبارة طويلة ولا يمكن توليد مصطلحات منها و»حوسل» فعل متعد بمعنى حول الشيء أو الإنسان إلى وسيلة، و«الحوسلة» على غرار «بسملة» من «بسم الله الرحمن الرحيم» و«حوقل» من «لا حول ولا قوة إلا بالله»[2].

**2 . إيجاد مصطلحات جديدة:** ظهور مصطلحات جديدة مثل: «المادية الحلولية»، «المادية الصلبة»، «المادية السائلة»، «الجماعات الوظيفية»، «العلمانية الجزئية»، و«العلمانية الشاملة»... الخ.

**3 . تعريف دقيق للمفاهيم:** لإبراز جوانبها الإشكالية كعرض الموسوعة لظاهرة يهود الاتحاد السوفياتي (سابقاً)، من خلال عدة مداخل: تاريخ اليهود، وتوزيعهم الوظيفى، وأعدادهم، وأسباب هجراتهم وانتماءاتهم السياسية والفكرية فى كل من روسيا القيصرية وروسيا السوفياتية. كما تحدث عن عدة مداخل أخرى منها:

- أنواع يهود الاتحاد السوفياتي: قراؤوين – الكرمشاك – جورجيون – يهود البايشية – يهود الجبال – يهود بخارى...).
- موقف ماركس وإنجلز والبلاشفة من المسألة اليهودية.
- علاقة اليهود بالفكر الاشتراكي وتطور الرأسمالية الغربية.

**4 . إسقاط المصطلحات المتحيزة:** وتغييرها بمصطلحات بديلة أكثر دقة وحيادية بعد أن كانت الأولى المستخدمة تجسد التحيزات الصهيونية والغربية. وتفسيراً منها:

1 ـ عبد الله المسيري، اليهود أنثروبولوجيا: 10

2 ـ عبد الله المسيري، الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ: 252.

- "الشعب اليهودي" الذي يفترض أن اليهود يشكلون وحدة عرقية ودينية وحضارية متكاملة، بمصطلح "الجماعات اليهودية".
- "الشتات" استخدم العبارة المحايدة "أنحاء العالم".
- "التاريخ اليهودي" استخدم "تواريخ الجماعات اليهودية".

### 5 . الصور والنماذج المجازية في النظرة إلى العالم

يعتمد المسيري على أداة منهجية "النموذج التحليلي"، تمّ استقراؤه من الظواهر، بهدف الوصول إلى تعريف للعلمانية الشاملة من خلال تجاوز التسميات والتعريفات والمصطلحات والمفاهيم والظواهر. ويستخدم لذلك:

- لتعريف/النموذج الذي تم تجريده في قراءة جوانب أخرى من الواقع. وهذا المنهج لا يأخذ شكل خط مستقيم، وإنما حلزوني: من الظاهرة (المصطلح) إلى النموذج، ومن النموذج إلى الظواهر والمصطلحات الأخرى[1].
- "النماذج التحليلية"، وهو بنية تصورية يجردها العقل البشري من كم هائل من العلاقات والتفاصيل والوقائع والأحداث، فيستبعد بعضها لعدم دلالتها (من وجهة نظر صاحب النموذج) ويستبقي البعض الآخر، ثم يرتبها وينسقها بحيث تصبح مترابطة بشكل يماثل العلاقات الموجودة بالفعل فنتصور أنه كامن في عناصر الواقع ينظمها ويعطيها شكلها وهويتها"[2].

يعتمد هذا النموذج على تعبيرات مجازية تربط الإدراك الإنساني بالظواهر الإنسانية المجردة. "ونحن نذهب إلى أن المجاز في أكثر الأحيان هو جزء من نسيج اللغة، واستخدامه أمر حتمي في معظم عمليات الإدراك والإفصاح، خصوصاً تلك التي تتناول الظواهر التي تتسم بقدر عال من تركيب"[3].

ويوضح أن الصور المجازية الأساسية عن العالم، في الفكر الغربي، آلية وعضوية، وكلتاهما مادية غير إنسانية وإن اختلفتا في طبيعة عمليهما. إن الإنسان يدرك العالم من خلال عدة صور مجازية تعبر عن نماذج إدراكية، من أهمها الصورتان المجازيتان الآلية والعضوية اللتان تجسدان نموذجين أساسيين:

الأول: تصور العالم على هيئة كائن حي ينمو بشكل عضوي.

الثاني: تصور العالم على هيئة آلة تتحرك بشكل رتيب[4].

---

1 ـ عبد الله المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة: 9-8.

2 ـ عبد الله المسيري، الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ: 229.

3 ـ عبد الله المسيري، اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود: 13.

4 ـ م.ن.: 28.

### 6 . الجماعات الوظيفية

مفهوم الجماعة الوظيفية عند المسيري هو أداة منهجية، نموذج معرفي، يستخدمه لتحليل الدور اليهودي والصهيوني بشكل عقلاني تماما. يعرّف «الجماعة الوظيفية» بأنها مجموعات بشرية صغيرة يقوم المجتمع التقليدي بإسناد وظائف شتى إليها، يرى أعضاء هذا المجتمع، أنه لا يمكنهم الاطّلاع بها لأسباب مختلفة. وقد تكون هذه الوظائف:

– مشينة في نظر المجتمع ولا تحظى بالاحترام في سلم القيّم (التنجيم، البغاء، الربا).

– متميزة ومهمة (الطب – خصوصاً أطباء النخبة الحاكمة، القتال).

وقد يتطلب معرفتها قدراً عالياً من الحياد والتعاقدية، لأن المجتمع يريد الحفاظ على قداسته وتراحمه ومثالياته (التجارة والربا). من هنا يلجأ المجتمع إلى:

– استخدام العنصر البشري الوظيفي لملء فجوة أو ثغرة، تنشأ بين رغبات المجتمع وحاجاته من ناحية ومقدراته على إشباع هذه الرغبات من ناحية أخرى (الحاجة لمستوطنين جدد لتوظيفهم في المناطق النائية – خبرات غير متوفرة – الحاجة إلى رأس مال).

– إسناد الوظائف ذات الحساسية الخاصة وذات الطابع الأمني (حرس الملك – طبيبه – السفراء – الجواسيس) إلى أعضاء الجماعات الوظيفية. ويمكن أن تكون الوظيفة التي تسند إلى أعضاء الجماعة الوظيفية مشينة ومتميزة وحساسة في آن واحد[1].

يتوارث أعضاء الجماعة الوظيفية الخبرات في مجال تخصصهم الوظيفي عبر الأجيال ويحتكرونها، بل ويتوحدون معها، وبعد أن يتم استيراد أو تجنيد العنصر الوظيفي يحدث ما يلي:

أ) العلاقة التعاقدية.

ب) العزلة والغربة والعجز.

ج) الانفصال عن الزمان والمكان، والإحساس بالهوية الوهمية.

د) ازدواجية المعايير والنسبية الأخلاقية.

هـ) الحركية.

و) التمركز حول الذات والموضوع.

وأعضاء الجماعات الوظيفية هم شخصيات متحوسلة منعزلة مغتربة، لا جذور لها ولا ولاء، وهم ينظرون إلى أنفسهم في علاقتهم بالمجتمع المضيف باعتبارهم مادة توظف. وتكون رؤية أعضاء الجماعات الوظيفية في الغالب رؤية حلولية كمونية واحدية، فالحلولية تجعل عضو الجماعة الوظيفية موضع الحلول الإلهي (مكتفياً بذاته، مرجعية ذاته) عضواً في شعب مختار، مما يجعل من السهل عليه تحمل وضعه المؤلم والدخول في علاقة تعاقدية صارمة لا تراحم

1 ـ عبد الله المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة: 269.

فيها مع المجتمع[1].

يوضح المسيري علاقة الجماعات اليهودية بظهور العلمانية، إذ ساهم أعضاء الجماعات اليهودية في حمل الأفكار العلمانية ونشرها. ولم يفعلوا ذلك رغبة منهم في تدمير العالم وإيذاء العباد، ولكن تحركوا كجماعة في إطار منظومة اجتماعية غربية تتجاوز إرادتهم ورغباتهم وأهواءهم. إلا أن ذلك لا يعفيهم من المسؤولية الخلقية عن أفعالهم، على المستوى الفردي، وهي تختلف عن التفسير السوسيولوجي للظواهر.

ومن المعروف أن أعضاء الجماعات اليهودية اطّلعوا بدور الجماعات الوظيفية الوسيطة، وهو ما ولّد لديهم نزعة حلولية خلقت لديهم استعداداً كامنا للعلمنة. مما جعلهم واحداً من أهم عناصرها المباشرة في المجتمع الغربي. والعلمنة، في أحد جوانبها، وهي تطبيق القيّم العلمية والكمية الواحدية على مجالات الحياة كافة، حتى ينتهي الأمر بتحييد العالم تماماً وترشيده وتحويله إلى حالة السوق والمصنع. من هنا يتضح الدور المهم لليهود، في علمنة المجتمع، وتوسيع نطاق القطاع الاقتصادي التبادلي، وكانوا عنصرا شديد الحركية في المجتمع الوسيط الذي يتسم بالسكون[2].

ومن خلال مفهوم الجماعات الوظيفية، وارتباطه بنقده التحليلي للحضارة الغربية حلّل المسيري بشكل تفصيلي كافة الجوانب المتعلقة باليهودية والصهيونية، ومنها قضية إبادة اليهود وتحليله لمستقبل إسرائيل تأسيساً على دراسته التفصيلية لليهودية والصهيونية.

يطرح المسيري وظيفة الحركة الصهيونية في إطار فكر الحداثة في ظل مفهوم «**الجماعات الوظيفية**»، وطوّرها لتأسيس نظرية حداثة إسلامية جديدة. من خلال رؤية تركيبية للمشروع الصهيوني في موسوعته «**اليهود واليهودية والصهيونية – نموذج تفسيري جديد**» صنّف الخطاب التحليلي العربي الصهيونية باعتبارها حركة أو ظاهرة يهودية، وبدأ يدرسها في ضوء التوراة والتلمود، وأخيراً بروتوكولات حكماء صهيون. فالصهيونية جزء من التشكيل الإمبريالي الغربي في جانبه الاستيطاني الإحلالي، الذي هو بدوره تعبير عن رؤية علمانية شاملة تحوّل كل شيء إلى مادة استعمالية.

إن الصهيونية من أهم العقائد العلمانية صدرت عن عدة أيديولوجيات علمانية غربية مثل الداروينية والنيتشوية، بلباس يهودي. ووضعت موضع التنفيذ من خلال آليات إمبريالية علمانية غربية. وطرحت نفسها كبديل للعقيدة اليهودية، بعد استخدامها القيمة التعبوية للخطاب الديني، فحولته إلى ديباجات، مع التعديل.

1 ـ م.ن.: 270 – 272.

2 ـ م.ن.: 309.

جاء المسيري برؤية موضوعية جديدة، لأبعاد المشروع الصهيوني، مختلفة عن الرؤية الغربية المتأثرة بما يسمى «التاريخ المقدس» من خلال دراسة تحليلية، ونقدية لفكر المجتمع الغربي )**العلمانية والحداثة الغربية**(، فعمل على تقديم تاريخ عام للعقيدة والجماعات اليهودية وللحركة الصهيونية، ووضعها فى إطار التاريخ الإنسانى العام، وربط تاريخ الصهيونية، كعقيدة وحركة وتنظيماً، تاريخ الفكر الغربي والإمبريالية الغربية. وبالظروف العالمية والفلسفية والحضارية. فجاءت موسوعته **"اليهود واليهودية والصهيونية"**، لتؤكد أهمية التراث العبراني القديم (فيما قبل ظهور اليهودية)، وبطولاتهم غير الدينية وغير الأخلاقية، التي حوّلت أبطال العهد القديم إلى أبطال قوميين"[1].

ويوضح المسيري خطأ النّسب إلى اليهود قوى عجائبية، في كتابه «**اليد الخفية**» الذي يستعرض فيه الحركات اليهودية الهدامة السرية التي تدرس التلمود والماسونية والسحر عند اليهود، محاولة منه لتفسير بعض هذه الجوانب، حتى لا يسقط العرب في فكرة المؤامرة فينسبوا لليهود كل الشرور، والقوة العجائبية. ويحاول إثبات أن اليهود بشر، وأن الظواهر المحيطة بهم بشرية ويجب ألا نخاف منهم، بل نعرف جيداً أنه يمكن هزيمتهم. أما المنطق التآمري فينسب لليهود قوى عجائبية معجزة تجعل منهم شياطين، فإن كانوا كذلك، يجب الاختباء وعدم محاربتهم.

**7 ـ العلاقة بين النازية والصهيونية والحداثة الغربية** يستخدم المسيري النازية كنموذج، فيقدم أمثلة عديدة على الإمبريالية الحداثية المتمثلة في الحركة الاستعمارية والاحتلال الاستيطاني في القارات الخمس، وبذلك يصبح الطريق ممهداً للكشف عن سمات الحركة الصهيونية باعتبارها حالة نماذجية تخضع تماماً للتحليل العقلي.

ويوضح هذا التصور بقوله: "ندرس البنية العميقة للنّازية، ونضعها في سياقها الحضاري الغربي ونبيّن علاقتها بالصهيونية على مستوى الخطاب المعرفي العميق، ونستعيد الإمبريالية كمقولة تحليلية أساسية في كل الظواهر الغربية الحديثة. فنحن نذهب إلى أنه لا يمكن فصل الحضارة الغربية الحديثة بعلمانيتها الشاملة ورؤيتها العقلانية المادية عن نزعتها الإمبريالية"[2].

ويظهر في إطار رصده للظواهر المشتركة بين الصهيونية والنازية سمّة أساسية عقلانية الإجراءات والوسائل، وقد أشار ماكس فيبر لهذه الظاهرة في كتاباته. فعملية العقلنة، أو الترشيد التي يتحدث عنها تنصب على الوسائل والأدوات فحسب، أما الأهداف فهي أمر متروك لاختيار الأفراد، ومعسكرات الاعتقال والتعذيب، سواء في ألمانيا النازية أم في إسرائيل الصهيونية، هي مثال جيد على هذا الجانب في الحضارة الغربية. فهذه المعسكرات منظمة

1 ـ م.ن.: 397.

2 ـ عبد الله المسيري، الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ : 16.

بطريقة «منهجية» تحسب فيها المكاسب والخسارات، والمدخلات والمخرجات. ولعل أكبر دليل على أن النازية جزء أصيل من الحضارة الغربية هو أن الرد الغربي على معسكرات الاعتقال والإبادة لليهود لم يكن مغايراً، في بنائه وسماته الجوهرية، للجريمة النازية. فالغرب يحاول حلّ المسألة اليهودية بإنشاء الدولة الصهيونية على جثث الفلسطينيين، وكأن جريمة أوشفيتس يمكن أن تمحى بارتكاب جريمة دير ياسين أو مذبحة بيروت[1].

## 8 . احتكار الإبادة

إبادة اليهود عند المسيري على أيدي النازيين، هي احتكار الصهاينة للإبادة وأيقنتها وتحويلها إلى مفهوم نهائي يشير إلى ذاته. ويعرض تصوراته دون التقليل بأية حال من فداحة الجرم النازي ضد اليهود (والسلاف والغجر وغيرهم)، ولكن دون السقوط، بقدر ما هو ممكن إنسانياً، في التحيزات والرؤى والمقولات السائدة في الخطاب الغربي بشأنها، فالتقليل من حجم الجريمة النازية يشكل فشلاً معرفياً وأخلاقياً.

I. من الناحية المعرفية: يعني فشل المرء في إدراك واحدة من أهم سمات الحضارة الغربية الحديثة، أي نزعتها الإبادية.

II. من الناحية الأخلاقية: فهو فشل الإنسان المسؤول الذي رأى جريمة ترتكب ضد مجموعة بشرية فآثر الصمت وزيف الحقائق حتى لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

يوظف الصهاينة واقعة الإبادة في خدمة أهدافهم الإعلامية، وابتزاز الحكومات، وفي تبرير الغزو والاستيطان والإرهاب. ولكن هذه جميعاً اعتبارات عملية غير معرفية وغير أخلاقية[2]. كما يحاولون احتكار دور الضحية لليهود وحدهم دون غيرهم من الجماعات أو الأقليات أو الشعوب، بحيث تصور الإبادة النازية جريمة موجهة ضدهم ولهذا يرفضون:

– رؤية الإبادة النازية تعبيراً عن نمط تاريخي عام يتجاوز الحالة النازية والحالة اليهودية.

– مقارنتها بما حدث للغجر أو البولنديين على سبيل المثال، أو لسكان أمريكا الأصليين على يد الإنسان الأبيض أو ما يحدث للفلسطينيين على أيديهم.

تثبت الدراسات التاريخية أنّ الإبادة النازية لم تكن موجهة ضد اليهود وحسب، فعدد ضحايا الحرب العالمية الثانية بلغ ما بين خمسة وثلاثين وخمسين مليوناً. وإن أكبر معسكرات الاعتقال أوشفيتس والتركيز النازي كان على البولنديين والاشتراكيين واليهود والغجر لتفريغ بولندا جزئياً وتوطين الألمان فيها[3].

1 - م.ن.: 14.
2 - م.ن.: 17-16.
3 - م.ن.: 94.

ويرى المسيري أنّه من غير المقبول حظر البحث العلمي في هذه القضية، فالإعلام الغربي والصهيوني يوجّه الاتهام لكل من ينكر الإبادة أو يثير الشكوك حول موضوع الملايين الستة حتى لو كان من العلماء المتخصصين، مع العلم بأنّ العديد من العلماء الإسرائيليين يشككون بهذا الرقم.

يجب أن يميز الإعلام الغربي بين الدراسات العلمية التي تخضع للنقد العلمي وغيرها، وأن تفتح كل الملفات السريّة، والأرشيفات الغربية والشرقية.

ويعرض المسيري نموذج ديمانجوك الذي اتهم بأنه «إيفان الرهيب»، الذي اشترك في إبادة اليهود وغيرهم في معسكر تربلينكا، لتكون مثلاً على الخطوات المطلوب اتخاذها. فقد كانت كل الدلائل التي جمعها الأمريكيون والإسرائيليون تبيّن أن ديمانجوك هو إيفان الرهيب، وأصدرت المحاكم الإسرائيلية حكماً ضده بالفعل. ولكن بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، ظهرت وثائق تبيّن بما لا يقبل الشك أن هناك شخصاً آخر هو الذي قام بعمليات الإبادة وأفرج عن ديمانجوك[1].

## 9 . خطوات التلاعب بقضية الإبادة النازية:

يكشف المسيري عن خطوات عملية التلاعب بقضية الإبادة النازية كما يلي[2]:

**1 . بالنسبة للمسؤول عن الجريمة:**

تخضع الإبادة النازية لعمليتين متناقضتين:

**الأولى:** تضييق نطاق المسؤولية إلى أقصى حد بحيث تصبح الإبادة النازية ليهود أوروبا جريمة ارتكبها الألمان وحدهم ضد اليهود.

**الثانية:** توسيع نطاق المسؤولية إلى أقصى حد بحيث تصبح الإبادة النازية ليهود أوروبا جريمة كل الأغيار، أو جريمة كل الألمان والأغيار، أو الألمان باعتبارهم أغياراً، أو الألمان بموافقة وممالأة الأغيار.

**2 . بالنسبة للضحية:** تخضع الإبادة كذلك لعمليتين متناقضتين:

**الأولى:** تضييق نطاق الجريمة إلى أقصى حد بحيث تصبح موجهة ضد اليهود.

**الثانية:** تعميم الجريمة إلى أقصى حد بحيث تصبح جريمة موجهة ضد كل اليهود.

وبعد أن قام المسيري بتعريف الإبادة بهذه الطريقة، وأظهر التلاعب بالمستويات التعميمية والتخصيصية، وضبطها بما يتفق مع مصلحة الغرب، عرض أيقنة الغرب للإبادة، حتى لا يمكن التساؤل بشأنها، فهي مصدر المعنى النهائي.

وتأتي النتيجة لديه أنّه «تصبح قضية الإبادة، في الخطاب الصهيوني، نقطة نهائية

---

1 ـ م.ن.: 98.

2 ـ م.ن.: 99.

ميتافيزيقية تتجاوز الزمان والمكان والتاريخ، فهو (انطلاقاً من مفهوم الشعب المختار والحلولية اليهودية التي تسبغ القداسة على اليهود) يعمّق عملية التخصيص، فتتحول الإبادة من قضية اجتماعية تاريخية إنسانية إلى إشكالية غير إنسانية تستعصي على الفهم الإنساني، وإلى سر من الأسرار يتحدى العقل، وإلى نقطة نهائية ميتافيزيقية تتجاوز الزمان والمكان والتاريخ. والاختلاف هنا في الدرجة وليس في النوع، إذ تظلّ هناك وحدة أساسية، ولذا لا يجوز في الخطاب السياسي الغربي والصهيوني تشبيه إبادة أية أقلية بإبادة اليهود»[1].

يرى المسيري أن الأمر يحتاج إلى المزيد من الأبحاث العلمية، والكشف عن الوثائق المتعلقة بالموضوع، ليتكوّن رأي يقيني بخصوصه، فمعسكرات الاعتقال والسخرة والإبادة حقيقة مادية لا شك فيها، وكذلك أفران الغاز. ويتوقف المسيري عند حجم الأفران ومدى كفاءتها وعدد ضحاياها فهي موضوعات خلافية. ويترك دلالتها المادية قابلة للاجتهاد والفحص العلمي والوثائقي كما يدعو إلى إعادة قراءة الوثائق وخاصة السرية منها.

## 10 . عشر علامات لزوال إسرائيل

يطرح المسيري تأسيساً على دراسته لليهودية والصهيونية عشر علامات لزوال «دولة إسرائيل»:

– تآكل المنظومة المجتمعية للدولة العبرية بعدما فشل مصطلح «الصهر» في منظومة القومية التي كان قد حددها ديفيد بن جوريون مؤسس «الدولة العبريّة».

– الفشل في تغيير السياسات الحاكمة «الإسرائيلية» فهي من فساد إلى فساد.

– كثرة النازحين لخارج «إسرائيل» فقد أكدت الإحصائيات نزوح مليون «إسرائيلي» من إجمالي ستة ملايين قدموا إليها.

– انهيار نظرية الإجماع الوطني والعداء المستمر بين الأحزاب الدينية الشرقية والغربية والوسطية.

– فشل كبار الحاخامات في تحديد ماهية الدولة اليهودية.

– عدم اليقين من المستقبل الخاص بالدولة متمثلاً في مقولة الرئيس «الإسرائيلي» شيمون بيريز عندما سأله أحد الصحافيين: هل ستبقى إسرائيل 60 عاماً أخرى؟ فرد عليه: «اسألني هل ستبقي 10 سنوات قادمة؟!».

– العزوف عن الحياة العسكرية والهرب منها، وبذلك تنهار المؤسسة العسكرية.

– عدم القضاء على السكان الأصليين المتمثلين في الفلسطينيين.

---

1 ـ م.ن.: 101.

– تحول «إسرائيل» إلى عبء على الإستراتيجية الأمريكية.

– استمرار المقاومة الفلسطينية.

– العداء المستمر بين الأحزاب الدينية الشرقية والغربية والوسطية.

انطلاقاً من ذلك يتبين أن المسيري يؤسس مقولاته على أسس نظرية لها قيمتها المعرفية، ثم يبني عليها بشكل تحليلي تركيبي تصوراته الواقعية، وهو ما يسمى بالفكر التأسيسي، انتقل فيه من التفكيك إلى البناء، وضع أسس تفسيرية ونماذج تحليلية كوسيلة، كأداة معرفية، فجاءت نقداً للرؤية الحداثية الغربية وما بعد الحداثة.

ويترتب على مشروع المسيري الفكري النتائج التالية:

الأولى: أن الصهيونية هي أحد تجليات الرؤية الغربية الحداثية للعالم. وصراعها مع العرب، هو صراع بين الرؤية الحداثية الغربية والرؤية الإسلامية.

الثانية: ضرورة العمل على إنشاء رؤية حداثية إسلامية انطلاقاً من فكرنا الإسلامي المعاصر.

الثالثة: حتمية زوال الكيان الصهيوني.

## 11 . أهم كتب المسيري في الفكر الصهيوني:

1. نهاية التاريخ: مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني (مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة 1972؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1979).

2. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: رؤية نقدية (مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة 1975).

3. الأقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومي (معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1975).

4. العنصرية الصهيونية: (سلسلة الموسوعة الصغيرة، وزارة الثقافة والفنون، بغداد 1979).

5. اليهودية والصهيونية وإسرائيل: دراسة في انتشار وانحسار الرؤية الصهيونية للواقع (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1976).

6. الإيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة (جزءان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت 1981 – طبعة ثانية في جزء واحد 1988).

7. الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية: دراسة في الإدراك والكرامة (منظمة التحرير الفلسطينية، تونس 1987؛ المطبعة الفنية، القاهرة 1988؛ الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 2000).

8. الاستعمار الصهيوني وتطبيع الشخصية اليهودية: دراسات في بعض المفاهيم الصهيونية

والممارسات الإسرائيلية (مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1990).

9. هجرة اليهود السوفييت: منهج في الرصد وتحليل المعلومات (دار الهلال، كتاب الهلال، القاهرة 1990).

10. أسرار العقل الصهيوني: (دار الحسام، القاهرة 1996).

11. الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ: رؤية حضارية جديدة (دار الشروق، القاهرة 1997، 1998، 2001).

12. من هو اليهودي؟: (دار الشروق، القاهرة 1997، 2001، 2002).

13. موسوعة تاريخ الصهيونية: (ثلاثة أجزاء، دار الحسام، القاهرة 1997).

14. اليهود في عقل هؤلاء: (دار المعارف، سلسلة اقرأ، القاهرة 1998).

15. اليد الخفية: دراسة في الحركات اليهودية، الهدامة والسرية (دار الشروق، القاهرة 1998؛ الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 2000؛ دار الشروق 2001).

16. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد (ثمانية مجلدات، دار الشروق، القاهرة 1999).

17. الأكاذيب الصهيونية من بداية الاستيطان حتى انتفاضة الأقصى: (دار المعارف، سلسلة اقرأ، القاهرة 2001).

18. الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى: (دار الشروق، القاهرة 2001).

19. من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية: أثر الانتفاضة على الكيان الإسرائيلي (عدة طبعات: القاهرة–دمشق– برلين– نيويورك– نشر إلكتروني، 2002م).

20. انهيار إسرائيل من الداخل: (دار المعارف، القاهرة 2002).

21. الجماعات الوظيفية اليهودية: نموذج تفسيري جديد (دار الشروق، القاهرة، 2001، طبعة ثانية 2003).

22. مقدمة لدراسة الصراع العربي–الإسرائيلي: جذوره ومساره ومستقبله (دار الفكر، دمشق 2002).

23. البروتوكولات واليهودية والصهيونية: (دار الشروق، القاهرة 2003).

24. في الخطاب والمصطلح الصهيوني (دار الشروق، القاهرة 2003 – طبعة ثانية 2005).

25. الإدراك الصهيوني للعرب والحوار المسلح (دار الحمراء، بيروت 2003).

26. التجانس اليهودي والشخصية اليهودية (دار الهلال، كتاب الهلال، 2004).

27. الموسوعة الموجزة: (مجلدان، دار الشروق، القاهرة 2004).

28. الصهيونية وخيوط العنكبوت (دار الفكر، دمشق 2006)

# باب التاريخ




# صور من علم الملاحة في الحضارة الإسلامية
## Pictures of Navigation Science in Islamic Civilization

أ.د. وجدان فريق عناد
مركز إحياء التراث العلمي العربي –جامعة بغداد
Center Revival of Arab Science Heritage
wjdan_fareeq@yahoo.com
009647901235572

**الملخص**

من يدرس تاريخ المسلمين لا بد أن يقف باحترام أمام تراث ضخم في شتى جوانب المعرفة الإنسانية، ولكنه سيظلّ بحاجة إلى المزيد من الدراسة والتحقيق، لكشف الكنوز العلمية التي تحويها، فتكون مصدر إلهام للباحثين منبعه روح الشعور بالانتماء إلى حضارة ذات طابع مميز ساهم في بنائها الجميع بغض النظر عن الجنس أو اللون أو المذهب.

وعند البحث في التراث نجد المصادر التاريخية غنية بمعلومات بيّنت مقدار التطور الذي بلغته الحضارة الإسلامية في هذا الجانب.

The study of the history of Muslims finds a great scientific heritage, which researchers in Islamic civilization need to study, to prove to the world the development of Islamic civilization. Navigation science is one of the sciences that contributed to the Muslim scientists in building scientific bases

## المقدمة

امتازت الحضارة الإسلامية بغناها العلمي الذي شمل جميع أصناف المعرفة، فكانت لها الريادة في القرون الوسطى، ولا يمكن نكران دورها الكبير في تطور وازدهار عدد من العلوم منها علم الملاحة.

إن السبب وراء اختيارنا لهذا الموضوع «صور من علم الملاحة في الحضارة الإسلامية» يعود إلى كونه مفتاحاً يقود إلى ميدان رحب فيه الكثير من الحقائق العلمية التي أثبتت مكانتها في خدمة البشرية، لذلك كانت محاولتنا إبراز أحد مجالات اللقاء الحضاري بين الحضارتين الإسلامية والغربية، إذ قدمت الحضارة الإسلامية منجزات كبيرة في المجالات العلمية، والثقافية، والعمرانية، والاقتصادية، والاجتماعية وغيرها، أنارت طريق أوروبا وهي تعتلي منصة السيادة الحضارية العالمية.

وسيتناول البحث المحاور التالية:

أولاً: أنواع الملاحة

ثانياً: تقدم العلوم البحرية

ثالثاً: أنواع المراكب

رابعاً: الموانئ

خامساً: بناء السفن

سادساً: المراصد والأربطة

سابعاً: فن رسم الخرائط

**الكلمات الافتتاحية: الملاحة، تاريخ العلوم، الحضارة الإسلامية**

## أولاً: أنواع الملاحة

كانت الملاحة البحرية تعتمد التقويم الشمسي، نظراً لكونه يصادف الفصول الأربعة، فغالباً ما كانت الملاحة تبدأ في الربيع في شهر نيسان وتنتهي في تشرين الثاني، لتجنب عواصف فصل الشتاء، وتوخي الرياح المناسبة حسب موقع المكان الذي يمارس فيه النشاط الملاحي[1]، ويمكن التمييز بين نوعين من النشاط الملاحي هما:

1- الملاحة البحرية: ولها ثلاثة دوافع أساسية هي تجارية وحربية، فضلاً عن الصيد البحري.

أ) الملاحة التجارية: عادة ما كان البحر يمثل الوسيلة الأكثر استعمالاً في ما يتعلق بالنقل

1 ـ ينظر: سليمان بن أحمد بن سليمان المهري، تحفة الفحول في تمهيد الأصول في أصول علم البحر، تحقيق إبراهيم خوري، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1970.

التجاري، فتذكر المصادر كيف أن البضائع كانت تنقل من وإلى أقاليم العالم الإسلامي، مثلاً من الشام إلى المرية، أو من أفريقيا إلى شمال أوروبا، وكانت السفن تنقل مختلف البضائع، منها مواد الترف، وكذلك نقل الحجاج إلى مكة المكرمة. فعلى سبيل المثال كانت أهم المواد التي تصدر من الأندلس: الحديد، والصوف، والأرز، والحبوب، والزيت، والكتان، والقنب، والفخار، وغيرها. وكانت تستورد: البلور الصخري، والزجاج الإيراني، والخزف المذهب القادم من مصر والعراق، وغيرها[1].

ب) الملاحة الحربية: وهي الملاحة المرتبطة بالمواجهات العسكرية، مثلاً في الأندلس في عهد بني أمية كانت نتيجة للهجمات التي شنها النورمنديين في القرن التاسع على السواحل الأندلسية، إلى درجة أنهم تمكنوا من الوصول إلى إشبيلية عبر الوادي الكبير، هذا الحدث جعل عبد الرحمن الثاني يعطي عناية كبيرة لبناء أسطول حربي لمواجهتهم.

ج) ملاحة الصيد البحري: كان الصيد البحري من ضمن الأنشطة الاقتصادية المهمة، وتحدثت بعض المصادر عن أماكن الصيد البحري في كل السواحل المنتشرة في أقاليم العالم الإسلامي[2].

2- الملاحة النهرية: استغل المسلمون كون بعض الأنهار صالحة للملاحة النهرية، فكانت إحدى وسائل التواصل والتجارة بين المدن، والمصادر التاريخية زاخرة بالروايات التاريخية عن الملاحة النهرية في العالم الإسلامي، فالإدريسي مثلا أشار إلى المراحل بين شريش وإشبيلية، وبين إشبيلية وقرطبة عن طريق الوادي الكبير[3].

## ثانياً: تقدم العلوم البحرية

نقلت إلى الحضارة الغربية معارف أساسية من علوم الحضارة الإسلامية في علم الملاحة، بما في ذلك التقنيات البحرية والملاحية، ومن أهم تلك التقنيات:

1 . الهندسة البحرية: إن التطورات التقنية التي أدخلت على علم الملاحة في البحر المتوسط وبحار أخرى، بما فيها المحيط الهندي، يعود الفضل فيها إلى الملاحة الإسلامية التي

1 . كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د.ت.، ص 349 - 357.

2 . الإصطخري، ابن إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي (ت النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي). المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني، مطابع دار القلم، القاهرة، 1961، ص38؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت900هـ / 1494م). الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937، ص81،47.

3 . الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز (ت548هـ / 1154م). صفة المغرب وبلاد السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ليدن، 1894م، ص201-207.

كيّفتها مع الأوضاع التي يتطلبها كل مجال وكل استعمال، وكان من الأهمية معرفة الرياح لإعطاء الأشرعة الميل اللازم لكي يبحر المركب، وكان التجديدان الأساسيان اللذان أدخلهما المسلمون على الملاحة يتمثلان في[1]: شراع ذو شكل مثلث: يسمح هذا الشراع برفع الرياح المضادة، بينما كانت في الماضي تستعمل الأشرعة المربعة، التي تتطلب أن تأتي الرياح عبر مؤخرة السفينة لكي يتم الإبحار، مما يجعل سير السفينة بطيء جداً من جهة، ويرفع تكلفة النقل من جهة أخرى[2]. فضلاً عن الدفة التي أدخلها المسلمون إلى أوروبا، وهذه القطعة كانت عنصراً من العناصر الأكثر أهمية إلى جانب الشراع في المراكب، إذ عوّضت عن المجاذيف وعن وضعها في مؤخرة السفينة، مما يسمح بالحركة أكثر، فضلاً عن أنها تدار من قبل شخص واحد، في حين كان التحكم بالسفن يتم من خلال المجاذيف الموضوعة بطريقة عمودية على جوانبها في اتجاه المؤخرة، مما ينتج حركة أقل، لا سيما إذا كان الطقس رديئاً[3].

2 – الفلك: طوّر المسلمون التقنيات التي تمكنهم من التوجيه في البحر عبر أساليب فلكية، وفي بعض الأحيان لم يكونوا بحاجة لمحاذاة الشواطئ أثناء الإبحار، لكونهم اعتمدوا على البوصلات[4] منذ القرن العاشر الميلادي تقريباً[5]. كما كانت الملاحة في الليل تجري بشكل طبيعي نتيجة لتطور علومهم الملاحية، فمثلاً قياس علو النجم القطبي يحدد الارتفاع، وفي النهار كانت تتبع ملاحظة الشمس في منتصف النهار عبر زاوية الميل الشمسي[6].

أما سرعة المركب فكان يمكن رصدها عن طريق الساعة الرملية[7] التي يمكنها قياس زمن تنقل المركب، أما في الليل فالزمن يتم قياسه بواسطة الساعة الليلية (الاسطرلاب)[8] الذي ظهر موثقاً

1 ـ حسن صالح شهاب، فن الملاحة عند العرب، دار العودة، بيروت، 1982، ص 52–37.

2 ـ سليمان بن أحمد بن سليمان المهري، تحفة الفحول، ص40.

3 ـ المصدر نفسه، ص 55–40.

4 ـ البوصلة: ذات شكل مستدير وتتألف من دائرتين متحدتين بالمركز، يدور فقط الجانب الداخلي الذي يحوي الابرة المغناطيسية، التي تبين اتجاه السفينة، في حين أن الجانب الخارجي ثابت عليه شارة الاتجاه. وتعد البوصلة ذات الأبرة العائمة: الشكل الأكثر بدائية للبوصلات، فهي عبارة عن أبرة ممغنطة توضع على قطعة من الخشب تعوم فوق الماء، وتتجه الأبرة نحو الشمال. ينظر: وجدان فريق عناد، علم الملاحة في الأندلس، بحث مقدم الى مؤتمر (تاريخ العلوم عند العرب) مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، 2016/12/22–21.

5 ـ حسن صالح شهاب، فن الملاحة عند العرب، صص203–179.

6 ـ المرجع نفسه، ص 197.

7 ـ الساعة الرملية: آلة تتكون من قنينتين ملتصقتين من العنق، تستعمل لقياس الزمن من خلال الرمل الذي يتساقط من الواحدة للأخرى. ينظر: وجدان فريق عناد، علم الملاحة في الأندلس.

8 ـ الاسطرلاب الليلي: أداة فلكية قديمة تستعمل لقياس الزمن مرسوم عليه القبة الزرقاء يستخدم عن طريق ملاحظة النجم القطبي وموقع وحركة النجوم داخل السماء ولا سيما الدب الأكبر وكان. ينظر: المرجع نفسه.

في الأندلس في القرن العاشر الميلادي، وهو على أشكال منها[1]: الاسطرلابات والمربعات البحرية[2]: وهي أدوات مصنوعة لقياس الأركان، كارتفاع الشمس، أو النجم القطبي في الأفق[3].

3 . **الجغرافيا (الخريطة البحرية):** ظهرت الخريطة البحرية في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي على يد العلماء المسلمين، وكانت العطاءات الإسلامية في فن رسم الخرائط مهمة جداً أثناء القيام بالاستكشافات الجغرافية الكبرى التي بدأت منذ القرن الخامس عشر الميلادي، فالبحارة الأندلسيون كانوا يعرفون مثلاً أبعاد البحر المتوسط مع هامش بسيط للخطأ لا يتعدى الدرجة الواحدة[4].

## ثالثاً: أنواع المراكب[5]

كانت صناعة المراكب متطورة في العالم الإسلامي، إذ وجدت أنواع متعددة منها:

1 . المركب: كان المركب بمثابة الوسيلة الأكثر أهمية، لكونه يستعمل في التجارة وفي الحرب للقتال ولنقل الجنود.

2 . قصور: مركب صغير الحجم.

3 . جفن: زورق مسطح كان يستعمل في الغالب لنقل الخشب.

4 . حراقة: سفينة حارقة تستعمل لنقل النار الإغريقية التي هي عبارة عن خليط من الجلود ممكن اشتعالها، تصوب باتجاه العدو عبر أنابيب مكونة من قاذفات اللهب، ممكن أن تشتعل ولو باحتكاكها بالماء.

5 . شانية: سفينة شراعية حربية كانت تستخدم منذ القدم. وتسمى أيضا الشواني ومفردها شونه أو الشيني "وهي أجفان حربية كبيرة تقام فيها الأبراج والقلاع للدفاع والهجوم، وأبراجها ذات طبقات مربعة، فالطبقة العليا منها تقف فيها الجنود المسلحة بالقسي والسهام، وفي الطبقة الوسطى الملاحون الذين يجذفون بنحو مائة مجذاف، ويتراوح ما تحمله الشونه من المقاتلة

---

1 . حسن صالح شهاب، فن الملاحة عند العرب، ص ص 203–179.

2 . المربع البحري (آلة الربع البحرية): يحدد علو الشمس في الأفق عند عبورها خط الزوال، أو تحديد نجم معين، للحصول على درجة علو المكان. ينظر: وجدان فريق عناد، علم الملاحة في الأندلس.

3 . عبد الرحيم بدر، الفلك عند العرب، مؤسسة مصري للتوزيع، لبنان، 1986، ص83.

4 . ينظر: وجدان فريق عناد، علم الملاحة في الأندلس ؛ حسن صالح شهاب، فن الملاحة عند العرب، ص 79–83.

5 . ينظر عن أنواع المراكب المستخدمة في الملاحة الأندلسية: ابن ماجد، شهاب الدين أحمد بن شهاب النجدي، كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، تحقيق ابراهيم خوري، مركز الدراسات والوثائق، الإمارات، 2001، ص16، 379؛ عبد الرحمن البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، المكتبة التجارية، مصر، 1923، ص 169–161.

ما بين مائة وخمسين، ومئتي مقاتل، وتجهز الشواني وقت الحرب بالسلاح والنفطية"[1].

6 . البوارج: مفردها بارجة وهي أكبر من الشواني.

7 . المسطحات: وهي نوع يشبه البوارج.

8 . الحراقات: مفردها حراقة، تصنف بأشكال مختلفة كصورة الأسد، الفيل، العقاب، الحية أو الفرس، حجمها قريب من الشواني تحمل فيها المدافع والعرادات والمنجنيقات.

9 . فطاس: قارب صغير.

10 . غربان: زورق شراعي.

11 . شيتي: قارب ذو صاريتين.

12 . زورق: مركب صغير يستعمل لخدمة سفن أخرى، سواء كانت حربية أو تجارية.

13 . غراب: سفينة حربية شبيهة بالقارب الشراعي.

14 . الطرائد: مفردها طريدة سفينة شراعية تستخدم في نقل الخيل والعتاد للأساطيل، وأكثر ما يكون فيها أربعون فرساً.

15 . القواقير: السفن الكبيرة التي تحمل الزاد والكراع .

16 . الفلانك والشنديات: من توابع الأسطول.

17 . كركور (قرقور): سفينة تجارية كبيرة، سفينة مركب بحري قادر على قطع مسافات كبيرة[2].

18 . أما الآلاتُ والأسلحة المستعملة فقد كانت "الرماح والعصى والترّس والزرد والدرق والخوذ والمنجنيقات والعرادات، والبارود[3] والنار اليونانية[4]، التوابيت المعلقة[5]، الحجارة، قوارير النفط، جرار النورة[6]، قدور الحيات والعقارب والصابون اللين[7].

ولحماية أسطولهم أثناء المعارك من نار ونفط الأعداء كانوا يحيطون المراكب بالجلود أو اللبود المبلولة بالخل والماء أو الشب والنطران، كما يجعلون في مقدمة المركب اللجام وهي

1 ـ عبد الرحمن البرقوقي، حضارة العرب، 1923، ص 161، 165 – 166.

2 ـ المرجع نفسه، ص 166 – 169.

3 ـ وكان يسمى الثلج الهندي. ينظر: المرجع نفسه، ص170.

4 ـ مزيج من الكبريت وبعض الراتنجات والأدهان يكون بشكل سائل يطلق على مراكب العدو من أسطوانة نحاسية مستطيلة في مقدمة المركب يقذف بشكل سائل أو بشكل كرات مشتعلة أو قطع من الكتان المغموسة بالنفط ويسبب الحريق وهذه تستعل في الماء والهواء. ينظر: المرجع نفسه، ص 170.

5 ـ هي صناديق كبيرة مفتوحة من الأعلى يصعد إليها الجنود للاستكشاف، ومنهم يرمون العدو بالحجارة وغيرها وهم مختبئون فيها. ينظر: المرجع نفسه، ص 171.

6 ـ مسحوق ناعم من الكلس والزرنيخ يرمون به العدو ويسبب العمى وقد يلتهب. ينظر: المرجع نفسه، ص 171.

7 ـ الحجارة وقوارير النفط وقدور الحيات والعقارب وجرار النورة وقدور الصابون. كانت في صناديق معلقة إلى جانب التوابيت المعلقة، وهي جزء من اسلحتهم فنورة مثلا عندما ترمى على العدو يسبب غبارها العمى وقد يلتهب للعدو، وقدور الصابون تسبب صعوبة في حركة العدو. ينظر: المرجع نفسه، ص 169، 171.

قطعة من الحديد طويلة محددة الرأس وأسفلها مجوف كسنان الرمح تدخل من أسفلها في خشبة بارزة في مقدم المركب تسمى الاسطام فيصير اللجام كأنه سنان الرمح بارز في مقدم المركب ويستخدم في طعن مراكب العدو. فضلاً عن بعض الحيل لتمويه العدو. ففي الليل لا يشعلون ناراً ولا يتركون ديكاً، ويغطون المراكب «قلوعاً زرقاء» فلا يراهم العدو، لأن لونها يشبه لون الماء والسماء[1].

وعن تنظيم الأسطول البحري: فيكون هناك أمير البحر أو أمير الماء: وهو المسؤول عن الأساطيل كلها، والقائد: الذي يترأس الأسطول والمسؤول عن سلاحه وحربه وجنوده، والرئيس: هو المسؤول عن الملاحة البحرية فهو العارف بحركة الرياح والمجاذيف والمسالك البحرية فضلاً عن معرفته استعمال الخرائط البحرية المسماة الرهنامج، وكذلك بيت الإبرة (البوصلة)[2].

## رابعاً: الموانئ

إن جغرافية العالم الإسلامي وفرت شبكة من الموانئ المهمة، وكذلك شبكة دفاعية ساحلية مهمة مكوّنة من مراصد وأرباط، وهي منتشرة في جميع الأقاليم، ما ساهم في ازدهار علم الملاحة في الحضارة الإسلامية[3].

## خامساً: بناء السفن

كان البحارة المسلمون يبنون ويرممون المراكب، وفيها كانوا يحفظون العتاد والأصناف الضرورية لتجهيزها، وكان ثمة أسلوبان في بناء السفن: يتم البدء ببدن السفينة، أو يتم البدء بالعمود، ثم الهيكل.

وذكر ابن خلدون أن النجارين كانوا يحضرون أجساماً هندسية متخذين الحوت نموذجاً لبناء السفن. فالنجارة كان لها صلة وثيقة بالهندسة، فكانوا يجتهدون بالقياسات والأشكال الهندسية التي يختارونها[4].

1 ـ المرجع نفسه، 169 – 172.

2 ـ المرجع نفسه، ص172 – 173.

3 ـ ينظر: المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، د.م.، د.ت، ج 1/187، 206؛ وجدان فريق عناد، إمارة الحج في المغرب العربي والأندلس، دار أمجد، عمان، 2015؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، بيروت، 1969، ص 169؛ كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، الاسكندرية، د.ت.، ص337.

4 ـ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ / 1405م). المقدمة، المطبعة الأزهرية، القاهرة، 1311 هـ، ص 152.

كانت تلك المراكز تقام في المناطق الغنية بالخشب، أو الأماكن التي يسهل العثور عليه فيها، وكل دار صناعة كانت تستعمل نوع الأخشاب التي تناسب نوعية المراكب المطلوبة. ففي المتوسط كانت أنواع الخشب المستعمل غالباً خشبَ الصنوبر والسنديان وشجر الخوخ والزيتون، أما في ساحل بحر الظلمات (الأطلسي) فكان يستعمل خشب القسطل الأخضر والمران إلى جانب أنواع أخرى. وبعد أن يقطع الخشب كان يحتاج إلى معالجة لتخليصه من النسغ حتى يجف، ثم يخضع للحرارة لتساعد في إعطائه شكله النهائي[1].

وإلى جانب الخشب، كانوا بحاجة إلى مواد أخرى كالحديد للمسامير والمراس والمرافع، والقار والقطران، والكتان وأنواع أخرى من الأنسجة لصناعة الأشرعة، وغيرها من المواد[2].

وكان إصلاح السفن أمراً لا يمكن الاستغناء عنه، يتمثل في تجديد بدن السفينة بإدخال القطن والكتان والشحم، لا سيما حول المسامير التي تجمع قطع الخشب، وفي إصلاح الأشرعة كذلك.

## سادساً: المراصد والأرباط

كوّن المسلمون شبكة للحراسة والمراقبة يكون موقعها على الجانب الأقصى من السواحل وعلى المخارج البحرية، أو على نقاط مرتفعة مما يسمح بالقيام بمراقبة عينية للشواطئ، أما التواصل فيما بينها فيتم عن طريق نيران مشتعلة. ويمكن التمييز بين نوعين منها وهما:

- المراقب: التي كانت عبارة عن أبراج مقامة على مرتفعات لمراقبة البحر، والإشعار بكل ما يقع داخله.
- والأرباط: التي تمثل حصونا عسكرية ودينية إسلامية.

## سابعاً: فن رسم الخرائط

إن العناية بفن رسم الخرائط يرجع إلى فائدته الكبيرة، فاتساع حدود الدولة الإسلامية ولّد الحاجة لمعرفة المناطق المفتوحة، وتلك الحاجة للمعرفة يمكن إرجاعها إلى عوامل عدة أهمها:

- عوامل استراتيجية: فمعرفة المنطقة تسهل فتحها بسهولة كبيرة.
- عوامل اقتصادية: كانت المناطق المفتوحة تخضع لدفع الضرائب، والمعرفة الجيدة لها تسهل عملية جمع الضرائب.

---

1 ـ السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسطة، مؤسسة الجامعة، الإسكندرية، 1981، ص 66.

2 ـ الحميري، الروض المعطار، 106.

– عوامل دينية: العديد من المؤمنين كانوا يقومون بالرحلة لأداء فريضة الحج، مما أدى إلى الحاجة لمعرفة الأقاليم الإسلامية.

إن رسام الخرائط إلى جانب كونه عالماً، كان عليه أن يكون فناناً كذلك، فتحضير خريطة ما ليس معناه الحصول على المعلومات الضرورية للوصف فقط، بل يحتاج أيضاً إلى صياغة تلك المعلومات، فوضوح الخريطة شرط أساس لاستخدامها الصحيح من حيث العلامات والرسوم والألوان[1].

وقد تطور فن رسم الخرائط الإسلامية بشكل عام، وذلك التطور مرتبط بشكل عميق بالمعارف والتطورات التي شهدتها اختصاصات أخرى، كعلم الفلك والرياضيات، كما أن الأسفار البرية والبحرية أثرت بشكل كبير في فن رسم الخرائط، فالأسفار فسحت المجال لنوع جغرافي جديد أطلق عليه اسم «الرحلة»، وتشكل كتبه وصفاً دقيقاً للبلدان التي زارها الرحالة، ويعد عمل ابن بطوطة أحد أهم الأعمال، فقام برحلة شملت أماكن كثيرة من أنحاء العالم المعروف آنذاك.

إن هذا الفن تطور في المشرق الإسلامي، كما هو الحال في اختصاصات أخرى، فقد شهد بيت الحكمة في بغداد تحضير أول خريطة عربية إسلامية للعالم، وبعد ذلك تطورت مدرسة لفن رسم الخرائط في المشرق ينتمي لها جغرافيون كالبلخي والاصطخري وابن حوقل والمقدسي[2].

ويعد الإدريسي أعظم جغرافيي العصور الوسطى، وأهم مؤلف له أنجزه في صقلية في بلاط الملك روجير الذي كلفه بإنجاز خريطة للعالم. وبعد جهد كبير بذله في سبيل الحصول على الوثائق اللازمة لعمله، تمكن من إتمامها سنة 1154 م مرفقة بمؤلف جغرافي وصفي وصفيحة فضية. تتكوّن الخريطة الكاملة من سبعين خريطة، كل واحدة تمثل واحداً من الأقسام العشرة للمناخات السبعة، تضاف لها خريطة أخيرة مستديرة في بداية الكتاب. ومميزاتها الأساسية هي: موجهة مع الجنوب في جانبها العلوي، خطوطها تظهر بدقة محيط السواحل ومجاري الأنهار أو تحديد الجبال، تقسم الأرض إلى سبعة أقاليم من الشمال إلى الجنوب، كل واحد منها كان يقسم بدوره إلى عشرة أقسام من الغرب إلى الشرق، تستعمل بطريقة منظمة الألوان والرموز، الماء لونه أزرق، رموز للسلاسل الجبلية، ودوائر بالنسبة للمدن، أفريقيا تمتد من الغرب إلى الشرق، وتحتل كل الجانب العلوي من الخريطة، للمحيط الهندي بعد يعادل بعد البحر المتوسط، وشكل مطول ويحتوي مجموعة من الجزر، كذلك لابد من الإشارة إلى جهود

1 ـ ينظر: بيرنت خوان، هل هناك أصل عربي إسباني لفن الخرائط الملاحية، ترجمة مختار العبادي، مجلة المعهد المصري، العدد الأول، 1953، ص 45.

2 ـ بيرنت خوان، هل هناك أصل عربي إسباني لفن الخرائط، ص 45.

الجغرافي الأندلسي الغرناطي ابن سعيد المغربي[1].

ويمكننا القول إن الفن المتعلق برسم الخرائط كان له دور أساسي في ظهور مجموعة من الخرائط البحرية والملاحية لعبور بحر الظلمات (الأطلسي) وبالتالي اكتشاف القارة الأمريكية.

## الخاتمة:

إن الثقافة العربية الإسلامية، ساهمت في تطور علم الملاحة، فالتقنيات الملاحية المعروفة في مجالات علم الخرائط وعلم الفلك التي أغناها العلماء العرب والمسلمون، كوّنت حلقة مهمة في تاريخ العلوم.

فقد كانت الإنجازات العلمية للحضارة الإسلامية شاملة لكل أنواع المعارف التي فاضت وغمرت أوروبا بغزارتها ودقتها، والتي انتقلت إلى أوروبا عبر معابر مختلفة فأصبحت فيما بعد ركائز للنهضة العلمية الأوروبية. ومن تلك الركائز علوم الملاحة التي كانت على درجة غاية في الإتقان والتطور، وبفضلها تحقق ما عرف بعصر الاكتشافات الجغرافية، فكولومبس لم يكتشف العالم الجديد إلامن خلال اعتماده على خرائط العلماء المسلمين ومهارة البحارة المسلمين في علم الملاحة.

لذلك يمكننا القول إن الحضارة الغربية لن تتمكن من تحقيق الارتقاء الحضاري من دون أن تكون البداية من احترامها للحضارة الإسلامية والاعتراف بالإنجازات الإنسانية التي قدمتها للبشرية، والتي بفضلها وصلت الحضارة الغربية إلى ما هي عليه الآن.

1 ـ المرجع نفسه.

## قائمة المصادر والمراجع

1 . الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز (ت 548هـ/1154م). صفة المغرب وبلاد السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن، 1894م.

2 . الاصطخري، ابن إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي (ت النصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي). المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني، مطابع دار القلم، القاهرة، 1961.

3 . بيرنت خوان، هل هناك أصل عربي إسباني لفن الخرائط الملاحية، ترجمة مختار العبادي، مجلة المعهد المصري، العدد الأول، 1953.

4 . حسن صالح شهاب، فن الملاحة عند العرب، دار العودة، بيروت، 1982.

5 . الحميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت 900هـ/1494م). الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937.

6 . ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1405م). المقدمة، المطبعة الأزهرية، القاهرة، 1311هـ.

7 . سليمان بن أحمد بن سليمان المهري، العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية، تحقيق ابراهيم خوري، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1971.

8 . سليمان بن أحمد بن سليمان المهري ، تحفة الفحول في تمهيد الأصول في أصول علم البحر، تحقيق إبراهيم خوري، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1970.

9 . عبد الرحمن البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، المكتبة التجارية، مصر، 1923.

10 . عبد الرحيم بدر، الفلك عند العرب، مؤسسة مصري للتوزيع، لبنان، 1986.

11 . السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسطة، مؤسسة الجامعة، الإسكندرية، 1981.

12 . السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، بيروت، 1969.

13 . كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د.ت.

14 . ابن ماجد، شهاب الدين أحمد بن شهاب النجدي. كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، تحقيق إبراهيم خوري، مركز الدراسات والوثائق، الإمارات، 2001.

15 . المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، د.م.، د.ت.

17 . وجدان فريق عناد، إمارة الحج في المغرب العربي والأندلس، دار أمجد، عمان، 2015.

18 – ابن ماجد ، علم الملاحة في الأندلس، بحث مقدم إلى مؤتمر تاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، 2016/12/22-21.



# إضاءات في تاريخ لبنان الحديث والمعاصربين

# ملامح رسم الكيان ومحدّدات التنازع على الهوية

**الباحث الأستاذ حسين عبيد**

باحث في القضايا الفكريّة والتاريخيّة والتربويّة ورئيس دار ابداع للنشر والتوزيع

Hussein.o@hotmail.co.uk

## ملخص

تتناول هذه الدراسة السمات التاريخية البارزة في لبنان، وأبرز القضايا الجداليّة، يتصدرها التجاذبات التي حصلت على مستوى تسمية لبنان وحدوده، وما يحفُّ بها من تحولات لامست الكيان السياسي المتغير، الذي تجسّد على شكل إمارات إقطاعيّة، بلغت ذروتها في عهد الإمارة المعنية واستمرت في العهود اللّاحقة، والتي تمثّلت بثنائية درزية–مارونية، مع ما رافقها من شد ونفور تجاه السلطة المركزية العثمانية، فضلًا عمّا شهده من تجاذبات أفضت إلى حصول أزمات وثورات وفتن، استفادت منها القوى الأجنبية، وعززت فيها من نفوذها، مستغلة التنوّع في النسيج الاجتماعي والعقدي في لبنان، وفي اتجاه آخر كشفت ثورة الفلاحين عن ملامح صراع بين الموروث والمتجدد، وما استُولد من نزاعات حول هوية لبنان بمختلف الأشكال والمستويات، والتي لا تزال تداعياتها ماثلة في لبنان حتى يومنا هذا.

## Abstract

This paper deals with the prominent historical traits of Lebanon and the most debatable issues, especially the differences on what to name the country and its borders. It also goes over the transformations that the changing political entity witnessed, which were manifested by feudal emirates (principalities)

that culminated in the era of the Maani Emirate and continued in the following eras. These principalities formed a Dirzi-Maronite duality, which was accompanied with various tensions with the central Ottoman government, in addition to the internal crises revolutions and strives, which were beneficial to the foreign powers and enabled them to increase their influence, by exploiting the Lebanese fabric social and sectarian diversity.

On another level, the peasants' revolution revealed a struggle between the inherited and the new , as well as the various conflicts over the identity of Lebanon, whose repercussions still linger until now.

يشكّل تاريخ لبنان الحديث والمعاصر مادّة تاريخيّة مهمّة للبحث والدراسة، لا سيما في القضايا المثيرة للجدل، من رسم الكيان وحدوده، إلى تحديد الهويّة والانتماء، لما يترتب على ذلك من مواقف في العديد من القضايا والأحداث، بمؤثراتها وتفاعلاتها الداخليّة والخارجيّة، وبما أنّ مجال الدراسة لا يتّسع للإضاءة على هذه القضايا كلّها، سنسعى إلى تسليط الضوء على قضايا مفصليّة، وبما يتناسب مع طبيعة البحث.

## أولًا . سمات تاريخيّة عامّة

كانت السمة الإقطاعيّة هي السائدة في الغالب، في المناطق التي كانت خاضعة للسلطنة العثمانية، وكانت الإقطاعيات تتوزع على العائلات الاقطاعيّة، من مختلف الطوائف، الإقطاعي فيها هو الملتزم بجباية الضرائب عند الوالي العثماني، وبقيت الأمور على هذه الحال حتى إعلان دولة لبنان الكبير عام 1920[1].

وكما خضعت هذه الإقطاعيّات للتغير المستمر في حدودها، كذلك اختلفت تسمياتها باختلاف المراحل التاريخيّة، ففي القرن السابع عشر اتخذت مناطق جبّة بشري والبترون وجبيل، اسم جبل لبنان، وكانت بغالبيتها من الموارنة، كانت منطقة كسروان التي تقع إلى الجنوب منها، جزءًا من جبل لبنان حينًا ومنفصلة عنه حيناً آخر. أمّا المنطقة الواقعة إلى الجنوب منها فقد عُرِفَت باسم جبل الدروز أو جبل الشوف، التي نزح إليها الموارنة خلال القرنين السابع والثامن عشر، كفلاحين في الإقطاع الدرزي، والتي ربّما استعملوا اسم موطنهم الأصلي فشمل الشمال والجنوب[2]. أمّا الشيعة فقد استقروا في شمالي البقاع وفي كسروان، حيث سُجّلت بداية دخولهم إلى مناطق الفتوح وجبيل ذات الغالبيّة المسيحيّة في القرن الخامس عشر،

---

1 ـ عبد الغني عماد، **مقترب تاريخي وسوسيولوجي في تكوين لبنان**، https://alhiwar2012.wordpress. com (1/4/2018).

2 ـ عبد الرؤوف فضل الله، **لبنان دراسة جغرافيّة**، دار النهضة العربية، بيروت، ط 2، 1989م، ص 25.

وفيها تحوّل بمرور الزمن الكثير من عائلات الشيعة إلى المارونيّة[1]، في حين شهد الساحل في الغالب توسع الاجتماع السّني في مدنه والسهول الداخلية[2].

ولئن كانت السمة الإقطاعيّة، هي التي تتصدر المشهد السياسي–الإداري، فإنّ اهتمام السلطات العثمانية من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، كان في ما يبدو محكومًا بخلفية اجتماعية أكثر ممّا هو مرتكز على الخلفية العرقيّة أو الدّينية[3].

## ثانيًا – مواقف اللبنانيين من قضايا خارجيّة

### 1– معركة مرج دابق

أفضى انتصار العثمانيين على المماليك في معركة مرج دابق (1516م)، إلى تحولّات سياسية وعسكرية مهمّة على صعيد العالم الإسلامي، والمشرق العربي آنذاك، انتهت بالسيطرة على مصر سنة 1517م، فأنهت حكم المماليك، وأرخت بتداعياتها على بلاد الشام، ومن ضمنها مناطق الشوف، وفيها تمت إزاحة الهيمنة التنوخيّة على بلاد الغرب وعاليه، وحلّت الإمارة المعنيّة مكانها، (1590 – 1635م)، حيث تولّد معها صراعات النفوذ والسيطرة، على المناطق الإقطاعيّة[4]، وفيها تمكن الأمير فخر الدين المعني الثاني، الذي تحوّل بعد السيطرة على مناطق شاسعة من بلاد الشام، من أمير للشوف إلى حاكم لرقعة واسعة تزيد عن مساحة لبنان بصيغته المعاصرة[5]، بعد مواجهته الولاة العثمانيين، والإقطاعيّات الأخرى، وما سعّر الصراع تعاونه مع الدول الأوروبيّة الكبرى، التي كانت تتبنى الطوائف في لبنان، وتغذي الصراعات فيما بينها[6].

تعتبر الإمارة الشهابيّة عام 1697م، وريثة الإمارة المعنيّة وامتدادًا لها، إذ بدأت مع نهايات عهدها ترهص بتحولات في مناطق سيطرتها، مع نزوح الموارنة جنوبيًا، ما أدّى إلى تزايد نموهم الديموغرافي وتنامي نشاطهم الزراعي والمهني، وتنصّر جزء من الأسرة الشهابيّة واعتناقها المارونيّة، فضلًا عن علاقاتهم المتنامية بالغرب، ما أدّى إلى تعزيز قدراتهم[7]، ونفوذهم في المنطقة.

---

1 ـ ستيفان وينتر، **الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني**، ترجمة محمد حسين المهاجر، منشورات مركز الحضارة لتنمية الفكر، ط1، بيروت 2016م، ص 129–128.

2 ـ فضل الله، **المرجع السابق**، ص 33.

3 ـ وينتر، **الشيعة في لبنان**، ص 123.

4 ـ مسعود ضاهر، **ربيع الطوائف في لبنان**، 4/3/2018) http://faroukit.blogspot.com).

5 ـ عماد، **مقترب تاريخي**، المكان نفسه.

6 ـ ضاهر، **المرجع السابق**، المكان نفسه.

7 ـ عماد، **المرجع السابق**، المكان نفسه.

أمّا السلطة والنفوذ في منطقة جبل لبنان، فقد قامتا على ثنائية طائفية مارونية–درزية، حاولت كل واحدة منهما تشكيل نواة قوة تنزع نحو الانفصال عن السلطنة، كل بأسلوبه الخاص، فاستغل الموارنة انتماءهم الديني، لتطوير العلاقات التجارية كوكلاء للشركات، وعن طريق إنشاء المدارس، والبعثات التعليميّة، بينما استفاد الدروز من موقعهم السياسي كأمراء للجبل في تأسيس «دولة» تتميز بخصائص حداثية (عمرانيّة) تعتمد في شكل كلّي على خبرات الغرب وخاصّة إمارة توسكانا آنذاك[1].

ومن المفارقات أنّ عوامل النزوع عن السلطة المركزيّة، كانت ديدن المكونات الطائفية والمذهبية، كالموارنة والدروز والشيعة، ولكل خاصيّته ودوافعه، ففي حين كان الانشداد الماروني يتمثّل في الإخلاص للبطريرك الماروني، باعتباره وسيلة للتعبير عن الوجود السياسي والديني، بعيدًا عن السلطة العثمانية المركزية،عارض الدروز والشيعة السلطة المركزية على مرّ التاريخ، سواء في جبل لبنان وفي غيره من المناطق، لاعتبارات مختلفة، ليس أقلّها المعارضة من منطلقات مذهبية ودينية، ومن خلال ممارسات قمعية، بخلاف الاجتماع السّني الذي كان على الدوام مع السّلطة منذ عهد المماليك لاعتبارات دينيّة وسياسيّة[2].

## 2 . غزو نابليون لبلاد الشام (1798م)

شكّلت حملة نابليون بونابرت إلى بلاد الشام، نقلة نوعيّة في تاريخ الصراع، في المنطقة، وكشفت عن طبيعة المواقف منها، حيث وقف الأمير بشير الثاني، وبعض القوى إلى جانبها، ولمّا نجح أحمد الجزّار في فك الحصار عن عكا، وجد هؤلاء أنفسهم في مصيدته، ما أفضى إلى تعقيدات الموقف.

كان من تداعيات هذه الحملة أن أعيد ترتيب التحالفات وتنظيمها وفق حسابات محليّة أشرف والي عكا على إدارتها[3]، هذا من جهة، كما تمكن الجزار من إحباط المشروع الفرنسي التوسعي، وبالتالي حرمانها من تأمين حاجاتها المتزايدة ممّا تنتجه بلاد الشام من القطن والحرير من جهة أخرى.

## 3 . حملة محمد علي على بلاد الشام

أعلن الأمير بشير الثاني موقفه المؤيّد لمحمد علي باشا، في حملته على بلاد الشام، بخلاف موقف أهالي جبل عامل الذين وقفوا إلى جانب محمد علي، في البدايات، ولكنّ موقفهم

1 ـ وليد نويهض، **جبل لبنان والبدايات الأولى للاستقلال السياسي، بلاد الشام تدخل عصر دول الطوائف (1)**، الوسط البحرينيّة، العدد 1561 – الخميس 14 ديسمبر 2006م/ 23 ذي القعدة 1427هـ.

2 ـ عماد، **مقترب تاريخي**، المكان نفسه.

3 ـ نويهض، **المرجع السابق**،المكان نفسه.

تبدّل بعد أن وسّع محمد علي من نفوذ الأمير بشير الثاني، وجعله حاكمًا على بيروت وصيدا وصور، سنة 1832م، وبذلك خضع جبل عامل لسلطة الأمير بشير، فعامل أهله معاملة تتسم بالشدة والعنف، ونكّل بزعمائه وعلمائهما. اضطر معظمهم إلى الاختفاء في دمشق، والهرب إلى العراق وإيران والهند، ليسهموا في نهضة تلك البلاد العلميّة[1].

وما فاقم من الأوضاع السياسية التي اعتمدها إبراهيم باشا التجنيد الإجباري طيلة الحياة، ما ألحق الضرر بزراعة التوت، وانتشار عادة الاحتماء بالقنصليات الأجنبيّة، أو الهجرة إلى خارج البلاد، أو تشويه لأعضاء البدن لتحاشي الخدمة العسكريّة، وبلغ الأمر ببعض الدروز أن أقدم على اعتناق المسيحية للخلاص من الجندية[2].

وجاءت خطوة مصادرة السلاح ونزعه من الأهلين في بلاد الشام، بحجة توطيد الأمن في البلاد وإسباغ الحماية على رعاياها، لتذكّي الصراعات، وتؤجج الأحقاد، ما أدّى إلى اندلاع الثّورات في وجه المصريين وحلفائهم من الشّهابيين[3].

ولئن كانت الدول الأوروبيّة، تعمل على إضعاف السلطنة العثمانيّة وإنهاك قواها، فإنّها دعمت الحملة المصرية إلى بلاد الشام، غير أنّ هذه الدول قلبت ظهر المِجن للمصريين، عندما شعرت بإمكانية نشوء دولة عربية قويّة، وقدّمت مساعدات مشروطة للسلطنة العثمانية، ما اضطر إبراهيم باشا إلى سحب قواته من بلاد الشام في العام 1840م، وخضعت هذه البلاد للسلطنة، ولكن تحت رقابة دولية[4].

ومع انهزام المصريين، تحوّلت الخصومات السياسية المحلية إلى مواجهات دموية طائفية عنيفة بين الدروز والموارنة، فأيدت فرنسا الموارنة، التي كانت تسعى جاهدة لإرجاع الأسرة الشهابية إلى الحكم ليتسع نفوذها، بينما وقفت بريطانيا إلى جانب الدروز، فعملت على تحريك الإقطاعيين ضد هذا المسعى[5]. وبذلك اتخذ الصراع بعدًا دوليًا، ونجح الأمراء الدروز في استعادة نفوذهم، مقابل إقدام بريطانيا على نفي الأمير بشير الشهابي إلى مالطا في العام 1840م[6]، ومع تردي الأوضاع تعاظم التّدخل الأوروبّي في شؤون جبل لبنان الداخلية، ما أدّى إلى تقسيمه رسميًّا لأول مرّة في تاريخه على أساس مذهبي درزي–مسيحي، فكانت

1 ـ نويهض، **جبل لبنان والبدايات الأولى**، المكان نفسه.

2 ـ **لطيفة محمد** سالم، الحكم المصري في الشام 1841–1831م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 2، 1410هـ/1990م، ص **291–287**.

3 ـ سالم، المرجع نفسه، ص 296–294.

4 ـ نويهض، **المرجع السابق**، المكان نفسه.

5 ـ إميل شاهين، **التكوين التاريخي لنظام لبنان السياسي الطائفي، لبنان السلطة ولبنان الشعب**، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ط 1، أيلول 2015، ص 49.

6 ـ نويهض، **المرجع السابق**، المكان نفسه.

النواة الأولى لزرع الطائفية[1].

هذا النّظام لم يكرس الانشقاق المذهبي فحسب، بل كرّس انتخاب أعضاء المجلسين في كل القائمقاميتين من وجوه الطائفة التي ينتمون إليها، على أن يتم الانتخاب بمعرفة المطارنة والشّيوخ العقّال، وبموجب فرمان من خلال السلطان، وهكذا تكرس الحكم في القائمقاميتين إلى زعماء الطوائف والإقطاع، فكان الأساس للنظام الإقطاعي الطائفي الذي ابتلي فيه لبنان حتّى تاريخه[2].

تميزت تلك النزاعات بكثير من التّوتر الطائفي، فخاض زعماء الطوائف المتنازعة صراعًا دمويًّا لتثبيت الزّعامة السياسيّة داخل الطائفة الواحدة، وانقسم زعماء الطوائف في جبل لبنان بين مؤيد ومعارض لقوى خارجية، ما أسس لمرحلة من النزاعات الطائفية لا تزال تتجدد بأشكال متنوعة منذ أواسط القرن التاسع عشر[3]، والتي اكتسبت في فترة من الفترات، وما تزال، مظهرًا اجتماعيًّا واقتصاديًا وسياسيًا، كان يعود على طائفة دون طائفة بالفائدة[4].

**ثالثًا – مواقف اللّبنانيين من قضايا داخلية**

**1 – ثورة الفلاحين 1858م**

شكّلت انتفاضة زحلة عام 1858م، ضد تسلط الأمراء اللمعيين، نقطة تحول مهمة في الوضعين الاجتماعي والسياسي في جبل لبنان، تلتها انتفاضة كسروان 1860–1859م، وفيها تمكن الفلاحون بقيادة طانيوس شاهين من القضاء على نفوذ المشايخ من آل الخازن، وإلغاء النظام الإقطاعي، وإقامة الجمهورية، واستيلاء الشعب على السلطة.

كان يعتلي سدة البطريركية في تلك الفترة البطريرك بولس مسعد، الذي كان وعددًا من المطارنة، من صلب الطبقات الشعبية، فدعم حركة الفلاحين في العلن على مقاومة النظام الإقطاعي والثورة على نظام جائر في جباية الضرائب وكبت الحريات والاستغلال والإذلال[5].

رفض الإقطاعيون هذه المطالب، وتمسكوا بالتقاليد الموروثة التي أنزلوها منزلة الحقوق الثابتة، مع غفلتهم عن التحوّلات الاجتماعية العميقة التي تجتاح البلاد، فتداعى الفلاحون

1 ـ شاهين، **المرجع السابق**، ص 49.

2 ـ شاهين، **المرجع نفسه**، ص 50.

3 ـ ضاهر، **ربيع الطوائف**، المكان نفسه.

4 ـ حمدي الطاهر، **سياسة لبنان في الحكم**، المطبعة العالمية، القاهرة ،ط 1، 1979م، ص 32.

5 ـ طالب الفلاحون الإقطاعيين بالمساواة في الحقوق والواجبات وإلغاء السخرة والعدول عن ضرائب الزواج والأعياد التي كان المشايخ يفرضونها عليهم، وبأن يُحاكم كل إقطاعي يعتدي على فلاح كما يحاكم الفلاح الذي يعتدي على حقوق الآخرين.

عادل إسماعيل، **عهد الفوضى والاضطرابات 1860–1840م، التقسيم والفتن الطائفية**، مركز الحريري الثقافي، بيروت، ط 1، 1993م، ص 369.

عندئذ للثورة وانقضّوا سنة 1858م على المشايخ من أهل الإقطاع، فلاذ هؤلاء بالفرار ولجأوا إلى بيروت أو إلى المناطق الجبلية الوعرة[1]، لتشكّل هذه الحركة، على قلّة رجالها وضعف مواردها بداية صفحة جديدة في تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي[2]. أمّا قائمقاميّة الدروز، فظهرت فيها بوادر لفكرة التحرر من الإقطاع، لا سيما، وأنّ أخبار التطوّرات الاجتماعيّة في القائمقاميّة المسيحيّة، وما نتج عن ذلك من ضعضعة في صفوف مشايخ الإقطاع[3]، ولكن ثورة الدروز لم تخرج إلى حيّز الفعل، وبقيت كامنة في القائمقاميّة الدرزيّة، بفعل عوامل عديدة، لعل أبرزها الصّراع الدّولي الفرنسي–البريطانيّ، مع ملاحظة هيمنة بريطانيّة في القائمقاميّة الجنوبيّة.

## 2 – فتنة 1860م وقيام نظام المتصرفية

في ما بين الحركة الفلاحيّة في القائمقامية الشماليّة، والكُمون الحركيّ في القائمقاميّة الجنوبيّة، تفاقمت الأوضاع في جبل لبنان، ولأسباب داخليّة متعددة، التقت مع مطامع خارجية متضاربة، حصلت أحداثٌ طائفية دامية في لبنان سنة 1860م، استدعت تدخلات أجنبية أفضت إلى عقد مؤتمر دولي أنتج نظام المتصرفية جبل لبنان[4].

ولما اشتدت حدّة الأزمة استكتب خورشيد باشا القائمقامين في 6 تموز سنة 1860م، اتفاقًا وقع عليه بعض زعماء الدّروز والمسيحيين، يرجعون كل ما وقع بين الطائفتين إلى تقسيم البلاد، ويطلبون من الباب العالي إلغاء هذا التقسيم، وإعادة الجبل إلى الحكم العثماني المباشر[5].

كاد هذا الاتفاق أن يحظى بموافقة الأغلبيّة من أبناء الجبل، ولكن حصول فتن دامية في دمشق، في تموز من السنة نفسها، ضد المسيحيين التي أوقفها الأمير عبد القادر الجزائري، قلبت الموقف رأسًا على عقب، وسمحت للأوروبيين بالتدخل[6] من جديد في شؤون المتصرفيّة.

وفي ما يتعلق بالنظام الأساسي للمتصرفيّة، فقد تقرر أن يكون حاكم متصرفية جبل لبنان مسيحيًّا كاثوليكيًّا من رعايا السّلطنة العثمانيّة، يُعينه الباب العالي في اسطنبول، وتُوافق على

1 ـ انطلقت الثورة بقيادة طانيوس شاهين، وهو بيطار من ريفون.
إسماعيل، **المرجع نفسه**،ص 369.

2 ـ Adel Ismaïl. **Histoire du Liban**, Tome 4. p. 332 – 336

3 ـ إسماعيل، **المرجع السابق**، ص 369.

4 ـ سعيد الغز،**نظام المتصرفية وإرساء الطائفية السياسيّة**، العدد 19، http://farah.kamaljoumblatt.com ، (8/4/2018).

5 ـ إسماعيل، **عهد الفوضى والاضطرابات**، ص 370.

6 ـ إسماعيل، **المرجع نفسه**، ص 370.

تعيينه الدول الأوروبيّة الست[1]. ويخضع هذا الحاكم لسلطة السّلطان العثماني مباشرة ، كما نصّ على تشكيل مجلس إدارة على أساس طائفي، يتألف من اثني عشر عضوًا بمعدل مُمثِّلَيْنِ عن كل طائفة من الطوائف الست[2]، دون الأخذ بالاعتبار أعداد كل طائفة، ولكن لم تلبث أن حصلت تعديلات سنة 1864م في الحصص الطائفية[3]، كما رُسِمَتْ حدود المتصرفية مستثنية منها مناطق طرابلس، وبيروت وصيدا، وسهل البقاع، رغم مطالبة المندوب الفرنسي بضمّها إلى المتصرفية، ورفض سائر المندوبين لهذا الطلب[4].

ويبدو أنّ بريطانيا كانت تعمل على الحدّ من النفوذ الفرنسي في المنطقة، من خلال الإبقاء على مساحة جغرافيّة محصورة في منطقة الجبل، باعتبار أنّ حكومة المتصرفيّة ستكون بيد فرنسا، وقد عبّرت بريطانيا عن رفضها إضافة مساحات جديدة لحكومة المتصرفيّة، وعليه يجب تصغير لبنان لئلّا يكون دولة قوية حليفة لفرنسا، وعليه وضع الجنرال «بوفور» Beaufort قائد الحملة الفرنسيّة العسكريّة إلى لبنان مشروعًا معدلًا يقضي بـ"قيام نظام مسيحي في لبنان"[5].

في ضوء ما تقدم، يمكن القول إنّ التطورات التي حصلت منذ عهد القائمقاميتين حتى نهاية نظام المتصرفية، قد شهدت تدخلات فاضحة من قبل الدول الأوروبية في شؤون السلطنة العثمانية، توّجت بتحولات مهمّة في أشكال النظام السياسي، وما يرافقه من صراعات ونزاعات بين مختلف المكونات والشرائح الاجتماعية والسياسية والمذهبية والاقتصادية.

## رابعًا . التنازع حول الهويّة

### 1 . على الصعيد السياسيّ

بقيت ولادة الكيان السياسي اللبناني محكومة بظروف النشأة وتعقيداتها، ولم يكن إعلان لبنان الكبير إلّا محطة من محطات صراع سوف يتجدد حول هوية لبنان، وهو صراع اتخذ المنحى الطائفي كلّما كان يُطرح، انشعب فيه موقف اللبنانيّين، فبقيت غالبية المسلمين تطالب بالانضمام إلى سوريا، وتمسكت غالبية المسيحيين بالحماية الفرنسية، ما جعل الكثير من المسلمين يستنكفون عن المشاركة بداية في بناء الدولة التي يرفضون الاعتراف بشرعيتها،

---

1 ـ فرنسا، بريطانيا، روسيا، بروسيا، النمسا، إيطاليا.

2 ـ الموارنة، الروم الأرثوذكس، الروم الكاثوليك، السنة، الشيعة، الموحدون الدروز.

3 ـ الغز، **نظام المتصرفية**، المكان نفسه.

4 ـ الغز ،**المرجع نفسه**، المكان نفسه.

5 ـ من الملفت للنظر التبرير البريطاني لهذا الرفض، وقد جاء فيه: «إنّ تخلي الباب العالي عن ثغور بيروت وصيدا وطرابلس يجعل دمشق وسوريا بأسرها في قبضة السلطة في لبنان، وقيد أوامر صاحب السلطة الذي سيكثر من مساعدة فرنسا في إنشاء الأديار ومعاهد العلم حتى تكاد تملأ البلاد، لإنجاح سياسة فرنسا في المنطقة. الغز ، **المرجع نفسه**، المكان نفسه.

والتي كان يُنظر إليها في الغالب على أنّها «كيان» مؤقت، وليست «وطنًا» نهائيًا، كيان الغلبة فيه لطائفة تحصد أغلب المغانم وتُحقّق من خلالها الكثير من المصالح[1]، وفي خلاله تم «مَنتجةُ» الميثاق الذي جاء في سياق تحولات دوليّة، أسست لعقود الشراكة الوطنيّة، التعايش–العيش المشترك، العيش الواحد[2].

ولئن كان لبنان يعيش أزمة هوية سياسية وثقافية، بين مختلف مكوناته، فقد جاء الميثاق الوطني تعبيرًا واضحًا عن حالة الانقسام في المجتمع اللّبناني، وعن النسيج الطائفي فيه، بتأثيراته على النّظام السياسي، سواء في ما بثّه من عُرْفٍ في توزيع المناصب السياديّة في الدولة، كرئاسة الجمهوريّة ورئاسة الوزراء ورئاسة مجلس النّواب بين الطوائف الرئيسة في لبنان.

مع تداخل عوامل إقليمية ودوليّة بالعوامل الداخلية، بدأت المنطقة تشهد تحولات مهمة تجسّدت في اغتصاب فلسطين سنة 1948، حيث أضحى لبنان في دائرة التجاذب بين بلد شقيق وعدو متربص، وما تركته من تداعيات على لبنان، سواء في الاعتداءات المتكررة، أو في أطماعها بمياهه وأراضيه، أو في محاولاتها لسلب دوره الريادي في العالم العربي والعالم، والنتيجة الطبيعيّة قيام حركات المقاومة بمختلف أطيافها لمواجهة هذا العدو، وما رافق ذلك من انشطار في المواقف على مستوى المكوّنات اللبنانية بين منخرط في الصراع، وآخر داعم ومساعد، وثالث كان في مصافّ اللّامبالاة، ورابع معترض، وتمثّل ذلك في السّلوكيات والممارسات.

وقد تصاعدت وتيرة الأشكلة إلى ذروتها، خلال الحرب الأهليّة حتى بلغت حدّ الانفصال التام، في مشروعين، الأول انفصالي والثاني وَحْدَوي، وإن تمكن اتفاق الطائف الذي جاء نتيجة تسوية دوليّة وإقليميّة، من إيقاف الحرب، ولكنّه لم يتمكن من إنهاء التجاذبات والنزاعات بين اللبنانيين بأشكالها المتنوعة، ولم يزل التنازع قائمًا بأوجه مختلفة حتّى يومنا هذا.

## 2 . على الصعيد الثقافي

لم تقتصر النّزاعات حول الهويّة السياسيّة، فحسب، بل شملت الهويّة الثقافيّة بما تحمله من موروثات، وقد تمّ توظيفها في الصراع الطائفي–السياسي، ما أدّى إلى حدوث انشطار مجتمعي ثقافي–تربوي ذي اتجاهات إيديولوجيّة–سياسيّة متضاربة، فانعكس ذلك على اللّغة العربيّة بعد 1920م، وذلك لما لها من دور وأثر كبيرين في تحديد الهويّة والانتماء[3]، وأفرز في هذا المجال اتجاهات ثلاثة في الثقافة:

---

1 ـ عماد، **مقترب تاريخي**، المكان نفسه.

2 ـ هذه المفردات بحاجة إلى توضيح وتفسير، مع ملاحظة ظروف نحتها، ومقتضيات وجودها، وقد تم توظيفها من قبل أهل السياسة في أدبياتهم وخطاباتهم في سبيل تحقيق أهداف معينة.

3 ـ عبد الرؤوف سنو، **تاريخ لبنان حتى مطلع القرن الواحد والعشرين، قراءة في تطور ومقومات التعايش الطائفي وممارساته**، ص 18 (18/3/2018 /http://www.abdelraoufsinno.com)

– تأكيد بعض المسيحيين على التعدديّة الثقافية، وموافقة غالبية المسلمين على التعدّدية الدّينية، وإصرارهم على التنوع الثقافي ضمن الثقافة العربيّة الواحدة[1].

– دور رواد النهضة العربيّة، والمجاهرة بالعروبة وبالوحدة السوريّة عبر جمعياتهم الأدبيّة وجمعياتهم السرّية في سبيل إيجاد قواسم مشتركة مع المسلمين في سبيل التخلص من الحكم العثماني[2].

– دعوة بعض النّخب المسيحية إلى التخلي عن اللّغة العربية، واعتماد لهجات عاميّة.

**3 – على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي**

على الرغم من قيام علاقات تجاريّة ومصالح اقتصاديّة، وحصول المخالطة في المدرسة والجامعة والمنتدى والمقهى، وفي مرافق العمل والإنتاج وفي التردد على سوق واحدة[3]، فإنّ تشابك المصالح الاقتصاديّة وتقاطعها والتلاقي الاجتماعي، لم يؤدّ إلى حال من الاندماج المجتمعي، الذي يمكن وصفه بالعيش المشترك، ويعود ذلك إلى انعكاس النظام الطائفي على الهويّة الاجتماعيّة لكل طائفة دينية، باعتبار أنّ المجموعات اللبنانية منذ قرون عدة، عاشت منغلقة تقريبًا على نفسها تبعًا للانتماء الديني والمناطقي[4]، وعلى الرغم من زوال الحكم العثماني، بقي العديد من المشاكل ذات الإرث السوسيولوجي أو السياسي مرتبطًا بالحالة العثمانيّة، وبما أنّ المجتمع كان قائمًاعلى التمايز بين مسلم وغيرمسلم، فقد بقي للانتماء الديني أهمّية كبيرة في الموروث التاريخي العائد لتلك المرحلة[5].

في المقلب الآخر اختلف حال التجاذب الذي كانت تعيشه المدن المنتشرة على الساحل بغالبيتها السنية، عن تلك التي تعيشها القطبية الجبلية الدرزية–المارونية، فقد برزت منذ أواسط القرن الثّامن عشر قوى محليّة مدينيّة جديدة عرفت بالأعيان، ومنهم العلماء والعائلات الدينيّة وكبار ملّاك الأراضي وملتزمي الضرائب وكبار التّجار ومشايخ الحرف[6]، كما حصلت تحولات في بدايات القرن التّاسع عشر من الأحياء والأسواق القديمة إلى الأحياء الجديدة ذات الأجواء

---

1 ـ سنو، المرجع نفسه، ص 24.

2 ـ علي المحافظة، **الاتجاهات الفكريّة عند العرب في عصر النهضة 1798–1914م**، بيروت، ط5، 1987م، ص 131–130.

3 ـ أحمد بيضون، **الجمهورية المتقطعة، مصائر الصيغة اللبنانيّة بعد الطائف**، دار النهار، بيروت، ط 1، 1999، ص 57.

4 ـ أحمد حطيط، **علميّة كتابة تاريخ لبنان بين أزمة المنهج وهاجس التوحيد**، مجلة المرقب، جامعة البلمند، العدد 2 ، 1998م، ص 240 – 241؛ سنو، **تاريخ لبنان**، ص 31.

5 – Laurent et Annie Chabry, **Politique et Minoritésau Proche-Orient**, Paris, Maisonneuve, 1984, p. 37-38.

6 ـ عماد، **مقترب تاريخي**، المكان نفسه.

الأوروبيّة، ما أدّى إلى اختفاء حِرَفٍ كثيرة كليًّا، نتيجة المنافسة الأوروبيّة ووكلائها المحليين من المسيحيين الذين استفادوا من الامتيازات الأجنبيّة على حساب التّجار المسلمين، ما دفع شرائح واسعة من البورجوازية السّنية الناشئة إلى الاستثمار بالأرض والعيش من ريعها[1]، وقد انعكس ذلك، في وجه من وجوهه، على اعتماد أهالي الجبل اعتمادًا كلّيًا على الفلاحة والعناية بأشجار التوت والزيتون والعنب وشجيرات القطن، إذ إن سكان السهل يقبلون على زراعة الحبوب، ويمارس سكان السّاحل التجارة، فيبرعون فيها، لأنّها مورد رزقهم الوحيد وموضع عنايتهم[2].

وثمة نقطة جديرة بالذكر، طرحها أحد الباحثين.يقول إنّه «عندما نتحدث عن لبنان، يجب أن نحدّد عن أي لبنان نتكلم: لبنان الجبل أم لبنان المدينة؟ لأنّنا هنا أمام مجتمعين مختلفين»[3].

وفي المحصلة يمكن القول إنّ تاريخ لبنان الحديث والمعاصر يختزن في باطنه كوامن النزاعات والصراعات منذ زمن بعيد، التي تصاعدت في أواسط القرن التاسع عشر، حيث شهد بروزًا حادًّا بين مختلف مكوّناته، نتيجة التبدلات الإثنيّة والاقتصاديّة في بعض المقاطعات اللبنانيّة التي أذكتها صراعات بعض الدول الأوروبيّة في المشرق العربي، وقد وُظّفَتْ لأجل تفكيك السلطنة العثمانيّة كل أنواع العصبيات الطائفية والعرقية والقبلية والعائلية وغيرها.

ومن الأمور التي يمكن لحظها ظاهرة التحول المذهبي والدّيني لدى الشيعة والدروز في بعض الحقب التاريخية نتيجة الممارسات القمعيّة من قبل السلطات الحاكمة، ما ولّد نوعًا من التوجّس لدى هذه الشرائح، وجعلها تنظر بعين الشك والريبة لبعضها البعض.

ولا يغيب عن المشهد في كل ذلك، هوية لبنان، التي ارتسمت صورته بعوامل أملتها ظروفٌ تتعلق بمصالح الدول الأجنبية الكبرى، وتماشت معها قناعات وطموحات آخرين في الداخل، وإلّا ما معنى الممانعة والمعارضة لقيام دولة لبنان الكبير سنة 1920م، واتساع المدى الذي وصل إليه هذا التجاذب والتعارض بين مختلف التيارات من قوميّة، ولبنانية، وعربية، ووطنيّة، وإسلامية، وصولًا إلى 1943م حيث تم إرساء ما يعرف بالميثاق، مع ما رافقه من تفاعلات لا تزال ترخي بتداعياتها حتى يومنا هذا، وهذا لا يعني أنّ المكونات والعناصر التي يتشكل منها الاجتماع اللبناني لا تحمل في مخزونها قيمًا إيجابيّة تجسدت بالأبعاد الاجتماعيّة والإنسانيّة والفكريّة، التي ربّما تشكّل مصدر غنًى لهذا الاجتماع، لا سيما في وقت الشدائد والأخطار التي تُحدق بلبنان، باعتباره يشكل وطنًا نهائيًّا للبنانيين.

---

1 ـ عماد،**المرجع نفسه**، المكان نفسه.

2 ـ فضل الله، **لبنان دراسة جغرافيّة**، ص 25.

3 ـ شاهين، **التكوين التاريخي**، ص 33.

## المصادر والمراجع:

### أولًا . المراجع بالعربية


1. إسماعيل، عادل، عهد الفوضى والاضطرابات –1840 1860م، التقسيم والفتن الطائفية،مركز الحريري الثقافي، بيروت، ط 1، 1993م، ص 369.
2. بيضون، أحمد، الجمهورية المتقطعة، مصائر الصيغة اللبنانيّة بعد الطائف، دار النهار، بيروت، ط 1، 1999م.
3. سالم، لطيفة محمد، الحكم المصري في الشام 1841–1831م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 2، 1410 هـ / 1990م.
4. شاهين، إميل، التكوين التاريخي لنظام لبنان السياسي الطائفي، لبنان السلطة ولبنان الشعب، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ط 1، أيلول 2015م.
5. الطاهر، حمدي، سياسة لبنان في الحكم، المطبعة العالمية، القاهرة، ط 1، 1979م.
6. فضل الله، عبد الرؤوف، لبنان دراسة جغرافيّة، دار النهضة العربية، بيروت، ط 2، 1989م.
7. المحافظة، علي، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1914–1798م، بيروت، ط 5، 1987م.
8. وينتر، ستيفان، الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني، ترجمة محمد حسين المهاجر، منشورات مركز الحضارة لتنمية الفكر، ط 1، بيروت 2016م.


### ثانيا . المجلات والدوريات


1. حطيط، أحمد، علميّة كتابة تاريخ لبنان بين أزمة المنهج وهاجس التوحيد، مجلة المرقب، جامعة البلمند، العدد 2، 1998م.
2. نويهض، وليد، جبل لبنان والبدايات الأولى للاستقلال السياسي، بلاد الشام تدخل عصر دول الطوائف (1)، الوسط البحرينيّة، العدد 1561 – الخميس 14 ديسمبر 2006م / 23 ذي القعدة 1427هـ.


### ثالثاً . المواقع الإلكترونية


عماد، عبد الغني، مقترب تاريخي وسوسيولوجي في تكوين لبنان،
https://alhiwar2012.wordpress.com، (1/4/2018).

ضاهر، مسعود، ربيع الطوائف في لبنان، 4/3/2018) http://faroukit.blogspot.com).

سنو، عبد الرؤوف، تاريخ لبنان حتى مطلع القرن الواحد والعشرين، قراءة في تطور ومقومات التعايش الطائفي

وممارساته، 18/3/2018) /http://www.abdelraoufsinno.com)

1. الغز، سعيد، نظام المتصرفية وإرساء الطائفية السياسية، مجلة الفرح، العدد 19، .http://farah kamaljoumblatt.com) 8/4/2018).

## ثانيًا – المراجع باللّغة الأجنبيّة:

1 - Chabry, Laurent et Annie, Politique et Minorités au Proche-Orient, Paris, Maisonneuve, 1984.

2 - Ismaïl, Adel, Histoire du Liban. Tome 4 .Beyrouth, 1958.



# موقف الولايات المتحدة الأميركية من العدوان الثلاثي على مصر عام 1956

الدكتورة: راما عزيز دراز

منتدب للتدريس في كلية العلوم الإنسانية – جامعة بيروت العربية

ramaroka@hotmail.com

## ملخص

تناول البحث موقف الولايات المتحدة الامريكية من العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، بعد تأميم قناة السويس، واتفاق فرنسا وبريطانيا وإسرائيل على شن العدوان على مصر آنذاك.

لقد وقفت الولايات المتحدة الأمريكية تحافظ على مصالحها، وذلك بمنع بريطانيا من الانتصار من خلال العدوان، وذلك خوفاً من عودة النفوذ البريطاني إلى الشرق الأوسط. وحاولت الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً، أن تقف موقفاً حيادياً، ليس بسبب عداوتها للدول الثلاث المعتدية، وإنما بسبب خوفها من تنامي نفوذ الاتحاد السوفياتي في مصر والعالم العربي، لهذا انتهت أزمة العدوان الثلاثي بإضعاف بريطانيا وفرنسا وإسرائيل، وفي الوقت نفسه، تنامت قوة ونفوذ الرئيس جمال عبد الناصر.

## Abstract

The research tackled the position of the United States of America on the tripartite aggression against Egypt in 1956, after the nationalization of the Suez Canal, and the agreement of France, Britain and Israel to launch aggression against Egypt at the time.

The United States has maintained its interests by preventing Britain

from winning through aggression for fear of the return of British influence to the Middle East.

The United States also tried to stand neutral, not because of its hostility to the aggressor countries, but because of its fear of growing influence of the Soviet Union in Egypt and the Arab World. This ended the crisis of triple aggression by weakening Britain, France and Israel. At the same time, the strength and influence of President Gamal Abdel Nasser has grown…

## المقدمة:

كانت حرب 1956م تحالفاً بريطانيا وفرنساوإسرائيل ضد مصر، وقد كانت مشاركة كل دولة من هذه الدول الثلاث لمصالح خاصة بها.

شكلت حرب السويس (كما أُطلق عليها عام 1956) إحدى حالات الصراع على المشرق العربي لبسط النفوذ الغربي عبر المواجهة العسكرية والسياسية، بين مصر والدول سابقة الذكر.

وكانت حرب السويس 1956، قد اندلعت لعدة أسباب وأهداف، ومن أهمها:

– **قناة السويس وتأميمها:** كان قرار الرئيس جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس، من الأسباب الرئيسية لحدوث هذه الحرب، لذلك سميت هذه الحرب بحرب السويس، وكان المصريون يتطلعون لامتلاك القناة، قناة مصرية، باعتبارها رمزاً قومياً، ومما شجع الرئيس جمال عبد الناصر لاتخاذ هذا القرار، تراجع الولايات المتحدة عن تمويل بناء السد العالي، وقد اعتبرت كل من بريطانيا وفرنسا أن هذا القرار منافٍ للقانون الدولي، واغتصاب لحقوقهما المشروعة في قناة السويس مما أثار بريطانيا وفرنسا ضد مصر بالإضافة لأسباب أخرى[1].

– **محاولة إزاحة جمال عبد الناصر:** كانت مصلحة البريطانيين في إزاحة عبد الناصر (العدو الأول للإمبريالية) ولحلفائهم في العالم العربي، وفي مقدمتهم نوري السعيد رئيس وزراء العراق، وبإسقاط عبد الناصر تكون بريطانيا قد انتقمت من تأميم قناة السويس ومحاولة استعادة مركزها السابق في مصر قبل ثورة يوليو 1952م، واقتنع الإنجليز والفرنسيون بأن أقل فشل يتعرض له عبد الناصر سيثير ضده الشعب المصري ويفسح المجال أمام منافسيه[2].

– **الرؤية والمصلحة الفرنسية:** كانت نظرة فرنسا في أن إسقاط عبد الناصر، سينعكس إضعافاً للثوار في الجزائر، على اعتبار أن عبد الناصر كان راعياً أساسياً للثورة الجزائرية، وخاصة

1 ـ محمد سعيد حمدان: سياسة مصر تجاه القضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص 443.

2 ـ محمد نصر مهنا: مشكلة فلسطين أمام الرأي العام، 1967–1945، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1969م، ص371. وانظر أيضاً: الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، مج2، ص 162.

أن فرنسا كانت تجد صعوبة في الانتصار في الجزائر، وجاء أيضاً أمر تأميم قناة السويس كدافع آخر للانتقام[1].

## . تطورات حرب 1956:

كان قرار وهدف بريطانيا وفرنسا في الحرب على مصر هو تأميم السويس، أما إسرائيل فكان هدفها الحقيقي من وراء العدوان على مصر هو ضم سيناء إلى إسرائيل، باعتبارها جزءاً منها. واعتبرت أن قواتها لم تدخل الأراضي المصرية بدخولها سيناء، وأن سيناء قد تم تحريرها، أما بشأن اتفاقية الهدنة، فقد أعلنت عن انتهاء هذه الاتفاقية مع مصر مؤكدة أنها ماتت ودفنت، كما أعلنت عن زوال خطوط الهدنة بين مصر وإسرائيل، بل وقامت بطرد قوات الرقابة الدولية التابعة للأمم المتحدة، وأذاعت في اليوم التالي أن من أهداف إسرائيل في هجومها على سيناء تحرير هذا الجزء من الوطن[2].

وتدحرجت الأحداث بسرعة مذهلة ابتداء من 29 أكتوبر/ تشرين أول 1956م، واندفع الجيش الإسرائيلي داخل سيناء ليصل في مدى مائة ساعة إلى حافة قناة السويس.

وفي يوم 5 نوفمبر/ تشرين الثاني كانت شبه جزيرة سيناء كلها في قبضة إسرائيل، بعد انسحاب الجيش المصري، وكانت بريطانيا وفرنسا تنتظران دورهما المعد للهجوم على مصر، واصطنعتا مهلة لتدخلهما، بأن وجهتا إنذاراً لكل من مصر وإسرائيل يأمرانهما فيه بسحب جنودهما في مدى 12 ساعة على بعد عشرة أميال من جانبي القناة، وكما كان متفقاً عليه قبلت إسرائيل الإنذار ورفضته مصر كما كان متوقعاً[3].

وفي يوم 30 أكتوبر/ تشرين أول، عارضت كل من فرنسا وبريطانيا عن طريق الفيتو قراراً أصدره مجلس الأمن يقضي بوقف إطلاق النار فوراً على الجبهة المصرية.

وفي تاريخ الأول من نوفمبر/ تشرين ثاني، تحجّجت كل من فرنسا وبريطانيا برفض مصر الإنذار الموّجه منهما إليها وقامتا بضرب الأهداف العسكرية في كل من القاهرة والإسكندرية وبورسعيد والإسماعيلية مستخدمتين في ذلك طيرانهما المتمركز في جزيرة قبرص[4].

قام عبد الناصر بإصدار أوامره إلى القوات المصرية الموجودة في سيناء بالانسحاب إلى غرب سيناء لمواجهة الإنزال البريطاني الفرنسي في بورسعيد في ظروف صعبة للغاية نظراً لعدم

1 ـ الموسوعة الفلسطينية، المرجع السابق، ص 164.

2 ـ مذكرات محمود رياض، الجزء الأول، 1978-1948م، البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1985م، ص 143.

3 ـ محمد نصر مهنا، مرجع سابق، ص 386.

4 ـ المرجع السابق، ص387. وانظر أيضاً: مذكرات محمود رياض، مرجع سابق، ص 144.

وجود حماية جوية لها[1].

اكتسحت المظاهرات عواصم الدول العربية واجتاحت العالم العربي موجة من الغضب، وعرض الملك حسين وشكري القوتلي معاونة مصر تنفيذاً للاتفاقيات العسكرية الموقعة مع مصر، ولكن عبد الناصر رفض تدخل البلدين، ولكن مساء يوم 2 نوفمبر/ تشرين ثاني قام الفدائيون الفلسطينيون بالتعاون مع سلاح المهندسين السوري بتدمير محطات ضخ البترول في الأنابيب التي تنقله من العراق إلى البحر المتوسط[2].

أكد عبد الناصر من خلال خطبة من جامع الأزهر في 2 نوفمبر/ تشرين ثاني، أنه سوف يقاتل أي غزو ولآخر نقطة دم ليفدي بلداً وتاريخاً ومستقبلاً، وقطعت معظم الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية بفرنسا وإنجلترا وقدم الأمين العام للأمم المتحدة استقالته استنكاراً للعدوان، كما ارتفعت أصوات المعارضة الشعبية والبرلمانية في إنجلترا وفرنسا ضد حكومتيهما[3].

وبتاريخ 4 نوفمبر/ تشرين ثاني 1956م، ألقت الطائرات الفرنسية والبريطانية بالمظليين على بورسعيد وأنزلتا قواتهما التي راحت تتقدم بسرعة في اتجاه الإسماعيلية ولكنهما اضطرتا في اليوم السادس من نوفمبر إلى الامتثال لقرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة[4] وللضغط الأمريكي والتهديد السوفياتي بالالتجاء إلى استخدام وسائل الردع الذرية، حيث صارت سياسة الاتحاد السوفياتي في اتجاهين الأول التوجه إلى مجلس الأمن والثاني إلى أطراف العدوان الثلاثي مباشرة. حيث قام بالتهديد صراحة بعمل عسكري لردع العدوان وقد وجه بولجانين رئيس الحكومة السوفياتية رسالة إلى بن غوريون بهذا المعنى، رد عليها بن غوريون بأن ما قامت به إسرائيل كان عملاً للدفاع عن النفس بسبب السياسة التي اتبعها حاكم مصر منذ سنتين والتي تمثلت في تنظيم قوات فدائية لقتل الإسرائيليين وكذلك منع إسرائيل من المرور في قناة السويس ومضيق تيران[5].

وصدر في اليوم السابع من نوفمبر/ تشرين ثاني قرار آخر من الجمعية العامة للأمم المتحدة يأمر المعتدين بسحب قواتهم إلى ما خلف الخطوط التي بدأوا منها زحفهم، وتم الامتثال للأمر

---

1 ـ محمد نصر مهنا، مرجع سابق، ص 387.

2 ـ مذكرات محمود رياض، مرجع سابق، ص 157.

3 ـ الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص 168.

4 ـ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي–الإسرائيلي، المجلد الأول، مصدر سابق، القرار 997، صادر بتاريخ 2/11/1956، ص 39.

5 ـ نص رسالة بولجانين إلى بن غوريون وهي رسالة شديدة اللهجة هدد فيها بولجانين بسحب السفير من تل أبيب. الوثيقة رقم 182؛ محمد حسنين هيكل: ملفات السويس، مرجع سابق، ص 862.

بعد تلكؤ ومماطلة[1]. ولم يسحب البريطانيون والفرنسيون آخر قواتهم إلا يوم 22/12/1956م فيما تم سحب القوات الإسرائيلية يوم السابع من مارس 1957م ثم عادت قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة وحلت هذه القوات محل قوات المعتدين على الحدود بين مصر وإسرائيل[2].

كانت إسرائيل قد وافقت على سحب قواتها من الأراضي المصرية بمجرد إتمام الترتيبات لوصول الأمم المتحدة المزمع قدومها.

بالمقابل، تحدث بن غوريون في الكنيست آنذاك، أن قواته لم تدخل أرضاً مصرية وإنما اقتصرت العمليات العسكرية على شبه جزيرة سيناء فقط، واعتبرها بذلك أرضاً غير مصرية وأعلن أن اتفاقية الهدنة قد ماتت ودفنت ولن تعود مرة أخرى وأن خطوط الهدنة بين مصر وإسرائيل قد اختفت تماماً، وأعلن بن غوريون في هذا الخطاب أن سيناء هي صحراء أجنبية بالنسبة لمصر وأنه تم تحريرها بواسطة القوات الإسرائيلية، وأطلق أسماء عبرية على شرم الشيخ وجزيرة تيران، وأعلن فوق ذلك أن إسرائيل لن تقوم بسحب قواتها من الأراضي المحتلة ما لم تدخل مصر معها في مفاوضات مباشرة للصلح، وكان بن غوريون يساوم على شروطه بلغة الإملاء[3].

أبرق أيزنهاور في اليوم نفسه برقية إلى بن غوريون يطالب فيها إسرائيل بالإذعان إلى القرار الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة[4]، كما تم تهديد إسرائيل بإلغاء المساعدات الأمريكية وعقوبات من جانب الأمم المتحدة قد تصل إلى حد الطرد[5].

أمام هذا الموقف تراجع بن غوريون وأرسل في 8 نوفمبر/ تشرين الثاني 1956م رسالة إلى أيزنهاور يخطره فيها أنه لا يفكر في ضم سيناء وأنه على استعداد لسحب قواته[6].

وبدأ انسحاب القوات البريطانية والفرنسية مع شهر ديسمبر/ كانون أول 1956م، ورحل آخر جندي من المعتدين يوم 22 ديسمبر/ كانون أول 1956م، وأصبح يوم الثالث والعشرين من ديسمبر/ كانون أول 1956م عيداً قومياً تحتفل به مصر كل عام.

## قطاع غزة والانسحاب الإسرائيلي:

اجتمعت الجمعية العامة في أوائل عام 1957م بغرض بحث مسألة انسحاب إسرائيل وانتهت مناقشاتها بالموافقة على مشروع قرارين: أولهما يقضي استنكار عدم إذعان إسرائيل لما سبق

1 ـ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين، مصدر سابق، قرار رقم 1002، ص 43.

2 ـ محمد نصر مهنا، مرجع سابق، ص 387.

3 ـ مذكرات محمود رياض، مرجع سابق، ص 162.

4 ـ وثائق أساسية في الصراع العربي الإسرائيلي، ج5، 1956-1949م، جمع وإعداد: سمير أيوب، دار الكرمل، عمان، 1987م، الوثيقة رقم 57، ص 216.

5 ـ محمد سعيد حمدان: سياسة مصر تجاه القضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص 456.

6 ـ مذكرات محمود رياض، مرجع سابق، ص 260.

إقراره ويطلب إليها الانسحاب التام بدون تأخير، ويقضي الثاني بإقرار المقترحات المقدمة من السكرتير العام في 24 يناير/ كانون ثاني لمرابطة قوة الطوارئ على خطوط الهدنة بين مصر وإسرائيل والظاهرة بشروط الهدنة[1]. كانت مصر من الوجهة الفنية لا تزال في حالة حرب مع إسرائيل، إذ إنها لم توقع معها أي معاهدة للصلح في أعقاب الحرب الأخيرة، وكانت مصر تخشى أن يكون تحصين إسرائيل في غزة وشرم وسيلة لحمل العرب على إبرام صلح رسمي معها من شأنه أن يضيع على مصر حق إقفال خليج العقبة في أوقات الحرب.

قامت الجمعية العامة للنظر في مسألة السويس خلال تسع جلسات لها فيما بين 22 فبراير/ شباط – 8 مارس/ آذار 1957م. وتجلت مساعي الأمم المتحدة في تصريح لهمرشولد[2] سجل فيه مباحثاته مع الأطراف المعنية، وجاء فيه: "إن رغبة الحكومة المصرية لا تتعارض مع انتشار قوات الطوارئ في قطاع غزة، بالإضافة إلى الحدود، وإيجاد شروط فعالة لمنع التسلل وضمان إدارة مدنية فعالة وإسهام كبير في رعاية اللاجئين والتنمية الاقتصادية"[3].

أصدرت الحكومة المصرية بياناً أوضحت فيه أن غزة غير خاضعة للوصاية حتى توضع تحت إدارة الأمم المتحدة[4]، عاد همرشولد وأيد المبدأ القائم بأن وضع قطاع غزة سيحد من نظام الهدنة، وأن قوات الطوارئ لا تتمتع بصفة سياسية بل يقتصر دورها على حل المشاكل العاجلة وأن انتهاء مهمتها متروك للجنة الاستشارية بالاتفاق مع الأمم المتحدة[5].

كان هناك مساعٍ أخيرة في كواليس الأمم المتحدة لإصدار بيان يتحدث عن أن خليج العقبة هو مياه دولية ولكن غالبية الأعضاء اعتبرت بأن التصريح مكافأة للعدوان خاصة إذا صدر قبل الانسحاب الإسرائيلي، وكانت جولدا مائير وزيرة خارجية إسرائيل وراء ذلك حيث بيّنت للجمعية العامة أيضاً رغبة بلادها في أن يصدر إعلان من هذا النوع بخصوص غزة والمضائق، ولكنها لم تجد استجابة من الأعضاء[6].

قامت ست دول عربية وآسيوية بتقديم مشروع قرار في 22 فبراير/ شباط 1957م يدعو إلى اتخاذ إجراءات ضد إسرائيل إذا امتنعت عن الانسحاب التام من الأراضي المصرية[7]، وقامت

---

1 ـ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين، مصدر سابق، قرار رقم 1123، ص50، قرار رقم 1125، ص 51.

2 ـ داغ همرشولد: 1905–1961م سياسي سويدي، أمين عام الأمم المتحدة 1953م حتى قتل في حادث طائرة 1961م، نال جائزة نوبل للسلام 1961م (المنجد، مرجع سابق، ص 597).

3 ـ محمد نصر مهنا، مرجع سابق، ص 423.

4 ـ محمد سعيد حمدان، مرجع سابق، ص 456.

5 - Lt. General, E. L. M. Burns, Between Arab and Israeli, The institute for Palestine studies, Beirut, 1969, p. 129.

6 - Ibid, p. 130.

7 ـ محمد سعيد حمدان، مرجع سابق، ص 458.

وزارة خارجية إسرائيل إزاء ذلك بإبلاغ الجمعية العامة في الأول من مارس/ آذار 1957م أن إسرائيل ستقوم بالانسحاب من قطاع غزة وشرم الشيخ على أساس أن تكون قوة الطوارئ الدولية وحدها دون غيرها هي التي تتولى السلطة في الشؤون العسكرية والمدنية. وحاولت جولدا مائير إقناع الولايات المتحدة أنه لا يجب أن يعود المصريون إلى السيطرة الفعالة على القطاع، لأن إسرائيل ستعاود احتلاله بغض النظر عن نشاط الفدائيين[1]، ولا شك أن الحكومة الإسرائيلية كانت تتعرض لضغط داخلي في حالة عودة السيطرة المصرية على القطاع.

وقد استمرت إسرائيل بالمناورة حتى النهاية وبهدف عدم الانسحاب من قطاع غزة، وكان من ضمن مناوراتها أن تكون شريكة للقوات الدولية في حكم القطاع، ولكن عبد الناصر رفض، ثم حاولت أن ينفرد الدوليون وحدهم في إدارة القطاع، فرفضت مصر ذلك أيضاً، وقبلت حلاً وسطاً أمام التعنت الإسرائيلي بتواجد مصري على هيئة ضباط وأفراد شرطة بدون قوات مسلحة وهنا لعبت القوى الوطنية الفلسطينية في القطاع دورها في تحريض الجماهير ضد محاولة تدويل القطاع بعد أن دخلته القوات الدولية مما جعل الشعب الفلسطيني في جميع أنحاء القطاع يخرج في مظاهرات صاخبة تنادي بعروبة القطاع وعودة الإدارة المصرية إليه، وقد سقط الشهيد محمد شرف برصاص الدوليين عندما صعد إلى أعلى مكان في سراي الحكومة بغزة لرفع العلم المصري على سيارته. وكان من ذكاء الرئيس عبد الناصر أن أمسك زمام الموقف باللحظة المناسبة وأعلن عن تعيين الفريق محمد حسن عبد اللطيف حاكماً إدارياً عاماً للقطاع، الذي وصل إلى غزة ساعة الإعلان عن ذلك، وبتعاون أهالي القطاع مع الإدارة المصرية عاد القطاع إلى عروبته وسقطت خطة التدويل[2].

وبالتالي نرى أن بن غوريون أخفق في تجسيد أطماعه وأهدافه الصهيونية بضم سيناء إلى دولة إسرائيل والتخلص من خطر الفدائيين في قطاع غزة وتحقيق الأمن الشامل والهدوء التام للمنطقة الجنوبية من إسرائيل.

## نتائج حرب 1956:

ما طرأ من أحداث على شواطئ بورسعيد ورمال صحراء سيناء ومياه قناة السويس وأراضي غزة الفلسطينية عام 1956م، يعتبر بمثابة نقطة تحول بالغة الأهمية ليس في تاريخ المنطقة العربية والشرق الأوسط فحسب بل في تحول مسار تاريخ إمبراطوريات الاستعمار القديم بريطانيا وفرنسا وظهور الولايات المتحدة الأمريكية ينافسها الاتحاد السوفياتي كقوة جديدة تملأ الفراغ من ناحية، وبزوغ نجم حركات التحرر الوطني انطلاقاً من المنطقة العربية ليشع بريقاً

1 ـ جولدا مائير، مرجع سابق، ص 224.

2 ـ فلسطين تاريخها وقضيتها، مرجع سابق، ص 151.

أضاء روح الانتفاضة والثورة بين شعوب العالم الثالث من ناحية أخرى[1].

ويمكن القول، إن المستفيد الأكبر في هذه الحرب هي إسرائيل، كون إسرائيل ربحت فرصة استخدام خليج العقبة بعد أن كان محظوراً عليها بموجب بنود اتفاقية الهدنة المصرية ـ الإسرائيلية منذ سنوات.

فكان هناك شيءٌ من الهدوء على طول الحدود مع قطاع غزة، بعد تمركز قوات الطوارئ الدولية على الجانب المصري من خط الهدنة، ولكن إسرائيل قد أخفقت في نيل حرية المرور بسفنها في قناة السويس، كما فشلت في إسقاط عبد الناصر، وشهد نفوذه في المنطقة تصاعداً كبيراً بعد العدوان الثلاثي مع أن الإسرائيليين صوروه كطاغية معتبرينه الخطر الأكبر على إسرائيل[2].

وكان واضحاً قلق إسرائيل من زعامة جمال عبد الناصر، وتأثيره الممتد على الحكومات العربية وعلى الشارع العربي والمواطن العربي، الذي لو أقام بواسطته اتحاداً عربياً يهدّد بقاء إسرائيل أو على الأقل لحصلَ على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة بعودة اللاجئين أو صرف تعويضات لهم، وعودة إسرائيل إلى حدود التقسيم لعام 1947م، وهي المطالب التي نادى بها عبد الناصر في أكثر من محفل[3].

أما بالنسبة لمصر، فبمقياس المصالح الاقتصادية الداخلية يمكن القول إنها خرجت وقد اكتسبت تأميم شركة قناة السويس، وبذلك تخلصت مصر من كثير من مظاهر النفوذ الاقتصادي الأجنبي في البلاد[4].

وأشار محمد حسنين هيكل أن مصر خرجت من هذه الحرب وقد ازدادت قوة وأهمية، إذ لم يتحقق أي هدف استراتيجي من أهداف العدوان[5]، ونحن قد نتفق مع هيكل في النقطة الأولى من مقولته، لكننا نختلف معه في النقطة الأخيرة، لأن إسرائيل بمرورها في مياه خليج العقبة قد سجلت هدفاً استراتيجياً كبيراً.

أما عربياً، فلا أحد ينكر أن العالم العربي أدرك حقائق وضرورات وحدته ومكامن وحدته. كما حمل حركات التحرر العربية على تكريس جهودها لتحقق المزيد من التعاون والتضامن فجاء البيان التاريخي المصري السوري في 4 فبراير/ شباط 1958م معلناً قيام الوحدة[6].

---

1 ـ فلسطين تاريخها وقضيتها، مرجع سابق، ص 152.

2 ـ Abba Eban: Voice of Israel, New York 1958, pp. 276-291.

3 ـ محمد نصر مهنا، مرجع سابق، ص 432.

4 ـ المرجع السابق، ص 432.

5 ـ محمد حسنين هيكل: ملفات السويس، مرجع سابق، ص 582.

6 ـ جميل الشقيري: قضية فلسطين الحربية والسياسية، مطبعة مصنع الإسكندرية، الإسكندرية، 1962م، ص 92-95.

وبالنسبة للقضية الفلسطينية، فيمكن القول إن غياب الاستراتيجية فضلاً عن عدم التنسيق وتعدد السياسات العربية جعل العرب بما فيهم مصر يخرجون بخسارة من هذه الناحية، ولم يتم تحقيق أي مكسب مادي أو معنوي لشعب فلسطين أو لاجئيه، إلا إذا اعتبرنا عودة الإدارة المصرية لقطاع غزة بدلاً من قوات الطوارئ الدولية مكسباً هلل الأهالي له وكبروا، بل نجد على العكس حتى اللاجئ الذي كان يذهب إلى أرضه ومنزله خفية تحت جنح الظلام بحجة أنه مكلف بمهمة فدائية أصبح الآن وبعد وجود قوات الطوارئ الدولية على الحدود المصرية الإسرائيلية لا يستطيع ذلك ولا يسمح له به. وخسر لاجئو غزة والقطاع أكثر من هذا وآخر ما يربطهم بوطنهم، حين فقدوا جميع الوثائق التي تثبت ملكيتهم لأرضهم في فلسطين المحتلة حين أمر الكولونيل اليهودي "بن ليفيان" رئيس المخابرات الإسرائيلية بنسف دار الوثائق والتسجيل في غزة، كما جاء الحريق أيضاً على جميع الوثائق الخاصة بملكية قطاع غزة، وكانت هذه المشكلة من أعقد المشاكل التي واجهت الإدارة المصرية عقب عودتها للقطاع في مارس 1957م[1].

## أولاً: الولايات المتحدة الأمريكية ودورها السياسي في حرب 1956:

### الطروحات الأمريكية السياسية التصفوية:

#### 1 – طرح (جاما):

كان توقيت هذا الطرح بعد نجاح ثورة يوليو في مصر في صيف 1952م، وفيما كانت جهود الثورة جارية لإنهاء بقايا الاستعمار البريطاني، انتهزت الولايات المتحدة الأمريكية الفرصة وطرحت وساطتها (السرية) لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي، بهدف إنهاء وتصفية القضية الفلسطينية[2].

يمكن القول، إن الطرفان الأمريكي والمصري، التقيا في مصلحة مشتركة في الاستمرار في التواصل، فعينت الإدارة الأمريكية ثلاثة من قادة الاستخبارات لديها، وهم: كيرميت روزفلت ومايلز كوبلان للجانب السري من الاتصالات وروبرت أندرسون للجانب العلني. ولذلك عُرف هذا الطرح من المفاوضات بمشروع جاما[3]. أما ماهية مشروع جاما فهي تنص على أن يقوم كل من روزفلت وكوبلاند بسلسلة من المحادثات مع الرئيس عبد الناصر من أجل الوصول

1 ـ غازي ربايعة: القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، 1987م، ص 111.

2 ـ منير الهور وطارق الموسى: مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية، 1959–1947م، دار الجليل للنشر، عمان، 1986م، ص 50.

3 ـ مهدي عبد الهادي، مرجع سابق، ص 204.

إلى موقف أساسي تنطلق منه المفاوضات، كما يقوم اثنان من الدبلوماسيين الأمريكيين بإجراء محادثات مماثلة مع بن غوريون للوصول إلى موقف إسرائيلي مشابه للموقف المصري[1]. بعد ذلك ينتقل آندرسون بين القاهرة وتل أبيب من أجل التقريب بين الموقفين إلى أقصى حد ممكن، وعندئذ يتم ترتيب اجتماع بين عبد الناصر وبن غوريون في يخت خاص في البحر المتوسط لسد الفجوة نهائياً بين الطرفين، ويؤكد كوبلاند أن روزفلت قد حصل على موافقة كل من عبد الناصر وبن غوريون على هذه الترتيبات مع إصرار الرئيس المصري على نقطتين:

أولاً: يجب أن تحصل مصر على أكثر من مجرد ممر يربطها بالأردن ويتم تحديد عرض هذا الممر في المفاوضات مع إسرائيل، وذلك لتأمين اتصال إقليمي بين أفريقيا وآسيا.

ثانياً: على الإسرائيليين أن يوافقوا من حيث المبدأ على قبول الفلسطينيين الذين يرغبون في العودة إلى منازلهم[2].

ويلقي كوبلاند مسؤولية فشل مشروع جاما على أكتاف بن غوريون وتصلبه إذ يقول: إن رئيس الوزراء الإسرائيلي رفض مناقشة التفاصيل المتعلقة بالتنازلات الإسرائيلية مع أندرسون وقال له: وظيفتك هي أن تعمل على عقد اجتماع بيني وبين عبد الناصر، وإذا كنت سأقدم تنازلات فإنني سأقدمها له وليس لأي شخص آخر"[3].

ويمكن القول: إن طرح جاما، قد أُجهض كغيره من الطروحات بسبب التعنت الإسرائيلي، ورفض بن غوريون الحديث عن التنازلات الإسرائيلية، وقد برر يعقوب هرتزوغ الذي حضر الاجتماعات مع أندرسون، موقف إسرائيل بقوله: إن إسرائيل لم تكن تعتقد أن باستطاعة عبد الناصر عقد الصلح مع إسرائيل حتى لو أراد ذلك بسبب المعارضة الداخلية والعربية لمثل هذه الخطوة[4]، كما يبرر بن غوريون رفض المشروع بأنه كان يعتقد أن عبد الناصر كان يجري هذه الاتصالات على سبيل المناورة ومن أجل كسب الوقت كي يتيح الفرصة أمام جيشه لاستيعاب السلاح السوفياتي الجديد. وفي هذه الإشارة أكثر من مغزى على تفكير إسرائيل واستعدادها للاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر في سنة 1956م[5].

في الخلاصة أجهض المشروع لأنّ إسرائيل تسعى دائماً لإجهاض أي طروحات سلام تُعرض

1 ـ أحمد خليفة: مُلخص مذكرات بن غوريون، شؤون فلسطينية، عدد 5، نوفمبر/ تشرين ثانٍ 1971، ص 220-221.

2 ـ ليلى القاضي: تقرير حول مشاريع التسوية السلمية للنزاع العربي الإسرائيلي 1948-1972م، شؤون فلسطينية، العدد 22، يونيو/ حزيران/ 1973م، ص 90-91. انظر أيضاً مايلز كوبلاند: لعبة الأمم، ترجمة: دار الفكر، بيروت، 1970م، ص 88.

3 ـ مايلز كوبلاند، مرجع سابق، ص 90.

4 ـ ليلى القاضي، مرجع سابق، ص 91، نقلاً عن معاريف 6/8/1971.

5 ـ ليلى القاضي، مرجع سابق، ص 91.

عليها الانسحاب من الأراضي العربية، فقوتها منطقها، وخاصة مع التشتت العربي وضعفه، وكذلك لأن الولايات المتحدة لم تكن معنية بالضغط على إسرائيل لتسوية القضية الفلسطينية في ظل أجواء الحرب الباردة مع الاتحاد السوفياتي والمشاكل العديدة التي تواجهها.

**2 – طرح دالاس:**

ومن أبرز ما طرحه دالاس (وزير الخارجية الأمريكية) آنذاك، هو إعادة توطين الفلسطينيين من خلال مشاريع اقتصادية[1].

ففي 26 أغسطس/ آب 1955 صرح دالاس شارحاً السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، وذلك في اجتماع للجنة العلاقات الخارجية الأمريكية، ومن أهم ما جاء فيه:

1– وضع حد لبؤس ملايين اللاجئين من الفلسطينيين المقتلعين مما يستدعي تأمين حياة كريمة لهم عن طريق العودة إلى وطنهم الأول ضمن حدود الممكن، وتوطينهم في المناطق العربية المتواجدين فيها. ومن أجل تحقيق التوطين اقترح دالاس استصلاح المزيد من الأراضي من خلال مشاريع الري بحيث يتمكن اللاجئون من الاستقرار والعمل فيها[2].

2– ومن أجل تحقيق هذه الأفكار اقترح دالاس على إسرائيل دفع تعويضات للاجئين يتم تمويلها من قرض دولي ستشارك فيه الولايات المتحدة بصورة أساسية. وأكد أن بلاده ستشارك في إقامة مشاريع الري وتحقيق التنمية المائية في المنطقة ما سيساعد مباشرة على إعادة توطين اللاجئين[3].

3 – في البند الثاني من مشروع دالاس تحدث عن الحاجز النفسي قائلاً:

"الخوف الذي يسيطر على دول المنطقة مما يجعلها عاجزة عن الشعور بالأمان والاطمئنان". وشدد دالاس على أن التغلب على هذا الخوف والوصول إلى الشعور بالأمان لا يمكن أن يتحققا بجهود دول المنطقة وحدها، بل يتطلبان إجراءات جماعية هدفها ردع أي عدوان بشكل قوي وحاسم. على هذا الأساس عبر دالاس عن استعداد الولايات المتحدة للدخول في معاهدات رسمية هدفها منع أي عمل من قبل الطرفين من شأنه تغيير الحدود بين إسرائيل وجيرانها بالقوة، بالإضافة إلى كبح مثل هذا العمل، كذلك عبر عن أمله في أن توافق دول أخرى على المساهمة مع أمريكا في مثل هذه الضمانات الأمنية، وأن يتم ذلك تحت إشراف الأمم المتحدة[4].

---

1 ـ محمد شديد: الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية، مرجع سابق، ص 110.

2 ـ ملف وثائق فلسطين، ج2، مصدر سابق، وثيقة رقم 284، ص 1169–1165.

3 ـ ليلى القاضي، مرجع سابق، ص 91.

4 ـ منير الهور وطارق الموسى، مرجع سابق، ص 56.

4- من أجل ضمان الحدود يجب أن يكون هناك اتفاق مسبق حول طبيعة هذه الحدود، وبما أن الخطوط التي تفصل إسرائيل عن الدول العربية ناتجة عن اتفاقيات لجنة الهدنة عام 1949م، ولا تشكل حدوداً ثابتة دائمة، تصبح مسألة الحدود من أهم المسائل التي يجب حلها من أجل الوصول إلى تسوية سلمية بين الدول العربية وإسرائيل[1].

وهكذا يتضح من هذا المشروع، أن التكتيك الأمريكي يهدف إلى نزع الصبغة السياسية عن النزاع العربي-الإسرائيلي والقضية الفلسطينية وإعادة طرح المشكلة على أنها مشكلة تكنوقراطية قابلة للحل بالوسائل الفنية، وهذا يعني تحويل المشكلة وتجزئتها إلى قضية اقتصادية (التنمية المائية وغيرها) وقضية إنسانية لتوطين اللاجئين الفلسطينيين، وحل مشكلة الحدود بما يضمن مكاسب إسرائيل الجغرافية في الأرض العربية.

## دور الرئيس الأميركي أيزنهاور ونهاية العدوان الثلاثي 1956:

أرسل الرئيس الأمريكي (أيزنهاور) وزير خارجية دالاس في 1/آب/ 1956م إلى بريطانيا، للعمل على دعوة (فرنسا وإنجلترا) للتفاوض مع مصر، في محاولة لإيقاف استعمال القوة المباشرة التي كان يفترضها إيدن وكما جاء في رسائله العديدة للرئيس إيزنهاور، ومنها رسالة أكتوبر لذلك العام. وقد وافق دالاس على استخدام القوة كحل نهائي، إذا فشلت كل الجهود الأخرى[2]، ولذلك دفعت أمريكا باتجاه بعثات الوساطة، وباتجاه البحث عن حل داخل مجلس الأمن وفي أروقة الأمم المتحدة. ويوم العدوان لم تكن أمريكا تعتقد أن الجهود السلمية قد وصلت فعلياً إلى طريق مسدود، إذ إنها (وهذا الأهم) لم تكن قد استشيرت في العدوان. لذلك أعلن الناطق بلسان البيت الأبيض عشية إعلان الإنذار البريطاني الفرنسي الشهير (29 أكتوبر/ تشرين أول 1956م) أن الرئيس قد علم بالأمر عبر التقارير الصحافية وأن الولايات المتحدة ألزمت نفسها بمساعدة ضحايا العدوان في الشرق الأوسط ودعا المتحدث الصحافي إلى عقد جلسة طارئة في الصباح لمجلس الأمن الدولي[3].

رفضت أمريكا كل الطروحات السوفياتية لإيقاف العدوان الثلاثي، بحجة ضرورة العمل داخل نطاق الأمم المتحدة، لكن الموقف الأمريكي كان يهدف إلى إبعاد السوفيات عن القيام بأي دور في المنطقة، وحتى إلى بريطانيا وفرنسا.

وتأكيداً لذلك، فقد أرسل بولغانين (الرئيس السوفياتي) إلى أيزنهاور، يقترح فيها تشكيل قوة

---

1 ـ ملف وثائق فلسطين، ج2، مصدر سابق، ص 1169. انظر أيضاً: محمد شديد، مرجع سابق، ص 110-111.

2 ـ L.T. General-Burns, Op. Cit., p. 128-130.

3 ـ Ibid, p. 129.

أمريكية وسوفياتية مشتركة، لوقف التدخل البريطاني الفرنسي، وكانت حجة رفض أيزنهاور لهذا العرض، لتعارضه مع ميثاق الأمم المتحدة[1]، وسنجد أنه بمجرد الإعلان عن هذه القوة كان كافياً لوقف العدوان.

وفيما بعد، دعا خروشوف إلى لقاء بين الاتحاد السوفياتي وأمريكا وبريطانيا وفرنسا والهند والسكرتير العام للأمم المتحدة في رسالة بعث بها إلى أيزونهاور لبحث مشكلات الشرق الأوسط، لكن أيزنهاور رفض مرة أخرى اي حل خارج إطار الأمم المتحدة[2].

وبعد العدوان، بدأت المحاولات داخل أروقة الأمم المتحدة لاستصدار قرارات لوقف القتال وبدأت مجموعة الدول الأفروآسيوية والدول الاشتراكية تدرس تقديم اقتراح للجمعية العامة، بفرض عقوبات على إسرائيل إذا رفضت الانسحاب غير المشروط، لكن أمريكا عارضت ذلك وحاولت إقناع جمال عبد الناصر بالموافقة على وضع قوات دولية في غزة ومضائق تيران، لكن ناصر حاول أن يقوم بمناورة في الموضوع، كما رفض بن غوريون مسألة الانسحاب[3].

غادر دالاس ومندوب أمريكا في الأمم المتحدة، هنري كابوت لودج إلى جورجيا حيث كان الرئيس أيزنهاور هناك. وبعد مناقشات مطولة، أقر الثلاثة في غياب أية بدائل أخرى، ضرورة اقتراح تطبيق عقوبات عبر تقديم توصية أمريكية في الجمعية العامة بذلك. وقطع الرئيس إجازته وعاد للعاصمة ليشرف على الحملة الأمريكية[4].

قدمت أمريكا إلى الجمعية العامة مشروعاً في 2 فبراير/ شباط 1957م ينص على انسحاب إسرائيلي شامل إلى حدود هدنة 1949م، وعلى السماح بدخول قوات الأمم المتحدة[5].

وأرسل (أيزنهاور) برسالة لـ (بن غوريون) قال فيها:

"إنك تعرف أن حكومتنا تقدر عالياً روابط الصداقة معكم وتريد لها الاستمرار لتطوير (الأمة) الإسرائيلية. إن أي استمرار في تجاهل حكم المجموعة الدولية، سيقود إلى إجراءات من جانب هذه الدول مما سيؤذي فعلياً علاقتكم مع دول كثيرة"[6].

وفي مؤتمر صحافي بتاريخ 5 فبراير/ شباط أعلن دالاس "أن حكومته لن تأخذ إجراءات منفردة، ولكننا ننظر بكثير من العناية والاعتبار للإجراءات الجماعية التي ستقترحها الأمم

---

1 ـ توفيق أبو بكر: الولايات المتحدة الأمريكية والصراع العربي الصهيوني، مرجع سابق، ص 102.

2 ـ Robert Silverburg, Op. Cit., p. 536.

3 ـ توفيق أبو بكر، المرجع السابق، ص 102.

4 ـ المرجع السابق، ص 103.

5 ـ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين، مصدر سابق، قرار رقم 1125، ص 51.

6 ـ Robert Silverburg: American Jews and the State of Israel. If I forget the Jerusalem (New York Morrow, 1970), p. 537.

المتحدة". وقد رفض بن غوريون في رسالة جوابية للرئيس الانسحاب المقترح[1]، بعدها قرأ الرئيس أيزنهاور إنذاره الشهير على الشعب في 20 فبراير/ شباط 1957م وجاء فيه "أطالب إسرائيل بالانسحاب، كما أنني أعارض فرض أية شروط للانسحاب، لأنه إذا سمح باستخدام القوة لفرض أية شروط، فإن هذا يزعزع أسس إقامة المؤسسة العالمية.. إن من حق إسرائيل أن تتأكد من وقف الغارات على أراضيها من قطاع غزة، ومن حريتها في المرور عبر الممرات، لكن هذا يجب أن لا يكون شرطاً مسبقاً للانسحاب وتحدث الرئيس عن مسألة المجر (ودخول السوفيات إليها في ذلك الوقت) فقال إنه لا يصلح لإسرائيل التذرع بأن الأمم المتحدة لن تفعل شيئاً إزاء غزو الاتحاد للمجر، فإن خطأين لا يشكلان صواباً[2]، وقال إنني لا أؤمن أن تقصير إسرائيل يجب أن يقابل بالسكوت، لأن الأمم المتحدة فشلت في تنفيذ قراراتها التي أدانت السوفيات لاعتدائهم على الشعب الهنغاري[3].

ونجد أن الرئيس أكد في كلمة علنية، على حرية مرور إسرائيل عبر المضائق وحقها في التأكد من أن الغارات ستتوقف على أراضيها (وهذا تم بوضع قوات طوارئ دولية في غزة) لكنه كان حاسماً فيما يتعلق بضرورة الانسحاب.

قامت إسرائيل بإرسال أبا إيبان للتفاوض والحوار مع دالاس، حيث توصل الرجلان لاتفاق حول الانسحاب، في 28 فبراير/ شباط 1957م، أذاعته جولدا مائير وزيرة خارجية إسرائيل آنذاك، وفي الأمم المتحدة. وبموجب الاتفاق تعتبر إسرائيل أن منعها من حق العبور من ممرات تيران والعقبة، يعتبر بمثابة إعلان حرب لها بموجب حق الدفاع عن النفس. وبالنسبة لقطاع غزة فيجب على القوات الدولية، أن تمنع الهجمات الفدائية على إسرائيل من هناك. وفي النهاية تم الانسحاب في مارس من ذلك العام[4].

إن موقف إدارة أيزنهاور ضد العدوان الإسرائيلي لم يمر بسهولة داخل الكونغرس وبعض الإدارات الأمريكية. فقد تحرك الديمقراطيون لاستغلال موقف أيزنهاور ضمن لعبة الحسابات الداخلية، وقدم سبعون نائباً ديمقراطياً اقتراحاً للإدارة الأمريكية، باشتراط الانسحاب الإسرائيلي بزوال كل الأسباب التي أدت للحرب. كما أن بعض قادة الجمهوريين في مجلس الشيوخ هددوا بالعمل ضد اتجاهات الرئيس، وقد هدد بعضهم بالاستقالة من منصبه في الوفد الأمريكي لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة، إذا استمر الموقف الأمريكي كما هو عليه (تماماً كما حاولت اليانور روزفلت أن تفعل عشية تراجع أمريكا عن التقسيم، وطلبها فرض الوصاية الدولية على

1 . Robert Silverburg: American Jewish and the State of Israel, p. 537.

2 . Ibid, p. 538.

3 . ملف وثائق فلسطين، مصدر سابق، ج2، ص 1209.

4 . جولدا مائير: حياتي، مرجع سابق، ص 224.

فلسطين في أوائل عام 1948م)[1].

ولنجمل المصالح الأمريكية التي دفعت بإدارة أيزنهاور لاعتمادها، فكانت أن مثل هذا العدوان، والذي ألغى النفوذ البريطاني والفرنسي في المنطقة، كان فرصة ذهبية كبيرة لأمريكا، وجب استغلالها، وذلك يتطلب بالطبع أن لا تظهر واشنطن أمام العرب بنفس المظهر الاستعماري السابق لبريطانيا وفرنسا[2].

خططت أمريكا منذ فترة طويلة لإنشاء منظمة للدفاع في الشرق الأوسط، تضم العرب وإسرائيل، كما كان تفكير ترومان في نهاية عهده، وكما بدا واضحاً من جولة دالاس في الشرق الأوسط وخطاباته العالمية، وكما ظهر في مبدأ أيزنهاور فيما بعد.

ولذلك إن لم يكن الموقف الأمريكي متوازناً فإن شيئاً من ذلك لن يتحقق، وسيرتمي العرب (على حد تعبير الإدارة الأمريكية) في أحضان السوفيات[3].

أشرف الرئيس الأمريكي على استصدار قرار من الأمم المتحدة فيما يتعلق بالانسحاب، أبلغ الزعماء الغاضبين من رجالات الكونغرس من الديمقراطيين بزعامة جونسون، ضرورة خضوع إسرائيل للانسحاب وإلا فإن العرب سيتجهون نحو السوفيات. وقد طلب منه زعماء الكونغرس أن يتحمل المسؤولية بمفرده، ووافق على ذلك، ورفض الابتزاز المتعلق بأصوات اليهود في الانتخابات، ومع ذلك حصل في الانتخابات التي حصلت بعد العدوان على واحد من أعلى الأرقام في تاريخ أمريكا، إذ نال 47 ولاية: 457 صوت انتخابي، مقابل 73 صوتاً لمنافسه إدلاي ستيفنسون[4]، وهذا في رأينا يبطل أسطورة الصوت اليهودي الحاسم في الانتخابات.

ولنرَ خلفيات الموقف الأمريكي، حين قال وزير الخارجية الأمريكي (دالاس) في يناير 1957م، في حضور لجنة العلاقات الخارجية الأمريكية:

"إن التضحيات الهائلة التي قدمتها الولايات المتحدة، لإعادة الحياة إلى اقتصاد أوروبا بعد الحرب، ولتكوين قوة دفاعية عن أوروبا، سيحطمها سقوط الشرق الأوسط بيد الشيوعية الدولية[5]".

الذي رفع من أهمية هذا العامل، المواقف المشرفة التي اتخذها الاتحاد السوفياتي من حرب

1 ـ غازي ربايعة: القضية الفلسطينية والصراع الإسرائيلي، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، 1987م، ص 109.

2 ـ هنري كتن: قضية فلسطين، ترجمة رشدي الأشهب، السلطة الوطنية الفلسطينية، مطبوعات وزارة الثقافة، ط1، 1999م، ص 105.

3 ـ توفيق أبو بكر، مرجع سابق، ص 105.

4 ـ توفيق أبو بكر، مرجع سابق، ص 106.

5 ـ جون. س. بادو: الموقف الأمريكي تجاه العالم العربي، وزارة الإرشاد القومي، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، د.ت.، ص 125-120.

السويس (وخاصة الإنذار الشهير في 5 ديسمبر/ كانون أول 1956م)، ما ساهم في رفع درجة الحرارة في صداقة العرب مع السوفيات. وقد خشي الأمريكيون أن يعتبر العرب هذا العامل، هو الدافع الأول لوقف العدوان مما سيترك آثاره في المستقبل وليس هناك من شك أن هذا العامل بتأثيراته، كان عاملاً رئيسياً من عوامل وقف العدوان، بجانب صمود القيادة المصرية والشعب المصري ووقفة الشعوب العربية وشعوب العالم مع مصر، وفي تحليل محمد حسنين هيكل[1] لأسباب تأخر الإنذار لأطراف العدوان لأكثر من شهر يرى أن السوفيات يتخذون مواقفهم الحازمة في القضايا المبدئية عامة بعد أن تتوافر لها شروط ثلاثة:

- أن يثبت أصحاب قضية وطنية صلابتهم في الدفاع عن قضيتهم وأن يتحملوا مسؤولياتهم قبل أن يطلبوا من الآخرين مساعدتهم وأن يؤكدوا قدرتهم على الصمود المستقل.
- أن ينجح أصحاب هذه القضية في خلق رأي عام قوي في مناطقهم وأن يخلقوا تياراً قوياً متعاطفاً معهم في العالم كله.
- أن يظهر بجلاء من وقائع سير الصراع أن القوة المعادية قد تورطت في عدوانها إلى درجة تجعل إدانتها أمراً مؤكداً والتصدي لها شيئاً مطلوباً على نطاق وطني وإقليمي وعالمي.

وعندما تتوافر هذه الشروط الثلاثة فإن الاتحاد في العادة يقرر موقفه بحزم وحسم[2].

لذلك كان الموقف الأمريكي ضمن حسابات توازن القوى والردع النووي الشامل بين المعسكرين الكبيرين في الحرب الباردة التي شهدت تصعيداً في تلك الفترة (الخمسينيات).

وكان العامل الثاني أن أمريكا لم تستشر من قبل فرنسا وبريطانيا في الحرب، وكان تجاهل أطراف العدوان الثلاثي للولايات المتحدة عامل حاسم من عوامل فشل الحرب ومعارضة أمريكا لها، لذلك يقول أيزنهاور عشية الحرب: "إن بريطانيا وفرنسا لم تحيطا حكومة الولايات المتحدة علماً بالحرب، ولم تأخذا رأيها في مسألة استخدام القوات المسلحة"[3].

وهذا لا يعني أن أمريكا ضد استخدام القوة أو التهديد بها، من حيث المبدأ إذ يقول أيزنهاور إنه لم يكن ضد اللجوء إلى القوة المسلحة ضد عبد الناصر حتى لا يوضع مصير أوروبا الغربية في يد ديكتاتور، فهو يرى أن اللجوء للقوة ليس أمراً مستبعداً وقد يكون ضرورياً وفي حالة الاضطرار لاستخدامه، يجب أن يكون قوياً وسريعاً وحاسماً بحيث يتم بنجاح وفي أقرب وقت، وإن أي إجراء آخر قد يخلق مشكلات عديدة[4].

---

1 ـ محمد حسنين هيكل: ملفات السويس، مرجع سابق، ص 555.

2 ـ المرجع السابق، ص 555.

3 ـ توفيق أبو بكر، مرجع سابق، ص 107.

4 ـ أحمد مصطفى: الولايات المتحدة والمشرق العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1978م، ص 143.

لم تُستبعد القوة من محادثات لندن أمريكياً، كحل نهائي، لذلك توهمت أمريكا بعد وقف حرب السويس، أن صفحتها بيضاء في العالم العربي وأن الجو قد خلا لها من أجل وراثة النفوذ البريطاني الفرنسي، ومن أجل مطاردة النفوذ، وهو الهدف الرئيسي لمبدأ أيزنهاور. إن مبدأ أيزنهاور يتمثل في الرسالة التي بعثها أيزنهاور للكونغرس في يناير/ كانون ثانٍ 1957م، لاستصدار تشريعات جديدة من مجلس النواب والشيوخ، وبعد مناقشة الرسالة وإقرارها، أصبحت تعرف بمبدأ أيزنهاور[1].

وقد جاء في تلك الرسالة: إن لدينا ثلاث حقائق في الشرق الأوسط[2]:

- كان الشرق الأوسط دائماً هدفاً للأطماع، وهو اليوم موضع اهتمام الشيوعية العالمية، أكثر من أي وقت مضى.
- يتظاهر حكام الاتحاد السوفياتي بأنهم لا يبغون استخدام أية وسيلة لاكتساب أصدقاء في المنطقة.
- إن الأمم المتحدة تريد أن تقوي نفسها للمحافظة على استمرار استقلالها.

وبعد الحديث عن روحية الشرق الأوسط وأهميتها تُكمل الرسالة وتقول: "نجد اليوم ضرورة قيام عمل موحد بين الرئيس والكونغرس على الأسس التالية:

- تخويل الولايات المتحدة السلطة في أن تتعاون وتساعد أية أمة أو مجموعة من الأمم في الشرق الأوسط في تطوير اقتصادياتها وتدعيم استقلالها الوطني.
- تخويل السلطة التنفيذية التعهد بتنفيذ برامج المعونات العسكرية والتعاون مع أية أمة ترغب في ذلك.
- تخويل الحكومة تقديم المساعدات وزيادة التعاون بما فيه من استخدام القوات المسلحة للولايات المتحدة لحماية استقلال هذه الدول ووحدة أراضيها وعندما تطلب ذلك لصد العدوان من الشيوعية الدولية، وتطابق هذه الإجراءات المعاهدات والالتزامات الدولية.
- تخويل الرئيس سلطة استخدام الوسائل الاقتصادية والعسكرية والدفاعية ووضع المبالغ اللازمة لتنفيذ معاهدة الأمن المتبادلة لعام 1954م دون أية حدود.
- إن التشريع المطلوب الآن لا يدخل في نطاق الميزانية الحالية، ولا تستطيع دائرة بحث تشريع لإقرار 200 مليون دولار خلال السنتين: 1958م، 1959م، لصرفها على الخطة، إضافة إلى برامج الدفاع المتبادل الخاص بالمنطقة، والموافق عليها من قبل الكونغرس[3].

ولابد من ذكر أن تقرير دالاس أشار إلى أن العرب يخشون الصهيونية كخطر مباشر أكثر من

1 ـ المرجع السابق، ص 144.

2 ـ ملف وثائق فلسطين، مصدر سابق، ج2، ص 1198 – 1199.

3 ـ ملف وثائق فلسطين، مصدر سابق، ج2، ص 1198 – 1199.

الشيوعية، رغم سعي إدارة أيزنهاور إلى الامتناع بعكس ذلك.
لقد كان طرح مشروع (ملء الفراغ)، بعد انحسار النفوذ البريطاني الفرنسي هو محاولة أمريكية لاستغلال الموقف من حرب السويس، لتحقق أمريكا بهذا المشروع، ما عجزت الدول الأخرى عن تحقيقه بالحرب، وهو إخضاع المنطقة العربية للوصاية الأمريكية مجدداً، تحت زعم ضرورة ملء الفراغ، قبل أن يملأه السوفيات.
قال الرئيس أيزنهاور: "إن قبولنا في الشرق الأوسط يساعدنا على حفظ الاستقلال ووحدة الأراضي في إحدى أهم مناطق العالم، إن الولايات المتحدة ستفعل ما في وسعها للحفاظ على استقلال دول الشرق الأوسط. إن المساعدات التي ستقدمها بموجب المشروع في الفترات الحرجة كالكوارث الطبيعية والانقلابات السياسية العنيفة أو أي تهديد آخر لاستقرار تلك الدول، ولمصالح بلادنا القومية"[1].
يجب أن نذكر أن ما يهدف إليه أيزنهاور ليس استقرار تلك الدول، بل مصالح بلاده الاستعمارية، فهو يقول "إن الشرق الأوسط يمدنا بجسر بين أوروبا وآسيا من ناحية وافريقية من ناحية أخرى، وهو يحتوي على ثلثي مستودعات البترول المعروفة في العالم حتى الآن"[2].
ونحن نعتقد أن من بين الدوافع الأساسية للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط في تلك الفترة كان تصاعد المد الوطني العربي، ونمو العلاقات العربية، وفشل جر العرب إلى الأحلاف المرتبطة بالدول الاستعمارية، كل ذلك جعل أمريكا تسعى للحفاظ على مصالحها واحتكاراتها المتنامية بكل الطرق والوسائل.

## نهاية الحرب:

نتيجة للاستياء الأمريكي بعد رفض إسرائيل الانسحاب من المناطق التي احتلتها، تنفيذاً لقرارات الأمم المتحدة، وبعد فشل المساعي الأمريكية السياسية مع حكومات إسرائيل، أخذت إدارة أيزنهاور تنظر في الوسائل التي يمكن اتخاذها تعبيراً عن استيائها من الموقف الإسرائيلي. ومن الاقتراحات التي طرحت تجميد الحسابات الإسرائيلية في المصارف الأمريكية بشكل غير رسمي، فاعتبر هذا اقتراحاً غير عملي وصعباً سياسياً كذلك وصرف النظر عنه[3].
وبدأت إدارة أيزنهاور تفكر جدياً في مواجهة رفض إسرائيل الفاضح الانصياع إلى قرارات الأمم المتحدة. وفي السادس عشر من فبراير/ شباط 1957م التقى الرئيس الأميركي عدداً من أعضاء وزارته لتقرير الخيارات الأمريكية. وفضلت أن تدعم قراراً يدعو أعضاء الأمم المتحدة

1 ـ توفيق أبو بكر، مرجع سابق، ص 110-109.
2 ـ توفيق أبو بكر، مرجع سابق، ص 110.
3 ـ دبورا جرنر، مرجع سابق، ص 150.

كافة لإيقاف المساعدات إلى إسرائيل الحكومية منها والخاصة معاً. وعند بحث هذا الموضوع قام جورج همفري (وزير الخزانة) بالاتصال هاتفياً براندولف برغس مساعد وزير الخزانة للشؤون النقدية فأعطاه هذا تقديراً إجمالياً مفاده أن المدفوعات الأمريكية الخاصة إلى إسرائيل، تبلغ زهاء 40 مليون دولار سنوياً وأن مبيعات السندات الإسرائيلية في بلادنا تتراوح بين 50 إلى 60 مليون دولار سنوياً[1].

وقد أثمرت سياسة أيزنهاور الحازمة إلى تراجع إسرائيل عن تعنتها وتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بالانسحاب من الأراضي العربية.

لقد قام أيزنهاور للمرة الثانية خلال رئاسته بالوقوف بوجه إسرائيل في تحد مباشر لها لقيامها بعمل مناقض لقرارات الأمم المتحدة في أراض تقع وراء خطوط هدنة 1949م.

كان هناك في تلك الحالتين ضغط من الكونغرس ومن الجمهور بالتراجع، وقد رفض آيزنهاور في تلك الحالتين أن يرضي منتقديه، لكن هناك اختلافات مهمة بين هاتين الحالتين. ففي عام 1953م، أوقفت المساعدات الاقتصادية الأمريكية إلى إسرائيل فعلاً، وإن لثمانية أيام فقط؛ وفي عام 1957م جرى التهديد بالإيقاف، ولكنه لم يحدث[2]. وفي عام 1957م انسحبت إسرائيل فعلاً من غزة وفقاً لقرارات الأمم المتحدة؛ وفي عام 1953م أوقفت العمل في قناة تحويل المياه إيقافاً مؤقتاً فقط. أخيراً وفي حين أنه من الممكن القول بأن إجراءات الولايات المتحدة في عام 1953م كانت مدفوعة جزئياً بالقلق على مصير اللاجئين الفلسطينيين (في إطار رغبة الولايات المتحدة في إعادة توطينهم وفي أمكنة أخرى)[3] فإن الاهتمام الأول في عام 1957م كان منصباً على تقييد النفوذ في المنطقة، وتمكين أوروبا من الحصول على النفط، والحفاظ على شيء من الشرعية للأمم المتحدة – وهذه باختصار الأهداف التقليدية للسياسة الأمريكية في المنطقة.

## المساعدات الأمريكية لإسرائيل:

رغم الأزمة التي سببتها حرب السويس في العلاقات الأمريكية الإسرائيلية، حيث وصلت إلى حد التهديد بقطع العلاقات الاقتصادية وإيقاف المساعدات الأمريكية لإسرائيل؛ إلا أن المساعدات الأمريكية استمرت في التدفق على إسرائيل، فقد تلقت إسرائيل مساعدات مالية أمريكية مقدارها 560 مليون دولار في السنوات العشر الأولى من قيامها. كما بلغت تبرعات اليهود في أمريكا معدلاً سنوياً قدره 60 مليون دولار، وشراء سندات إسرائيلية بقيمة 70 مليون

1 ـ المرجع السابق، ص 152.

2 ـ دبورا جرنر، مرجع سابق، ص 154.

3 ـ ستيفن جرين، مرجع سابق، ص 114.

دولار سنوياً. بالإضافة إلى أموال منظمة الكيرن هايسود[1] التي بلغت 1300 مليون دولار في عشر سنوات، وفي عام 1960م ساعدت أمريكا إسرائيل على تطوير مفاعلها الذري الصغير الذي خصص للأبحاث العلمية والاقتصادية والذي أقيم في نحال سوريك[2].

وفي أرقام أخرى، إن المساعدات الأمريكية بشكل من أشكالها قد بلغت حتى عام 1959م (670) مليون دولار، وبلغت مبيعات سندات حتى عام 1962م (600) مليون دولار، كما استمرت أمريكا في دفع ألمانيا للاستمرار ببرنامج التعويضات لإسرائيل التي بلغت 562,5 مليون دولار إضافة إلى تعويضات الأشخاص التي بلغت 525 مليون دولار[3].

## صفقة شامليون:

استمرت الولايات المتحدة عبر استخباراتها الأمريكية (سي آي إيه) في محاولاتها للجمع بين إسرائيل وحكومة عبد الناصر، لعقد اتفاقية سلام، وكان ذلك قبل أقل من سنة من حرب السويس 1956م، كانت تحاول التوسط حول صفقة يتم من خلالها تزويد إسرائيل، للمرة الأولى، بمساعدات عسكرية رسمية أمريكية مقابل القبول بسلام دائم مع مصر، وقد وصف شاريت المحاولات "صفقة شامليون"، ففي أكتوبر/ تشرين الأول 1955م، حين كان في جولة لجمع التبرعات في نيويورك أجرى مفاوضات مع رجال السي. آي. إيه حول الموضوع. إن الأمر الذي لم يكن معروفاً للأمريكيين أن الإسرائيليين أنفسهم كانوا يفكرون في اللجوء إلى الروس للحصول على الأسلحة، إذا لم يلقوا قبولاً من الولايات المتحدة وكان رجال الموساد قد نصحوا بن غوريون برفض عملية شامليون لأنهم لا يثقون بعبد الناصر في حين كان دالاس يلح على شاريت بقبول العملية، وقد اقترح رجال الموساد الموافقة على الدخول في عملية شامليون شريطة أن يكون هناك تعهد صريح من الغرب بتزويد إسرائيل بأسلحة دفاعية، وبخاصة سلاح الجو[4].

ونجحت الخطة ففيما أسماها شاريت "بعملية سياسية"، أعطت الولايات المتحدة إذناً لفرنسا في الرابع والعشرين من فبراير/ شباط 1956م لبيع اثنتي عشرة قاذفة مقاتلة لإسرائيل، كانت

---

1 ـ الكيرن هايسود: الصندوق التأسيسي لفلسطين، تم تأسيسه في مؤتمر لندن الصهيوني عام 1920م، وهو يختص بالهجرة والاستيطان ويجمع القروض والهبات من أجل الاستيطان في فلسطين (عاطف عدوان: محاضرات في تاريخ فلسطين الحديث، الجامعة الإسلامية، غزة، 1987م، ص 38).

2 ـ توفيق أبو بكر، مرجع سابق، ص 111.

3 ـ المرجع السابق، ص 112.

4 ـ أندرو وليسلي كوكبيرن: علاقات خطرة، مرجع سابق، ص 55.

مخصصة للناتو، وتلاشت إمكانية تحول إسرائيل إلى الكتلة الشرقية للحصول على دعم عسكري[1].

ترأس شاريت حكومة إسرائيل خلفاً لبن غوريون منذ يناير/ كانون الثاني 1954م، وذهبت حكومة شاريت لتتفحص إمكانية الحصول على ضمانة أمنية من واشنطن، أي على حماية دولية. ثم تقدمت بطلب رسمي في هذا المعنى في 11 أبريل/ نيسان 1955م[2].

وكان الرد الأمريكي عبر دالاس، في أن الولايات المتحدة تقبل بهذا الطرح مبدئياً، ولكن بشروط أهمها هو أن تبدي إسرائيل مرونة في موضوع اللاجئين، وتحقيق تقدم في حل النزاع العربي الإسرائيلي فوجدت إسرائيل أن تكلفة الضمانة الأمريكية باهظة جداً غير أن أحداث الشرق الأوسط، التي بلغت ذروتها مع أزمة السويس، ستغير كثيراً من الفرضيات الأمريكية المتعلقة بالمنطقة وإسرائيل. ومن هذه الأحداث سباق التسلح بصورة خاصة، حيث عقدت مصر في نهاية سبتمبر/ أيلول 1955م اتفاقاً بشأن صفقة سلاح تشيكوسلوفاكية مصرية، ولا يبدو أن إسرائيل اشترت أو تلقت سلاحاً ثقيلاً من الولايات المتحدة بين سنتي 1955-1952م، على الرغم من الاتفاق الأمريكي الإسرائيلي بشأن معرفة الدفاع المتبادل الموقع في 23 يوليو/ تموز 1952م.

وإن كانت إسرائيل قد جوبهت فعلاً بالرفض من جانب الإدارة الأمريكية في موضوع الحماية والسلاح الثقيل، فذلك لأن واشنطن كانت تعتبر أن مصر ستمنى بهزيمة حاسمة في حال وقوع حرب بينها وبين إسرائيل.

ولا بد من الإشارة، أن إدارة أيزنهاور كانت تدعم إسرائيل بكل احتياجاتها من السلاح بطرق غير مباشرة، عبر دول أخرى دون الظهور في الصورة، حفاظاً على علاقاتها مع الدول العربية، خوفاً من تضرر مصالحها النفطية، حيث إن إسرائيل كانت تتزود بالسلاح، من فرنسا وكندا من دون أي اعتراض من واشنطن، بل إن ذلك كان يحظى بموافقتها وتشجيعها. وهكذا كان موقف دالاس يرفض أن تزود واشنطن إسرائيل بالسلاح مباشرة، في حين يؤيد أن تزود دول أخرى إسرائيل بالسلاح.

وكذلك قررت واشنطن التنازل عن أولوية الناتو "حلف الأطلسي" في الحصول على طائرات "ميستير" الفرنسية، لمصلحة إسرائيل.

## خطة المخزون الاحتياطي:

في أيلول من عام 1956م تبيّن لمسؤولي الاستخبارات العسكرية والمدنية الأمريكية، أن البريطانيين والفرنسيين والإسرائيليين كانوا يستعدون لشن حرب على إحدى الدول العربية أو

1 ـ المرجع السابق، ص 55.

2 ـ Silverburg, Op. Cit, p. 507.

على أكثر من واحدة، أي على مصر فيما يختص ببريطانيا وفرنسا، وعلى الأردن أو مصر فيما يختص بإسرائيل. وخلق هذا الأمر بعض المشكلات للإدارة الأمريكية، وكان له علاقة بالبيان الثلاثي الذي صدر في 25 مايو/ أيار 1950م، والذي هو حجر الزاوية في نهج الولايات المتحدة العسكري والسياسي في المنطقة[1].

في أبريل/ نيسان 1956م كانت إدارة الخطط الاستراتيجية المشتركة، التابع لهيئة الأركان المشتركة، وقد أصدر مذكرة بشأن "التخطيط المشترك بموجب البيان الثلاثي لسنة 1950م" تتضمن رأي الاستخبارات في أرجح السبل التي قد يرجح فيها القتال. وتنبأت هيئة الأركان المشتركة، استناداً إلى مشاوراتها مع رؤساء الأركان البريطانيين، أن عدواناً مصرياً هو السبيل الأرجح لبدء الحرب، وأن هذا الهجوم قد يقع على الأغلب ضد إسرائيل في البدء[2].

من هنا، وفي مايو/ أيار 1956م، وتنفيذاً لأوامر البيت الأبيض، باشرت وزارة الدفاع "عملية المخزون الاحتياطي، وهي خطة سرية جداً تهدف إلى توفير عتاد عسكري متطور من نوع معين لضحية العدوان إذا بدا أن القتال أصبح وشيكاً في الشرق الأوسط. وصدرت الأوامر إلى سلاح الجو في التخطيط الأولي لإرسال 24 طائرة من طراز "إف – 86" من الوحدات الأمريكية العاملة في أوروبا إلى مطارات في إسرائيل، وذلك ضمن مهلة زمنية قصيرة. وبالإضافة إلى الطائرات كان من ضمن المخطط أن تزود إسرائيل بمدافع هاوتزر وبنادق مثبتة لا ترتد وقواذف صواريخ ومدافع مورتر وألغام ضد الدبابات والأشخاص، ومؤونة من الذخيرة لهذه الأسلحة تكفي لثلاثين يوماً (90000 قدم مكعب). والمذكرة التي أنشأت هذا المخزون الاحتياطي أشارت أيضاً إلى أن وزارة الخارجية هي التي سوف تعالج موضوع حقوق القاعدة والترانزيت لهذه الأسلحة، التي سوف تعتبر "ظاهرياً" أنها "مخزون احتياطي عادي للقوات الأمريكية في أوروبا والبحر المتوسط". كذلك فإن التعليمات الصادرة إلى المسؤولين في سلاح الجو أشارت إلى ما يلي: "تلفت الانتباه إلى طبيعة هذه العملية الحساسة، وإلى ضرورة اتخاذ احتياطات أمنية غير عادية لمنع حدوث أي تسرب معلومات محتمل. إن من شأن أي إفشاء مبكر لأي من تفاصيل هذه العملية أن يعرض العملية بكاملها للخطر، وأن يتسبب بمضاعفات دولية خطرة، لذا، فإن الموضوع سوف يعالج على أساس الحاجة إلى المعرفة فقط"[3].

وعلى الرغم من الاحتياطات كافة، فقد كان هناك احتمال بأن تتسرب أنباء العملية بطريقة أو بأخرى، فأصدر وزير الخارجية دالاس تعليمات إلى أحد مساعديه لتحضير بيان يستعمل في حالة كهذه. وتم تحضير مواد أخرى لاستعمالها من جانب الدول العربية، ولهذا الهدف جرى

---

1 ـ ستيفن جرين: الانحياز، مرجع سابق، ص 121.

2 ـ كميل منصور، مرجع سابق، ص 103 – 104.

3 ـ ستيفن جرين، مرجع سابق، ص 125.

تخزين هذه المواد على متن سفن الأسطول السادس في البحر المتوسط.

لكن المشكلة هي أنه مع حلول شهر سبتمبر/ أيلول، واقتراب موعد الانتخابات الرئاسية، وتأميم قناة السويس، والتآمر بين بريطانيا وفرنسا (وهما الدولتان اللتان وقعتا البيان الثلاثي مع الولايات المتحدة) وإسرائيل للهجوم على مصر، أصبح مجرد التفكير في توفير أسلحة للعرب أمراً سخيفاً جداً. وفي 28 سبتمبر/ أيلول 1956م، أرسل دالاس إلى الرئيس مذكرة يشير فيها إلى ما يلي: "إني أميل إلى الموافقة على رأي وزارة الدفاع في أنه من غير المحتمل الآن أننا قد نمنح العرب مساعدة عسكرية، وأميل أيضاً إلى الموافقة أن تنهي وزارة الدفاع هذا القسم من العملية، هل توافق؟ ووافق الرئيس، وألغيت عملية المخزون الاحتياطي[1].

## الأمريكيون أثناء الحرب:

تفاجأت الإدارة الأمريكية بالعدوان الثلاثي على مصر، دون معرفتها واستشارتها، فمارست ضغوطاً كبيرة على بريطانيا وفرنسا وعلى إسرائيل خاصة للانسحاب من منطقة قناة السويس وسيناء[2].

يُقال إن أبا إيبان "سفير إسرائيل في واشنطن" أكّد أن آيزنهاور ألح خلال اجتماع جرى بينه وبين الزعيم اليهودي أبا هيلل سيلفر في 30 أكتوبر/ تشرين الأول 1956م، وكان الهدف منه نقل فحواه إلى بن غوريون، على ضرورة الانسحاب الإسرائيلي، ثم حذر من أنه إذا كان هناك حالياً تلاق في المصالح بين إسرائيل من جهة وبين بريطانيا وفرنسا من جهة أخرى، "فإن قدرة إسرائيل ومستقبلها مرتبطان بالولايات المتحدة"[3]. وكانت الدولة العبرية تحتل على الرغم من كل شيء، منزلة خاصة جداً في أمريكا، والحفاظ على هذه المنزلة هو الذي جعل بن غوريون يفاوض في النهاية بشأن الانسحاب. ثم إن الولايات المتحدة لم تستخدم التهديد وحده في هذه المفاوضات؛ إذ وفقاً لإيسر هرئيل، رئيس الموساد يومها، عمدت الإدارة الأمريكية في أيام أزمة السويس إلى استخدام قنوات الاتصال بين استخبارات البلدين بديلاً عن القنوات السياسية والدبلوماسية[4].

ويشير أندرو كوكبيرن وليسلي كوكبيرن إلى إمكان أن تكون إسرائيل قد حصلت، في جملة ما حصلت عليه من عوض عن انسحابها من سيناء، على الترخيص الصريح باختلاس اليورانيوم الثري من مصنع أبلو في بنسلفانيا لاستخدامه في برنامجها النووي (الذي كانت حينذاك تعده

1 ـ ستيفن جرين، مرجع سابق، ص 122.

2 ـ المرجع السابق، ص 122.

3 - Abba Eban, Op. Cit., p. 217.

4 ـ أندرو وليسلي كوكبيرن: علاقات خطرة، مرجع سابق، ص 61.

مع فرنسا)[1]. أما من وجهة نظر العوض الدبلوماسي، فلابد من الإشارة إلى الضمانة التي قدمتها واشنطن لتل أبيب بصدد حق مرور سفنها في خليج العقبة بعد الانسحاب من سيناء. فقد رفضت واشنطن، على الرغم من الإلحاح الإسرائيلي، أن تذهب إلى أبعد من إعطاء صيغة تدرج في رسائل متبادلة، وتعلن الولايات المتحدة فيها أن خليج العقبة يشتمل على مياه دولية، وأنه ليس لأية دولة الحق في منع المرور الحر السلمي عبر الخليج، ثم تضيف بأنها مستعدة للانضمام على أطراف أخرى لتأمين الاعتراف العام بهذا الحق[2].

ولكن هذا بعيد جداً عن تقديم ضمانة مطلقة، مثل معاهدة أمنية مع الولايات المتحدة، وهي أي الضمانة، أمر كان آيزنهاور يدرك أنه هدف إسرائيل الحقيقي. غير أن مصدراً آخر سيلاحظ أنه عندما انفجرت أزمة خليج العقبة بعد ذلك، أعطيت تل أبيب ضمانة سرية سنة 1957م[3].

## الأمريكيون بعد الحرب:

كان لحرب السويس آثاراً ونتائج بالنسبة للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، فقد اعتبر الأمريكيون أن الفشل السياسي البريطاني/ الفرنسي أنشأ فراغاً يمكن أن يملأه الاتحاد، الذي بات يستطيع الآن الاعتماد على خيارات مفتوحة من دول المنطقة مثل مصر وسوريا. وكانت واشنطن تزداد اعتقاداً أن للقومية العربية أثراً مزعزعاً لاستقرار الأنظمة الموالية للغرب، وتشتمل على كثير من الأهداف التي تتفق وأهداف الاتحاد[4].

ثم بدأت محاربة النفوذ ومكافحة توسع الناصرية، كل ذلك أدى إلى دمج لعبة التحالفات والنزاعات الإقليمية الداخلية داخل نزاع الشرق والغرب، أي إنها أدرجت إسرائيل والدول العربية المحافظة المهتمة باستمرار الوضع القائم ضمن المعسكر الأمريكي بينما صنفت في المعسكر المعادي، الاتحاد وكل القوى الإقليمية الميالة إلى تغيير الأوضاع القائمة، وفي مقدمتها الناصرية غير أن هذا لا يعني أن السياسة الأمريكية كانت طوال فترة ما بعد حرب السويس موجهة ضد الناصرية بصورة ثابتة، بل إنها عملت على تحييد القوى التصحيحية في السياسة

---

1 ـ أندرو وليسلي كوكبيرن، مرجع سابق، ص 68-67.

2 ـ Bernard Reich, Quest for Peace: United States – Israel Relations and the Arab-Israeli conflict (New Brunswick: Transaction books/ Tel-Aviv, The Shiloah Center for Middle Eastern and African Studies, Tel-Aviv University, 1977), p. 33.

3 ـ Elmer Berger: Memoirs of an anti-zionist jew, the institute for Palestine studies, Beirut, 1978, p. 41.

4 ـ محمد حسنين هيكل: ملفات السويس، ملحق الوثائق، وثيقة رقم 222، ص 900، وثيقة رقم 227، ص 906، وثيقة رقم 240، ص 914، وعدد آخر من الوثائق في صفحات متفرقة تشير كلها إلى إثبات هذا التوجيه للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط.

الناصرية الشرق أوسطية، محاولة احتواءها في بعض الأحيان ومحاربتها في غالب الأحيان[1].
وبكلمة موجزة، فقد كان العدوان الثلاثي على مصر سبباً في صعود نجم عبد الناصر قائداً عربياً وعالمياً، بالإضافة إلى قيادته المصرية، كما أدت هذه الحرب إلى كسر بريطانيا وفرنسا وإسرائيل، وتعاظمت ثورة الجزائر ضد الفرنسيين، كما تعاظم المد القومي في جميع أنحاء العالم العربي.

1 ـ كميل منصور، مرجع سابق، ص 106.

## المصادر والمراجع


1. أحمد خليفة: مُلخص مذكرات بن غوريون، شؤون فلسطينية، عدد 5، نوفمبر/ تشرين ثانٍ 1971.
2. أحمد مصطفى: الولايات المتحدة والمشرق العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1978م.
3. جميل الشقيري: قضية فلسطين الحربية والسياسية، مطبعة مصنع الإسكندرية، الإسكندرية، 1962م.
4. جون. س. بادو: الموقف الأمريكي تجاه العالم العربي، وزارة الإرشاد القومي، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، د.ت.
5. عاطف عدوان: محاضرات في تاريخ فلسطين الحديث، الجامعة الإسلامية، غزة، 1987م.
6. غازي ربايعة: القضية الفلسطينية والصراع الإسرائيلي، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، 1987م.
7. غازي ربايعة: القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، 1987م.
8. ليلى القاضي: تقرير حول مشاريع التسوية السلمية للنزاع العربي الإسرائيلي 1972-1948م، شؤون فلسطينية، العدد 22، يونيو/ حزيران/ 1973م.
9. محمد نصر مهنا: مشكلة فلسطين أمام الرأي العام، 1967-1945، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1969م.
10. مذكرات محمود رياض، الجزء الأول، 1978-1948م، البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1985م.
11. منير الهور وطارق الموسى: مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية، 1959-1947م، دار الجليل للنشر، عمان، 1986م.
12. هنري كتن: قضية فلسطين، ترجمة رشدي الأشهب، السلطة الوطنية الفلسطينية، مطبوعات وزارة الثقافة، ط1، 1999م.
13. وثائق أساسية في الصراع العربي الإسرائيلي، ج5، 1956-1949م، جمع وإعداد: سمير أيوب، دار الكرمل، عمان، 1987م.
14. Abba Eban: Voice of Israel, New York 1958.
15. Bernard Reich, Quest for Peace: United States – Israel Relations and the Arab-Israeli conflict (New Brunswick: Transaction books/ Tel-Aviv, The Shiloah Center for Middle Eastern and African Studies, Tel-Aviv University, 1977).
16. Elmer Berger: Memoirs of an anti-zionist jew, the institute for Palestine studies, Beirut, 1978.
17. Lt. General, E. L. M. Burns, Between Arab and Israeli, The institute for Palestine studies, Beirut, 1969.
18. Robert Silverburg: American Jews and the State of Israel. If I forget the Jerusalem (New York Morrow, 1970).

Robert Silverburg: American Jewish and the State of Israel



# التحولات السياسية في سوريا بين عامي 1946-1920

الباحث الأستاذ رمضان أحمد العمر

أستاذ تاريخ حديث ومعاصر في التعليم الثانوي في لبنان

Ramadanalomar5@gmail.com

## ملخص البحث

البحث موجز عن التحولات السياسية في سوريا 1920-1946 إذ إنه يوجز تاريخ التحولات السياسية السورية حيث استعرضت أهم المحطات والمنعطفات. حاولت أن أضع القارئ في قلب التحولات السياسية التي شهدتها سوريا منذ إعلان الانتداب الفرنسي على سوريا عام 1920 وشرحت فيه التحولات التي طرأت على الوضع السياسي في سوريا بشكل موجز، لقد أوضحت في البحث تصوراً جيداً عن التحولات والتطورات السياسية في سوريا. وتضمن مقدمة عن أوضاع الجمهورية العربية السورية منذ الحرب العالمية الأولى 1914 حتى إعلان الانتداب الفرنسي على سوريا. إذ عمدت فرنسا بعدها لتقسيم سوريا لدويلات وسلخت الأقضية الأربعة عن سوريا وأعلنت دولة لبنان الكبير، وفي 28 حزيران 1922 أصدر غورو قراراً بإنشاء اتحاد بين دول دمشق وحلب وبلاد العلويين، ولكن هذا لم يدم طويلاً حيث تم إلغاءه وإنشاء وحدة في 5 أيلول 1925 بين دمشق وحلب مع إبقاء بلاد العلويين خارج هذه الوحدة، ونتيجة لسياسات الفرنسيين قامت الثورة السورية الكبرى 1925-1927 مما أجبر الفرنسيين على أن يسنّوا دستوراً للبلاد عام 1928، وانتخب هاشم الأتاسي رئيساً للجمعية التأسيسية وعيّن الزعيم إبراهيم هنانو رئيساً للجنة الدستور، وكان هناك خلافات حول بعض مواد الدستور لأنها لا تتوافق مع مصالح الفرنسيين. وأعلن عن مشروع معاهدة بتاريخ 16 تشرين الثاني 1933

إلا أن المجلس النيابي السوري رفضها لأنها لا تحقق الوحدة والاستقلال التام. ومع حلول عام 1936 وقعت أزمة اقتصادية خانقة على أهالي سوريا مما استدعى لحدوث إضراب لستين يوماً، وبالفعل حدثت تحولات سياسية أبرزها التعاون بين الكتلة الوطنية السورية والحكومة الفرنسية، وتم توقيع معاهدة بتاريخ 19 أيلول 1936 عرفت بالمعاهدة السورية–الفرنسية، ومع حلول عام 1937 سعت تركيا لضم لواء الاسكندرية وكان هناك وفد سوري يدافع عن اللواء، إلا أنه في نهاية المطاف نالت تركيا ما أرادت. وكنا قد لاحظنا منذ عام 1936 صراعات بين النخب السياسية السورية، نتج عنها اغتيال الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في 5 تموز 1940. ومع نهاية شهر شباط 1941 حدث إضراب نتيجة لارتفاع الأسعار، وخرجت عدة مظاهرات وراح العديد من الضحايا الأبرياء. أعلن كاترو ممثل فرنسا الحرة عن قدوم قوات ديغول لإنهاء الانتداب الفرنسي، وبالفعل تم الاعتراف بسورية دولة مستقلة بتاريخ 27 أيلول 1941، وقد أعلن مجلس

الأمن جلاء القوات الفرنسية عن سوريا في شباط 1946، وكان آخر جندي قد خرج من سوريا في 16 نيسان 1946.


## Research Summary.

This research is talking briefly about the political transitions in Syria between1920 and 1946. Since it summarizes the political changes in Syria. I have highlighted the most important issues and complexities. My attempt was to place the reader at the heart of those political changes since the declaration of the French Mandate over Syria in 1920.

In this treatise, I have illustrated the political changes and developments. An introduction was included about the situation in the Syrian Arab Republic since the First World War in1914 until the declaration of the French Mandate over Syria.

Furthermore, I have discussed the division of Syria into states. When France stripped out the four provinces and declared the Greater Lebanon as a country. On June the 28th 1922, Guru issued a decree to establish a union of Damascus, Aleppo and the Alawites.

On the other hand, this union did not last long as it was cancelled. Instead Damascus and Aleppo were united keeping the Alawites out of this union. As a result for the French policies, the Great Syrian Revolution was launched in 1925 till 1927. That obliged the French Mandate to decree a formal constitution for Syria in 1928.

At that time, Hashem Alatasi was elected as a head director for the "Establishing Committee". And the leader, Ibrahim Hanano, was assigned as head chief for the constitution board. There was disagreement regarding some of the constitution articles as it did not harmonize with the interests of France.

A treaty was declared on November the 16th 1933, but the Syrian parliament rejected it because it did not compromise with the full unity and independence of the country. By 1936, a severe economic crisis began. The people of Syria have greatly suffered from that crisis. That led to a large scale strike lasted for sixty days. Indeed that led to great political changes, the most prominent one was the cooperation between the Syrian National Bloc and the French Government. A treaty was signed on September the 19th 1936. It was known as the Syrian-French treaty. By 1937, Turkey worked on obtaining İskenderun Province. And there was a Syrian delegation defending for the Province. However at the end, Turkey was able to obtain what they wanted.

Since 1936 we have witnessed conflicts between Syrian political elites, which led to the assassination of Dr. Abdul Rahman Shahbandar on July the 5th, 1940. At the end of February 1941, a strike occurred as a result of high prices. Many and large scale demonstrations took place and many innocent victims were killed. The French representative announced the withdrawal of French troops from Syria in February 1946, and the last soldier departed Syria on April the 16th, 1946.

## مقدمة:

عندما وقعت الحرب العالمية الأولى 1914 أشارت دول الحلفاء أن من مبادئها في هذه الحرب احترام القوميات وتحرير البلدان المغلوبة على أمرها، وإعطاءها الحق في تقرير مصيرها، وحدثت مراسلات بين الشريف حسين وبريطانيا عرفت بمراسلات الحسين–مكماهون، عندما أرسل الشريف حسين رسالته الأولى في تموز 1915 إلى المندوب السامي البريطاني في مصر، وأعلن الشريف حسين الثورة على العثمانيين بتاريخ 10 حزيران 1916، ووقف مع الحلفاء وساهم في انتصارهم في الحرب العالمية الأولى 1914–1918[1]، بالمقابل كان هناك اتفاقيات بين فرنسا وبريطانية ومنها اتفاقية سايكس بيكو 16 أيار 1916، والتي يضمن فيها

1 ـ لمعرفة المزيد عن مراسلات حسين – مكماهون، راجع: مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، دار الشورى، الطبعة الثالثة، بيروت، بدون تاريخ، ص 177–135.

الطرفان مصالحهم واقتسام المنطقة[1])، وكذلك أقرت بريطانية إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين "وعد بلفور 2 تشرين الثاني 1917"[2].

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى دخل الأمير فيصل إلى دمشق في 2 تشرين الأول 1918 مع الجيش البريطاني فاستقبلته دمشق بكل طيب وكرم[3]. بتاريخ 5 تشرين الأول 1918، أذاع بلاغاً للشعب جاء فيه: «إلى أهالي سورية المحترمين، أشكر جميع السوريين، على ما أبدوه من العطف والمحبة وحسن القبول لجيوشنا المنصورة والمسارعة للبيعة باسم مولانا السلطان، أمير المؤمنين الشريف حسين نصره الله»[4]. وأبلّغهم أن حكومة دستورية عربية، مستقلة استقلالاً مطلقاً، باسم الشريف حسين تكون شاملة لجميع الولايات العربية، قد تشكلّت في سوريا، وعُيّن رضا باشا الركابي لرئاستها، وكذلك تألفت إدارة عرفية[5]. وجاء اختيار أعضاء الحكومة على أساس الخبرة وكذلك من المعروفين بالقدرة على القيادة[6]. رحّب الأهالي في بلاد الشام والعراق بالحكومة العربية، واستنكر الحلفاء قيامها ورفضوا إجراءاتها الإدارية. وأعلن اللنبي تقسيم بلاد الشام إلى ثلاث مناطق عسكرية[7]، وفي 18 كانون الثاني 1919 عقد مؤتمر الصلح في باريس، وأوضح الأمير فيصل دور العرب في محاربة العثمانيين وتضحياتهم لتحقيق النصر، وطالب الأمير باستقلال البلاد العربية في آسيا، وتحدث عن مبادئ ولسن في «حق الشعوب بتقرير مصيرها»، واقترح إرسال لجنة إلى بلاد الشام لتكشف رغبات الأهالي[8]، وبالفعل فقد اتخذ قرار في 25 آذار 1919 بإرسال لجنة كينغ-كراين[9]. وأقامت في البلاد

1 - Antoine Hokayem, et Marie Claude – Bittar, «L›empire ottoman Les Arabes et Les Grandes Puissances 1914 – 1920», collection L' Histoire par Les Documents, vol vl, les Editions Universitaires Du Liban, Beirut, 1981, p. 52

2 - راجع: حسن الحكيم، الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين العربي الفيصلي والانتدابي الفرنسي -1915 1946، دار صادر، بيروت، ص 30.

3 - أمين سعيد، سيرتي ومذكراتي السياسية 1967-1908، (عدد المجلدات 2)، المجلد الأول، تبويب وتوثيق وتحقيق عبد الكريم إبراهيم السمك، 2004، الطبعة الأولى، بدون دار نشر، ص 101.

4 - أمين سعيد، سيرتي ومذكراتي السياسية، مصدر سابق، ص 149.

5 - ذوقان قرقرط، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار، قراءة في تاريخ سوريا المعاصر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977، ص 17.

6 - أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن، النضال بين العرب والفرنسيين والإنكليز، عدد المجلدات (3)، المجلد رقم (2)، مكتبة مدبولي، ص 17.

7 - أمين سعيد، سيرتي ومذكراتي السياسية، مصدر سابق، ص 187.

8 - أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن، النضال بين العرب والفرنسيين والانكليز، مصدر سابق، ص 27.

9 - راجع تفاصل عمل لجنة كنغ كراين، Howard, Harry, the King– Crane Commission. An American, Inquiry into the Middle East, Khayat, Beirut, 1963.

السورية ستة أسابيع، زارت خلالها 36 مدينة وتلقت 1863 عريضة وقابلت وفود 1520 قرية[1]. عقد المؤتمر السوري العام، وافتتحت الجلسة الأولى في 7 آذار 1919 وقرر المؤتمر استقلال سورية، بما فيها فلسطين ولبنان والعراق، وفيصل ملكاً، ورفض كل ما يدعو لتقسيم سورية ورفض الانتداب ووعد بلفور[2].

## إعلان الانتداب وتجزئة سورية إلى دويلات 1920

قضت مقرّرات مؤتمر سان ريمو المنعقد في إيطاليا عام 1920، بتجزئة سورية الجغرافية إلى أربع دويلات وكذلك وضع لبنان تحت الانتداب الفرنسي[3]، يهدف الجنرال غورو من التقسيم تصفية الحركة الوطنية العربية، والقضاء على النضال الوطني، وتمّ ضرب دمشق في يوم 24 تموز 1920 ولم تستطع القوات العربية في معركة ميسلون بقيادة «يوسف العظمة» مواجهة المدافع والدبابات والطائرات بالإضافة إلى الجيوش الفرنسية التي بلغت تسعة آلاف جندي، ودخل الفرنسيون في يوم 25 تموز منه إلى دمشق[4].

صدر مرسوم جمهوري في فرنسا بتاريخ 23 تشرين الثاني 1920 حدد سلطات المفوض السامي الفرنسي في سوريا ولبنان وصلاحيات السكرتير العام للمفوضية السامية، وبهذا المرسوم منح المفوض السامي سلطات رئيس الجمهورية الفرنسية في كل من سورية ولبنان في تنفيذ الانتداب، وكان غورو قد أعلن إنشاء دولة لبنان الكبير في 31 آب 1920[5]، وأعلن إنشاء دولة دمشق في تشرين الثاني 1920، والتي تمتد من حماه إلى جنوب حوران وتم تعيين

---

1 ـ خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق بين 1918 – 1920، مكتبة الدراسات التاريخية، القاهرة، دار المعارف، 1971، ص 114.

2 ـ مذكرات خالد العظم، عدد الأجزاء (3)، الجزء (1)، دار المتحدة للنشر، بيروت، 1973، الطبعة الثانية، ص 95–97. أيضًا: غالب العياشي، الإيضاحات السياسية وأسرار الانتداب الفرنسي على سوريا، دار أشقر، بيروت، 1954، ص 55.

3 ـ حكمة علي إسماعيل، نظام الانتداب الفرنسي على سورية 1928–1920، دار طلاس، للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1998، ص 84.

4 ـ عبد الله حنا، ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر العربي السوري، أربعة مجلدات، المجلد الثالث، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ، ص 420–414. أيضًا: ساطع الحصري، يوم ميسلون صفحة من تاريخ العرب الحديث، مذكرات مصدرة بمقدمة عن تنازل الدول حول البلاد العربية ومذيلة بوثائق وصور، الناشر مكتبة الكشاف ومطبعتها، بيروت، بدون تاريخ، ص 304–277. أيضًا: يوسف الحكيم، سورية والعهد الفيصلي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ص 200.

5 ـ علي محافظة، مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية (1)، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية 1919 – 1945، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى تشرين الثاني 1985، بيروت، ص 105.

حقي العظم حاكماً لها[1]، ودولة حلب أعلنها في أول أيلول 1920 وجعلها حكومة مستقلة مركزها حلب، وألحق سنجق الإسكندرون بها مع احتفاظه باستقلاله الإداري، وحدد القرار 367 تاريخ 3 أيلول منه حدودها[2].

أما دولة العلويين فقد أصدر غورو قرارًا رقم 319 بفصل منطقة العلويين عن دمشق في 31 آب 1920، واعتباراً من أول أيلول منه، تم إنشاء إدارة فيها[3].

وكذلك دولة جبل الدروز، فقد جرت مفاوضات في شأنها بين سليم الاطرش والجنرال كوليه في دمشق انتهت في 4 آذار 1921، بالتوقيع على اتفاق جاء في مضمونه أنه تنشأ في جبل الدروز وحوران حكومة وطنية مستقلة تحت الانتداب، على أن يتم انتخاب حاكم من قبل الأهالي يمثلهم لمدة أربع سنوات، وتم تعيين سليم الاطرش حاكماً مدنياً لجبل الدروز[4].

**قرار غورو المفوض السامي الفرنسي بإنشاء اتحاد بين دول دمشق وحلب وأراضي العلويين المستقلة 28 حزيران 1922**

بعد قرار غورو بتجزئة البلاد إلى دويلات حدثت عدة تظاهرات ضد التجزئة تدعو لوحدة البلاد، فرأى غورو أن يعدل مشروع التجزئة تعديلاً ظن أنه يرضي الشعب، حيث أعلن في 28 حزيران 1922 إنشاء اتحاد بين الدول السورية المؤلفة من دولة حلب ودولة دمشق وأراضي العلويين المستقلة، وأوضح غورو قائلاً إن من يريد الانضمام إلى هذا الاتحاد من الدول أو الأراضي الأخرى الواقعة تحت الانتداب الفرنسي يجب عليه قبول الشروط المدرجة في هذا القرار، وتم انتخاب صبحي بركات أحد مندوبي حلب رئيساً لمجلس الاتحاد[5].

**إلغاء الاتحاد السوري وإنشاء وحدة بين دمشق وحلب وإبقاء حكومة العلويين خارجة عن هذه الوحدة 5 أيلول 1925**

لم يرضَ الأهالي في سوريا عن إعلان الاتحاد، وأخذوا يتظاهرون مطالبين بالوحدة الصحيحة وبالحكم النيابي الديمقراطي الحر، وبالاستقلال التام[6]، وهذا ما دعا الجنرال ويجان[7]. لإصدار

---

1 ـ محمد هوَاس، تكوّن جمهورية، « سورية والانتداب «، منشورات السائح، 2014، ص 55.

2 ـ غسان عيسى، العلاقات اللبنانية السورية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الاولى 2007، بيروت، ص 32.

3 ـ غسان عيسى، العلاقات اللبنانية السورية، مرجع سابق، ص 33–32.

4 ـ المرجع نفسه، ص 33.

5 ـ حسن الحكيم، الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين العربي الفيصلي والانتدابي الفرنسي 1915 – 1946، مصدر سابق، ص 261.

6 ـ المصدر نفسه، ص 263.

7 ـ الجنرال ويجان هو الذي خلف الجنرال غورو.

قرار بإلغاء الاتحاد وإنشاء وحدة، وأبرز نقاط هذا القرار ما يلي[1]:

- تتحد دولتا حلب ودمشق اعتباراً من أول كانون الثاني عام 1925، وتؤلفان دولة واحدة تسمى الدولة السورية.
- يتولى السلطة التنفيذية رئيس حكومة يسمى رئيس دولة سورية وينتخبه المجلس التمثيلي بأكثرية الآراء المطلقة.
- يؤازر رئيس الدولة وزراء.
- الوزارات خمس ووزارة الداخلية وبها ترتبط مصالح الشرطة المحلية ومديرية الدرك الثابت ومديرية الصحة والإسعاف العام، وزارة العدلية وزارة المالية ووزارة المعارف العامة ووزارة الاشغال العامة والزراعة والإصلاح الاقتصادي.

## الثورة السورية الكبرى 1925 – 1927

كان من أسباب الثورة فرض الانتداب الفرنسي بالقوة، بالإضافة إلى حدوث عدة ثورات أبرزها ثورة الشيخ صالح العلي في الساحل السوري، وثورة إبراهيم هنانو في المنطقة الشمالية الغربية...، وكذلك سوء الأوضاع الاقتصادية نتيجة سيطرة الفرنسين على الاقتصاد في سوريا، مرت الثورة بمرحلتين هما: مرحلة الانتصار والتوسع 1925– 1926، ومرحلة التراجع والانهيار 1926–1927[2].

**حكومة أحمد نامي الملقب بالداماد[3] في أيار 1926، كان قد أجرى المفوض السامي دي جوفنيل (De Jouvenelle) اتصالات مع النخب السياسية السورية ووقف على آرائهم، "دشّن عهده بإسناد رئاسة الدولة السورية إلى الأمير أحمد نامي"، الملقب بالداماد، فقبل الداماد هذه الرئاسة آملاً بأن يكون واسطة خير وسلام وتفاهم بين السوريين وفرنسا، لتنال سورية حريتها وسيادتها واستقلالها، ووصل أحمد نامي إلى دمشق في تاريخ 2 أيار 1926، وألف حكومته محتفظًا لنفسه برئاسة مجلس الوزراء على الوجه التالي[4]:**

- حسني البرازي وزارة الداخلية.
- شاكر الشعباني وزارة المالية.

1 ـ لمعرفة المزيد راجع: حسن الحكيم، الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين العربي الفيصلي والانتدابي الفرنسي 1915– 1946، مصدر سابق، ص 264–263.

2 ـ لمعرفة المزيد عن الثورة السورية الكبرى، راجع: رمضان أحمد العمر، مجلة الحداثة، العددان 192–191، ربيع 2018، بحث بعنوان: المقاومة الأهلية في سوريا ضد الانتداب الفرنسي «الثورة السورية الكبرى 1925– 1927 أنموذجًا، ص 120–105.

3 ـ الداماد مصطلح عثماني يعني صهر السلطان.

4 ـ يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، دار النهار للنشر، بيروت، 1983، ص 146–145.

- فارس الخوري وزارة المعارف.
- لطفي الحفار وزارة الأشغال العامة.
- واثق المؤيد وزارة الزراعة.
- يوسف الحكيم وزارة العدلية.

## انهيار التفاهم بين الانتداب الفرنسي والوطنيين 1928

مع بداية عام 1928 استقالت حكومة أحمد نامي، فرأى الفرنسيون أن يسنوا دستورًا للبلاد، فقرروا أن ينتخب مجلس تأسيسي، وكلف المفوض السامي الفرنسي الشيخ تاج الدين الحسني بتشكيل وزارة جديدة[1]. وقبل منتصف شهر شباط 1928، وبعد تشاور الشيخ تاج الدين الحسني مع عدد من الوطنيين، ألف وزارته على الشكل التالي[2]:

- سعيد محاسن لوزارة الداخلية.
- صبحي النيال لوزارة العدلية.
- جميل الألشي لوزارة المالية.
- محمد كرد علي لوزارة المعارف.
- توفيق شامية لوزارة الأشغال العامة.
- الشيخ عبد القادر كيلاني لوزارة الزراعة.

ودُعيت سورية لانتخاب أعضاء جمعية تأسيسية لأجل وضع دستورٍ جديدٍ للبلاد، وجرت الانتخابات في 24 نيسان 1928، ونتج عنها فوز الكتلة الوطنية، ولأن الكتلة الوطنية تعارض الانتداب، أصدر المفوض السامي الفرنسي أمراً للشيخ تاج الدين بتأجيل دعوة الجمعية التأسيسية، وتم إرسال مستشار بونسو السياسي لمفاوضة رجال الكتلة الوطنية حول موضوع الأسس التي سوف يبنى عليها الدستور، ووصلوا إلى اتفاق وتم عقد اجتماع في 9 أيار 1928[3].

انتخبت الجمعية التأسيسية هاشم الأتاسي رئيساً لها، وعيّن إبراهيم هنانو رئيساً للجنة الدستور لمكانته الرفيعة بين الشعب، انضم إليه، أيضاً، 26 نائباً أغلبهم من الوطنيين وانتخبت اللجنة اثنين من أعضائها وهما فوزي الغزي وفايز الخوري في لجنة الصياغة الفرعية،

---

1 ـ مذكرات جميل إبراهيم باشا، نضال الأحرار في سبيل الاستقلال، مطبعة الضاد، بدون تاريخ، بدون مكان، ص 43.

2 ـ يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، مصدر سابق، ص 206.

3 ـ وليد المعلم، سورية 1916 – 1946 الطريق إلى الحرية، الطبعة الأولى 1988، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ص 235.

والجمعية التأسيسية هي مؤسسة رسمية معارضة للحكومة المعنية من قبل الانتداب الفرنسي[1].

**مشروع الدستور السوري عام 1928 والخلاف على بعض مواده**

ما كاد يوضع الدستور حتى بدأت الشائعات بأن هناك بعض المواد لا تقبل بها فرنسا، وأبرز مواده هي[2]:

- المادة (1) سورية دولة مستقلة ذات سيادة.
- المادة (2) إن البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية هي وحدة سياسية لا تتجزأ، ولا عبرة بكل ما طرأ عليها بعد الحرب العالمية الأولى.
- المادة (3) سورية جمهورية نيابية دين رئيسها الإسلام وعاصمتها دمشق.
- المادة (29) السلطة التشريعية منوطة بمجلس النواب.
- المادة (35) يتألف مجلس النواب من أعضاء منتخبين.
- المادة (36) لكلّ سوري أتم العشرين من عمره ولم يكن ساقطاً في الحقوق المدنية، الحق في أن يكون ناخباً.
- المادة (68) ينتخب رئيس الجمهورية بالاقتراع السري في مجلس النواب وبأكثرية أعضائه المطلقة ويكتفي بالأكثرية النسبية في دورة الاقتراح الثالثة وتدوم مدة رئاسته خمس سنوات ولا تجوز إعادة انتخابه ثانية إلا بعد مرور خمس سنوات من انقطاع رئاسته الأولى.
- المادة (73) لرئيس الجمهورية حق إصدار العفو الخاص، أما العفو العام فلا يمنح إلا بقانون.
- المادة (74) يعقد رئيس الجمهورية المعاهدات، أما ما تعلق منها بسلامة الدولة، وماليتها وسائر المعاهدات التي لا يجوز فسخها عند انتهاء كل سنة، فلا تكون نافذة إلا بعد أن يقرها المجلس النيابي.
- المادة (75) يختار رئيس الجمهورية رئيس الوزارة ويعين الوزراء، بناء على اقتراح رئيسهم ويعين الممثلين خارج البلاد ويقبل الممثلين الأجانب.
- المادة (90) الوزارة مسؤولة بالتضامن أمام مجلس النواب فيما يختص بالسياسة وكل وزير مسؤول على الانفراد فيما ينحصر بوزارته.

---

1 ـ عبد الله يوركي حلاق، الثورات السورية الكبرى في ربع قرن 1945-1918، الطبعة الأولى، 1990، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ص 184. أيضًا: نجيب الأرمنازي، سورية من الاحتلال إلى الجلاء، الطبعة الثانية، دار الكتاب الجديد، بيروت 1973، ص 75.

2 ـ نجيب الأرمنازي، سورية من الاحتلال إلى الجلاء، مصدر سابق، ص 77-76. أيضًا: مازن يوسف صباغ، سجل الدستور السوري، طبعة الأولى، 2010، دمشق، دار الشرق للطباعة والنشر، ص 142.

رفض المفوض الفرنسي ست مواد من مواد الدستور (2، 73، 74، 75، 110، 112)[1]. لأن هذه المواد تعتبر روح الدستور على أساسي السيادة والوحدة[2]، «وقد برح المسيو بونسو (Ponsot) سورية إلى فرنسا واتصل بحكومته، ثم أجلت الجمعية ثلاثة أشهر أخرى في 5 تشرين الثاني 1928"، وعاد المفوض السامي إلى بيروت بتاريخ 26 كانون الاول 1928، ودعا رئيس الجمعية التأسيسية وقدم له بعض المقترحات لعرضها على مكتب الجمعية ولجنة الدستور، ولكن لم يتم الاتفاق عليها ولا على مقترحات معارضة قدمتها الجمعية التأسيسية، فنتج عن المفوض السامي الفرنسي قرار بتأجيل الجمعية إلى أجل غير مسمى[3].

والجدير بالقول «إن الجمعية التأسيسية كانت تصغي إلى أعضائها فيما قامت به من أعمال، ولا تغفل عما يدور في المحافل الوطنية خارج سورية من مطالب وأمانٍ»، بالمقابل فقد عقد اجتماع في القاهرة وحدد المجتمعون أن دستور سورية يجب أن يصرح ما يلي[4]:

- بوحدة البلاد السورية واستقلالها.
- أن تكون حكومتها ديمقراطية برلمانية جمهورية.
- أن تحدد العلاقات بين سورية وفرنسا بمعاهدة يبرمها البرلمان السوري، وتبنى على قاعدة احترام استقلال البلاد وسيادتها، وأن تنص هذه المعاهدة على قرب جلاء الجيش الفرنسي المحتل.

## دستور دولة سوريا المنشور بقرار من المفوض السامي رقم 3111 تاريخ 14 أيار 1930

كان الوطنيون قد عقدوا مؤتمراً في إحدى ضواحي دمشق، لبحث أزمة الدستور، وقرروا العمل على إيجاد حل للخروج من هذا الصمت، الذي لازمه المفوض السامي بعد مضي وقت غير قصير على تعطيل الجمعية التأسيسية، والتقى هاشم الأتاسي بالمفوض السامي حيث»ألمح له خلالها أنه سيسير قريبًا على خطة مستمدة من السياسة الحرة نفسها التي ابتدأ بها «، والخطة كانت إعلان دستور سوريا الجديد وسماه القانون الأساسي للدول المشمولة

1 ـ نجيب الأرمنازي، سورية من الاحتلال إلى الجلاء، مصدر سابق، ص 78.

2 ـ رد الكتلة الوطنية على بيان المفوض السامي في سوريا ولبنان الذي ألقاه في جنيف أمام لجنة الانتداب سنة 1932، ونشره في سوريا بتاريخ 5 شباط 1933 وعلى الأأوبة التي فاه بها أمامها، وعلى تقرير المفوضية الفرنسية المقدم إليها، عرضه الدكتور عبد الرحمن الكيالي، بقرار المؤتمر الوطني المنعقد في حلب بتاريخ 16 شباط سنة 1933، ص 71-70.

3 ـ نجيب الأرمنازي، سورية من الاحتلال إلى الجلاء، مصدر سابق، ص -78 79.

4 ـ المصدر نفسه، ص 80.

بالانتداب الفرنسي، وبالفعل تم تقديمه بكتاب إلى المسيوبريان وزير الخارجية[1]، ونذكر بعض مواد الدستور الجديد وهي[2]:

- المادة الأولى: سورية دولة مستقلة، ولا يجوز التفريط بأي جزء كان من أرضها.
- المادة الثانية: سوريا وحدة سياسية لا تتجزأ.
- المادة الثالثة: سوريا جمهورية نيابية دين رئيسها الإسلام وعاصمتها مدينة دمشق.

ومع سياسة فرنسا في التسويف والتأجيل، استمر الوطنيون بإظهار غضبهم واستيائهم، بالمقابل فقد تولى هاشم الأتاسي بعض المفاوضات لبحث مشروع معاهدة لم تقترن بنتيجة، من جهة ثانية تابع المفوض السامي سياسته في التأجيل، واستأنف رحلته السنوية وعندما عاد بتاريخ تشرين الثاني 1931، أصدر قراراً في 19 منه أنهى به عهد الحكومة المؤقتة التي دامت قرابة أربع سنوات، وكذلك دعا الأخير الأمة السورية إلى الاشتراك في انتخاب مجلس نيابي. وأيضًا أصدر ثلاثة قرارات هي[3]:

1- إنشاء مجلس استشاري يجتمع فيه حكمًا رؤساء الدولة السورية الذين تعاقبوا على الحكم ورئيس مجلس الشورى ورئيس محكمة التمييز وعميد جامعة دمشق ورئيس مجلس الإسكندرونة ورئيسا غرفتي التجارة في حلب ودمشق.
2- إحداث أسلوب إداري مؤقت لتسيير أعمال الحكومة، من وزراء عاملين مكلفين بالتوقيع، وأمانة سر عامة، ومشاركة مندوب المفوض السامي في أعمال الدولة.
3- احتفظ المفوض السامي لنفسه بصلاحيات رئيس الدولة المتعلقة بالانتخابات.

## عهد الجمهورية في سورية عام 1932

اجتمع المجلس النيابي في 7 حزيران 1932، مع العلم أن الشعب لم يعترف به، فالمظاهرات كانت تعمّ المناطق السورية، وعيّن محمد علي العابد رئيسًا للجمهورية السورية، وبتاريخ 14 حزيران تم تأليف وزارة جديدة من قبل حقي العظم واشترك فيها أثنان من الكتلة الوطنية هما جميل مردم ومظهر رسلان، وكانت المظاهرات مستمرة وبالأخص في حلب وسقط شهداء وجرحى برصاص القوة الفرنسية وعملائهم من قوى الأمن، وعُيّن حقي العظم للرئاسة والداخلية، وجميل مردم للمالية

1 ـ المصدر نفسه، ص 81.

2 ـ ذوقان قرقوط، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار، قراءة في تاريخ سورية المعاصر، مرجع سابق، ص 342 - 355.

3 ـ نجيب الارمنازي، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، مصدر سابق، ص 84-83.

والزراعة، ومظهر رسلان للمعارف والعدلية، وسليم جمبرت لوزراتي الأشغال العامة والاقتصاد[1].

أ ـ القانون الأساسي للكتلة الوطنية

نشأت عام 1926 واستمرت للعام 1946. بداياتها كانت في لبنان (مؤتمر بيروت 19 تشرين الأول 1927). شارك في هذا المؤتمر نخبة سياسية رفيعة المستوى من الوطنيين في لبنان وسوريا، وكان هدفه توحيد المواقف والجهود ضد السلطات الانتدابية الفرنسية[2].

عقدت الكتلة الوطنية مؤتمراً في مدينة حمص بتاريخ 4 تشرين الثاني 1932، وأقرت القانون الأساسي للكتلة وهو[3]:

ـ المبادئ العامة

**المادة الأولى:** الكتلة الوطنية هيئة سياسية غايتها تحرير البلاد العربية المنفصلة عن الدولة العثمانية والعمل على إيصالها لتحقيق الاستقلال التام، وجمع أراضيها في دولة ذات حكومة واحدة، على أن يبقى للبنان الحق في تقرير مصيره ضمن حدوده القديمة، وتأليف المساعي مع العمل القائم في الأقطار العربية الأخرى، لتأمين الاتحاد مع الأقطار، على أن لا يحول هذا السعي دون الأهداف الواجب بلوغها في كل بلد.

**المادة الثانية:** تعتبر الكتلة الوطنية أن الأمة جمعاء بكل ما لديها من قوة معنوية ومادية وقف على هذا الجهاد الوطني حتى تبلغ أهدافها.

**المادة الثالثة:** من الواجب المحتم جمع قوى الأمة وتوجيه جهودها لتحقيق الآمال الوطنية، ولذلك تعتبر الكتلة الوطنية تأليف الأحزاب السياسية مخالفاً لوحدة الجهود.

**المادة الرابعة:** لا يجوز مس أوتعديل هذه المبادئ باعتبارها جوهرية في حياة الأمة وفي كيان الكتلة الوطنية وفي كل مخالفة لها تسقط صاحبها من حق الانتساب لها.

ـ التشكيلات

المادة الخامسة: تقوم الأوضاع الأساسية على ثلاث هيئات[4]:

---

1 ـ علي رضا، قصة الكفاح الوطني في سورية عسكرياً وسياسياً حتى الجلاء 1946-1918، المطبعة الحديثة، حلب، 1979، ص 303- 309.

2 ـ نجاة قصّاب حسن، صانعو الجلاء في سورية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، 1999، بيروت، ص 385

3 ـ علي رضا، قصة الكفاح الوطني في سورية عسكرياً وسياسياً حتى الجلاء 1946-1918، مرجع سابق، ص 319-318.

4 ـ لمعرفة المزيد عن القانون الأساسي للكتلة الوطنية راجع: ذوقان قرقوط، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار، مرجع سابق، ص 316- 323.

1 – المكتب الدائم[1].

2 – مجلس الكتلة الوطنية[2].

3 – المؤتمر العام.

ختامًا، اعتبرت الكتلة الوطنية في سياستها القومية أن العرب في أنحاء وطنهم كافة أمة واحدة والسوريين جزء منها[3].

**ب–مشروع معاهدة 16 تشرين الثاني 1933 الذي رفضه المجلس النيابي السوري**

من الواضح أن مشروع المعاهدة السورية الفرنسية الذي جاء به المسيو بونسو المفوّض السامي الفرنسي لا يحقق أماني البلاد السورية بالوحدة والاستقلال، ولكن فرنسا لم تعرضه على المجلس النيابي السوري بسبب انسحاب الوطنيين من الحكم والمجلس، وكانت قد عينت فرنسا بدلًا من بونسو الكونت دي مارتيل الذي وصل إلى بيروت بتاريخ 14 تشرين الأول 1933 ومعه تعليمات بعرض مشروع معاهدة على الحكومة والمجلس النيابي السوري، وعندما وصل إلى دمشق بدأ استشاراته وعرف أن الشعب في سوريا لم يرض بهكذا معاهدة لأنها لا تحقق الوحدة والاستقلال للبلاد، لكنه لم يقتنع بهذه الآراء ومضى في خطته[4]، وبتاريخ 16 تشرين الاول 1933 وقّع مع حقي العظم رئيس الحكومة المعاهدة، وتمت إذاعة الخبر في يوم 19 من الشهر نفسه، قابل هذه التحولات السياسية رفض المجلس النيابي السوري لها[5].

ج ـ فشل المعاهدة وتأليف وزارة جديدة

نتيجة لرفض المعاهدة من قبل الكتلة الوطنية وزعمائها، وقف المفوض السامي موقف العداء منهم وكانت المظاهرات الشعبية تعمّ ضد الانتداب، فنسب الفرنسيون ذلك لضعف حكومة حقي العظم، أصدر المفوض السامي قرارًا يلغي فيه حكومة حقي العظم، وتمّ تكليف

1 ـ كان يتألف من 7 أعضاء يتم انتخابهم من قبل مجلس الكتلة الوطنية مدى الحياة، وهم هاشم الأتاسي رئيساً، إبراهيم هنانو، فارس الخوري، وتم انتخاب نائبين للرئيس هما جميل مردم سكرتيراً، وشكري القوتلي أميناً للصندوق.

2 ـ يتألف من 38 عضواً أبرزهم السيد هاشم الاتاسي، إبراهيم هنانو، عبد الرحمن الكيالي، سعد الله الجابري، شكري القوتلي، لطفي الحفار، نسيب البكري، فخري البارودي، بالإضافة إلى الأعضاء المقيمين خارج سوريا، أبرزهم إحسان الجابري، شكيب أرسلان، رياض الصلح، عبد الرحمن الشهبندر، أدمون ربّاط، عبد اللطيف البيسار، عبد الحميد كرامي، وعبد الرحمن بيهم... لمعرفة المزيد راجع: عبد الرحمن الكيالي، المراحل في الانتداب ونضالنا الوطني، مطبعة الضاد، الجزء الأول، حلب، 1958، ص 184.

3 ـ ساطع الحصري، العروبة بين دعاتها ومعارضيها، دار العلم للملايين، بيروت، 1961، بدون طبعة، ص 150.

4 ـ حسن الحكيم، الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين العربي الفيصلي والانتدابي الفرنسي 1915 – 1946، مصدر سابق، ص 306.

5 ـ المصدر نفسه، ص، 306 – 325.

الشيخ تاج الدين الحسيني بتشكيل حكومة جديدة فكانت على النحو التالي[1]:

- الشيخ تاج الدين لرئاسة مجلس الوزراء ولوزارة الداخلية معًا.
- عطا الأيوبي لوزارة العدلية.
- حسني البرازي لوزارة المعارف.
- جميل الألشي لوزارة الاشغال العامة.
- هنري هندية لوزارة المالية.
- محمد أطه لي لوزارة الزراعة.

الواضح من تلك التطورات أن الموصي بالاستقالة والتعيين هو المفوض السامي الفرنسي، وقد كان تعيين تاج الدين رئيسًا للوزارة كافياً لإثارة غضب الزعماء الوطنيين[2].

ـ الإضراب الستيني 1936

مع حدوث ركود سياسي عام 1935 وقعت أزمة اقتصادية وصفت بالخانقة نتج عنها اضطرابات سببها سياسة احتكار فرضتها فرنسا، لاسيما في قطاع الكهرباء، ولهذا فقد أعلنت الكتلة الوطنية مقاطعة شركة كهرباء سورية، وعملت على تنظيم مظاهرات وإضرابات صيف 1935 تحت قيادة فخري البارودي الذي يعود له الدور في تحريك الشارع السوري، وزاد في نقمة السوريين على الفرنسيين قيام فرنسا بتوطين عدد من الآشوريين العراقيين في سورية واستخدامهم كجواسيس لصالحها، وكانت فرنسا قد أعلنت عام 1934 مساعدتها الإنسانية للآشوريين ومنحهم بيوت في منطقة الجزيرة السورية. وبتاريخ 20 كانون الثاني 1936، أغلقت السلطات الفرنسية مكتبي الكتلة الوطنية في دمشق وحلب، وكذلك اعتقلت كل من فخري البارودي والمحامي سيف الدين المأمون، ومن جهة ثانية فقد رد الوطنيون بمظاهرات غاضبة في معظم المحافظات السورية ولاسيما حلب وحماه وحمص، وفي دمشق قاد المظاهرات نسيب البكري وجميل مردم وشكري القوتلي، وتحوّلت إلى أعمال شغب لدى محاصرتها من قبل قوة فرنسية التي أطلقت النار عليها لتفريقها، وكذلك في اليوم الثاني طوقت قوات فرنسية الجامع الأموي في دمشق لتعطيل مهرجان طلابي، حيث جرت مواجهات عنيفة بينهما واستشهد أربعة أشخاص، وأيضًا في حلب هاجمت قوة فرنسية منزل الزعيم هنانو وأخذت وثائق من منزله وقتلت شخصين واعتقلت العشرات، ونتيجة لهذه التطوّرات أضربت مدن سورية إضرابًا عامًا، وتضامنت معها مدن طرابلس وبيروت، وعرف بالإضراب الستيني، أقفلت المحلات والدكاكين الكبيرة والصغيرة وبقيت فقط الافران تعمل، بالمقابل فقد اتخذت فرنسا عدة إجراءات لفك الإضراب منها كسر أقفال المحلات وإغراء بعض التجار بحمايتهم من الوطنيين ولكنهم

1 ـ يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، مصدر سابق، ص 242–241.

2 ـ يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، مصدر سابق، ص 242.

رفضوا، وفي النهاية قامت فرنسا بتنفيذ مطالب الشعب وأطلقت سراح المعتقلين، وعادت المفاوضات للوصول للاستقلال[1].

## التعاون بين الكتلة الوطنية وسلطات الانتداب 1936

أ- المعاهدة السورية الفرنسية التي تم توقيعها في قصر وزارة الخارجية بباريس 19 أيلول 1936

بعد أن درس كل من الوفدين السوري والفرنسي مختلف المسائل المتعلقة بوضع معاهدة صداقة وتحالف بين فرنسا وسورية على أسس الحرية التامة والسيادة والاستقلال، تقرر بعد مفاوضات تمت في باريس صيغ الوثائق المربوطة التي تؤلف نص معاهدة الصداقة والتحالف وملاحقها وهي[2]:

- اتفاق عسكري.
- خمسة بروتوكولات.
- إحدى عشرة مراسلة.

جاء في بعض مواد هذه المعاهدة ما يلي[3]:

**المادة الأولى:** يسود بين فرنسا وسوريا علاقة صداقة وسلم دائمان.

**المادة الثانية:** اتفقت الحكومتان على أن تتشاورا بصورة تامة بدون تحفظ في كل أمر يتعلق بالسياسية الخارجية من شأنه أن يمس مصالحهما المشتركة.

**المادة الثالثة:** يتخذ الطرفان الساميان المتعاقدان جميع التدابير النافعة لتنقل يوم زوال الانتداب إلى الحكومة السورية وحدها الحقوق والواجبات الناجمة عن المعاهدات والاتفاقيات وسائر العقود الدولية التي عقدتها الحكومة الفرنسية فيما يخص سورية أو باسمها.

ب ـ الأتاسي رئيس للجمهورية خلفًا للعابد

عقد المجلس النيابي جلسة بتاريخ 21 كانون الأول 1936 وانتخب فارس الخوري رئيسًا للمجلس، بالمقابل فقد قدم محمد علي العابد استقالته لأسباب صحية، وانتخب المجلس بشبه إجماع رئيس الكتلة الوطنية هاشم الأتاسي، ومن المعلوم أن استقالة العابد لم تكن مفاجأة

---

1 ـ سعاد جروس، من الانتداب إلى الانقلاب، سورية زمان نجيب الريس، دار الريس، الطبعة الأولى 2015، ص 177-175.

2 ـ حسن الحكيم، الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين العربي الفيصلي والانتدابي الفرنسي 1915 - 1946، مصدر سابق، ص 227.

3 ـ لمعرفة المزيد عن المعاهدة السورية الفرنسية راجع: حسن الحكيم، الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية مصدر سابق، ص 229-228.

للشعب السوري، خصوصًا بعد ما انسحب الوزراء الوطنيون بينما ظل العابد يتعاون مع الموالين للانتداب الفرنسي المنافسين للكتلة الوطنية[1].

## قضية لواء الإسكندرونة 1937

أ ـ جهود تركيا لضم لواء الإسكندرونة اليها

بدأت تركيا تنتهج نهج الطامع بأخذ ما هو من حق غيرها بالقوة، والجدير بالذكر أن الذي جعل تركيا تنتهج هذا النهج الوعر المسيء إلى جار صديق، هو تقرّب إنكلترا وفرنسا من تركيا، بعد تأزم الوضع في أوروبا وانتشار أخبار بوقوع حرب، وهكذا فقد عزمت إنكلترا على كسب تركيا لجانب الحلفاء في حال هاجمت ألمانيا فرنسا، وهذا ما جعل تركيا تستغل الفرصة وقامت بالتهجم على سوريا علّها تنال لواء الإسكندرونة عن طريق التهديد، وكذلك بواسطة عصبة الأمم التي كانت تحت سيطرة إنكلترا وفرنسا وحلفائها، لهذا قدمت تركيا شكوى تدعيّ أن سورية تضغط على أبناء جنسها الأتراك، وأن فرنسا كونها الدولة المنتدبة، لم تنفذ اتفاقية أنقرة بشكل كامل، وقالت أيضًا إنه إذا استمر الضغط على الأتراك فسوف يهاجرون، وطالبت بإجراء استفتاء للواء وإعطائه الاستقلال وأن يرسل إليه قوى لحفظ الأمن ورفع الضغط والاضطهاد، وادعت أن معظم سكان اللواء هم من الجنسية التركية، وبناء على هذه الشكوى تم تبليغ فرنسا لإبداء رأيها[2].

ب ـ الوفد السوري إلى عصبة الأمم في جنيف للدفاع على لواء الإسكندرونة 1937

كلفت الحكومة السوري الدكتور عبد الرحمن الكيالي وإحسان الجابري وحسن جبارة بالذهاب إلى جنيف، والتقى أعضاء الوفد السوري المسيو "شوفيل" وتحدثوا معه قبيل الاجتماع، وأوضح الوفد مهمته وهي الدفاع عن حق سورية في اللواء، وعدم الخروج عن الحدود التي وردت في معاهدة أنقرة "المادة (7) والتي بموجبها أعطي للترك السوريين امتيازات ثقافية لحفظ آدابهم وهويتهم، وتمكينهم من استعمال لسانهم" وكذلك بيّن الوفد موقف سورية من اللواء، والمدعيات التي آثارها الاتراك، وقالوا "إن المعاهدة، وقضية الإسكندرونة، واحدة لا تتجزأ، وكل تنازل للترك زيادة عما ورد في معاهدتهم معكم يُعد مؤامرة منكم علينا"، وتابع عبد الرحمن الكيالي "وقلنا له: إن سوريا إذا سلب منها أي حق، سوف تعود إلى الشغب عليكم، والقيام بثورة لا يعلم مداها ونتائجها إلا الله"[3].

---

1 ـ يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، مصدر سابق، ص 269.

2 ـ عبد الرحمن الكيالي، المراحل في الانتداب الفرنسي وفي نضالنا الوطني من عام 1939-1936 الجزء الرابع، مطبعة الضاد، حلب، 1960، ص 314-313.

3 ـ عبد الرحمن الكيالي، المراحل في الانتداب الفرنسي وفي نضالنا الوطني من عام 1939-1936، مصدر سابق، ص 316-314.

ترأس الجلسة المسيو "فيانو" وقرأ رشدي آراس رئيس وفد تركيا ووزير خارجيتها بيانه، ونتيجته "أن منطقة إسكندرون لا تزال غير محدودة. وأن معاهدة أنقرة انعقدت بين تركيا وفرنسا باعتبار أن هذه المنطقة كانت تحت احتلال فرنسا، وكما أعطت الدولة المنتدبة سوريا استقلالها، فتركيا تود أن تعطي لواء الإسكندرونة استقلاله، ولحل هذه القضية يجب التواصل مع فرنسا مباشرة، ويطلب من العصبة اتخاذ إجراءات تدبيرية لرفع الظلم والاضطهاد عن سكان اللواء، الذين أكثرهم أتراك، وذلك بسحب الجيش، والدرك، والشرطة، وإرسال قوى محافظة دولية"، وفي اليوم التالي 15 كانون الأول 1936 عقدت العصبة جلستها فرد "فيانو" على الوفد التركي والخلاصة "إن منطقة إسكندرونة لا يسع حكومته إعطاءها الاستقلال لتعهداتها، أي تعهدات فرنسا تجاه عصبة الأمم، وأن معاهدة أنقرة 1921 ثبتت الحدود نهائيًا في 10 تشرين الاول 1923. وأن معاهدة لوزان عام 1922 أقرت الحدود، ولم يبق مجال للشبهات". فردّ الأتراك: "إذا كانت فرنسا قد تنازلت عن كيليكيا، وهي دولة منتدبة، فكيف جاز لها التنازل؟ وعليه كما جاز لنا التنازل عنها، يجوز لنا التنازل عن اللواء، وإلا فمعاهدة أنقرة ملغاة هي والحدود، لأنها عندما عقدت لم تكن فرنسا دولة منتدبة"[1].

إن هذا الكلام غير مقبول لأن الاحتلال لا يحدد حدوداً، وقد جدد المجلس اجتماعه في 16 كانون الأول 1936، وخلاصته أنه قرر ترك القضية لحلها فيما بينهما في غضون الجلسة القادمة، وانتهت المحادثات بدون الوصول إلى نتيجة، وقال المسيو فيانو "إن الوفد السوري إذا شاء العودة إلى سوريا لإطلاع حكومته على مجريات الأمور فلا مانع، لعلنا نتمكن من حل القضية في 18 كانون الثاني 1937، وإذا اقتضى الأمر حضوركم فسوف ندعوكم"[2].

ج ـ الاستفتاء في لواء إسكندرونة

انتهت المفاوضات في عصبة الأمم بإجراء استفتاء على اللواء، وعندما أعلن هذا الخبر ظهرت في دمشق نقمة المتظاهرين من أبناء العرب وإخوانهم السوريين على الفرنسيين، وكذلك على الحكومة الوطنية، موجهين لها تهمة التآمر مع الأجنبي. بالمقابل لم تقف الحكومة مكتوفة الأيدي أمام التظاهرات التي أثارت خصومها السياسيين، وفي مقدمتهم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وإخوانه، فأعلنت اهتمامها بأمر الاستفتاء، وتم الاستفتاء تحت إشراف محافظ اللواء "إبراهيم أدهم" والمندوب الفرنسي "دوريو" ومدير الاستخبارات الكومندان كوليه، وكانت رغبة السكان في البقاء مع سوريا وهذا ما صرح به رجال الحكومة في دمشق وما نشرته الصحف، بالمقابل كانت النتيجة فك اللواء عن سوريا "باعتباره وحدة ممتازة مستقلة تتمتع بحكم جمهوري

---

1 ـ المصدر نفسه، ص 326-317.

2 ـ عبد الرحمن الكيالي، المراحل في الانتداب الفرنسي وفي نضالنا الوطني من عام 1936-1939، مصدر سابق، ص 326.

بأرجحية تركية ذات استقلال تام في شؤونها الداخلية" وتم تسميته "هاتاي" وجعل مركزه إنطاكية وفقًا للاتفاقية التي وقعتّ بين فرنسا وتركيا بتاريخ 4 تموز 1938، وقد أُيّدت هذه الاتفاقية بقرار عصبة الأمم الصادر بتاريخ 20 أيلول 1938[1].

## اغتيال الدكتور عبد الرحمن الشهبندر 6 تموز 1940

اغتيل عبد الرحمن الشهبندر مؤسس حزب الشعب[2]. على يد ثلاثة رجال هم: أحمد عصاصة، وصالح معتوق، وأحمد الطرايشي، واتهم في مقتله رجال الكتلة الوطنية، شكري القوتلي وسعد الله الجابري، وجميل مردم بك، ولطفي الحفار، والدليل على ذلك هربهم إلى العراق، ويعد سبب مقتله موقفه المعارض للكتلة الوطنية، وأيضًا معارضته للمعاهدة التي وقعتها الكتلة الوطنية مع سلطات الانتداب الفرنسي في أيلول 1936 كما ذكرنا سابقًا[3]، ويذكر يوسف الحكيم "أن الدكتور كان في عيادته في حارة الشعلان القريبة من شارع المجلس النيابي ومن مديرية الصحة والإسعاف العام، يعاين زائريه المرضى، فغادره آخرهم في وقت الظهر، حين جاء العيادة خمسة أشخاص يحمل أحدهم سلّة تفاح، فسلمها إلى الخادم إبراهيم الكردي فدخل بها الى العيادة"، ويتابع الحكيم كلامه ويقول "ووقف أحد الخمسة القادمين خارج الباب واثنان على الدرج المؤدي إلى العيادة، ودخل الاثنان. تقدم أحدهما، المدعو أحمد عصاصة، من الدكتور عبد الرحمن يشكو له الألم في رأسه وأحشائه، فعطف عليه الدكتور وهمّ ليفحصه وللحال أطلق الجاني المعارض الرصاص من مسدسه على رأس الدكتور..."[4]

## سورية في سنوات الحرب العالمية الثانية

في الوقت الذي غابت فيه الكتلة الوطنية عن الساحة السياسية، حاول شكري القوتلي

---

1 ـ يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، مصدر سابق، ص 284-283.

2 ـ أسسه عام 1925 على أساس الوحدة السورية والسيادة القومية، وعقد الحزب مؤتمره التأسيسي في دمشق 5 حزيران 1925، وأعلن برنامجه التالي:

أ- توحيد سورية لتضم كل الأقطار المشمولة بحدودها الطبيعة،

ب- ممارسة الحرية الشخصية وحرية الصحافة وحرية الاجتماعات،

ج- تربية الشعب تربية ديمقراطية،

د- إصلاح الحالة الاقتصادية وتشجيع المصنوعات الوطنية،

هـ- توحيد التربية والتعليم الإجباري.

راجع: علي محافظة، مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية (1)، مرجع سابق، ص -132 133.

3 ـ هاشم عثمان، تاريخ سورية الحديث، دار الريس، الطبعة الأولى، 2012، ص 130.

4 ـ يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، مصدر سابق، ص 308-307.

إعادة نشاطها السياسي، وفي نهاية شهر شباط 1941 دعا للإضراب العام في دمشق، احتجاجًا على ارتفاع الأسعار بسبب الحرب العالمية الثانية، وطال الإضراب حمص وحماه وحلب ودير الزور واستمر حتى بداية شهر نيسان، وحدثت مظاهرات قوبلت بالعنف والنار، مما أدى لسقوط عدد من القتلى والجرحى، هذا ما دعا المندوب السامي الفرنسي لاستبدال مجلس المديرين وتعيين آخر يمتلك صلاحيات تشريعية ورقابية[1].

يوم 3 نيسان 1941، كلّف خالد العظم بتشكيل حكومة محتفظًا لنفسه برئاسة الحكومة ووزارة الداخلية، وسمّى صفوت إبراهيم باشا لوزارة العدلية، ونسيب البكري لوزارة الاقتصاد الوطني والأشغال العامة، وحنين صحناوي لوزارة المالية، ومحسن البرازي لوزارة المعارف. وفي 8 حزيران 1941 حلقت الطائرات في سماء دمشق وألقت مناشير من الجنرال كاترو ممثل فرنسا الحرة في الشرق، تعلن للسوريين واللبنانيين قدومها باسم الجنرال ديغول، وذلك من أجل إنهاء عهد الانتداب وإعلان الحرية والاستقلال لسوريا ولبنان "وأن فرنسا بصوت أبنائها تعلن استقلالكم"[2]. وكلف كاترو في 12 أيلول 1941 الشيخ تاج الدين بمهمة رئاسة الجمهورية السورية، وقام الشيخ تاج بتكليف حسن الحكيم تأليف الوزارة وترك الأخير لنفسه رئاسة مجلس الوزراء ووزارة المالية، وعين بهيج الخطيب وزيرًا للداخلية، وزكي الخطيب وزيرًا للعدلية، ومحمد العايش وزيرًا للاقتصاد الوطني...[3]، وبعد نضال طويل وكفاح مرير وتضحيات بالرجال والأموال، استطاعت سورية أن تجبر فرنسا على التخلي عن انتدابها والاعتراف بسورية دولة مستقلة ذات سيادة وذلك في خطاب ألقاه الجنرال كاترو بتاريخ 27 أيلول 1941، بحضور رئيس الجمهورية السورية تاج الدين الحسني ورئيس الوزراء حسن الحكيم[4].

نشب خلاف بين الشيخ تاج الدين وحسن الحكيم فأراد الشيخ التخلص منه، فأشار إلى الوزراء بتقديم استقالتهم لعدم تفاهمهم مع الوزارة، وبالفعل عهد للشيخ تاج الحسني البرازي بتأليف وزارة جديدة، واكتفى برئاستها مع إعادة الوزراء المستقيلين مع بعض التعديلات البسيطة، ودامت هذه الوزارة ستة أشهر، لينتهي أجلها بسبب خلاف بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، وتدخلّ الجنرال كوليه لحل الخلاف وانتهى الأمر بتشكيل وزارة جديدة بتاريخ 8 كانون الثاني 1943 بقيادة جميل الألشي، وفي شهر آب 1943 انتخب شكري القوتلي رئيسًا للجمهورية وتألفت وزارة جديدة في 19 منه برئاسة سعد الله الجابري، وكان معظم أعضائها من رجال الكتلة الوطنية، ومع اشتداد الخلاف بين رئيس الوزارة سعد الله الجابري ووزير

1 ـ سعاد جروس، من الانتداب إلى الانقلاب، سورية زمان نجيب الريس، مرجع سابق، ص 285-286.

2 ـ يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، مصدر سابق، ص 320-317.

3 ـ هاشم عثمان، تاريخ سورية الحديث، دار الريس، مرجع سابق، ص 134.

4 ـ لمعرفة المزيد راجع: حسن الحكيم، الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية مصدر سابق، ص 376-379.

الداخلية الحفار فقدم الأخير استقالته وهذا ما استدعى إنهاء الوزارة الأولى وقيام وزارة ثانية كلف بتشكيلها فارس الخوري بتاريخ 14 تشرين الأول 1944، ونتيجة للصراعات بين أعضاء الوزارة الثانية لأسباب واجتهادات شخصية، قدمت الوزارة استقالتها في يوم 5 نيسان 1945، وبعد يومين كلف الخوري مرة ثانية لتأليف الوزارة[1]. والجدير بالذكر هنا قصف دمشق والاعتداء على المجلس النيابي بتاريخ 26 أيار 1945 حيث نزلت القوات الفرنسية إلى الشوارع وإذ بها تطلق القذائف على العاصمة دمشق، ونتيجة لهذا عمّت الاضطرابات في المحافظات السورية وبالأخص في حلب وحمص وحماه وإدلب ودرعا ودير الزور، وجُهزت للدفاع عن نفسها، وبعد تلك الأحداث قدم فارس الخوري استقالته بسبب خلافات حصلت بين أعضائها، وكلفه رئيس الجمهورية بتأليف وزارة جديدة بتاريخ 26 آب 1945 ولكنها لم تدم طويلًا فتم تكليف سعد الله الجابري بتأليف وزارة في 30 أيلول 1945[2].

## جلاء القوات الفرنسية عن سورية 1946

كان مجلس الأمن قد أعلن في شباط 1946، جلاء القوات الفرنسية عن سورية، فبعد نضال طويل وشاق، ومفاوضات يمكن وصفها بالطويلة، تم جلاء الجيوش الفرنسية عن سورية بتاريخ 16 نيسان 1946، واعتبر هذا اليوم عيدًا وطنيًا للجمهورية العربية السورية[3].

## بعض الاستنتاجات

بعد أن تخلص الشعب السوري من حكم العثمانيين، وقع تحت الانتداب الفرنسي، وأسف السوريون كل الأسف على زوال وحدتهم واستقلالهم التام، خصوصاً وأنهم بذلوا كل ما لديهم من تضحيات ولا سيما في الأرواح دون الوصول إلى النتيجة المطلوبة، فقد استولى الحزن واليأس على نفوسهم بالأخص عندما فرض الانتداب الفرنسي على البلاد عام 1920، وزاد هذا الحزن تقسيم البلاد إلى دويلات.

قام الشعب السوري بعدة ثورات ضد الانتداب الفرنسي رافضين لوجوده غير الشرعي على الأراضي السورية وسياسته التي كانت تخدم مصالحه واقتصاده. مارس السوريون ضغوطات على فرنسا وأجبرها على الإقرار بوضع دستور للبلاد وشارك في وضعه النخب السياسية السورية والمجاهدون الذين عادوا إلى سوريا لمتابعة نضالهم ضد الفرنسيين، وكانت فرنسا ترفض كل دستور أو معاهدة أو اتفاقية تحقق الحرية والعدالة والاستقلال التام لسوريا لأنها

1 ـ يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، مصدر سابق، ص 342–324.

2 ـ يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، مصدر سابق، ص 349–342

3 ـ هاشم عثمان، تاريخ سورية الحديث، دار الريس، مرجع سابق، ص 151.

دولة مستعمرة. ومع تطور التحولات السياسية في سوريا حدثت صراعات بين النخب السياسية السورية وكان لفرنسا الدور الاول في زرع الفتة والخلافات بين السوريين، على الرغم من توقيع معاهدة عام 1936 بين سوريا وفرنسا إلا أن الأخيرة امتنعت عن تسليم صلاحيات البلاد للسوريين، كان من الطبيعي أن يثور ويتظاهر الشعب نتيجة للسياسات الاستعمارية من رفع للأسعار وسرقة خيرات البلاد ومصادرة الحريات العامة.

بدأت التحولات السياسية تتسارع في سنوات الحرب العالمية الثانية لتجبر الدولة الاستعمارية فرنسا أن تخرج من سوريا ولينال الشعب السوري في نهاية المطاف حريته واستقلاله التام.

## الخاتمة

نالت سوريا استقلالها وبعد الاحتفال بالجلاء، تم تأليف حكومة برئاسة سعد الله الجابري حيث عين نفسه للرئاسة والخارجية، وعيّن للاقتصاد الوطني والعدلية السيد خالد العظم، وصبري العسلي للداخلية.... إلا أنه بعد أيام من مباشرة وزارة الجابري أعمالها، أصدر وزير الداخلية قراراً بحل جميع الأحزاب والهيئات والمنظمات السياسية التي لم تتأسس برخصة رسمية، وصدر في عهد حكومة الجابري قانون العمل وكان أول قانون من نوعه عرفته البلاد، وقد سبقت به سوريا كل البلاد العربية، ولأسباب عدة استقالت حكومة الجابري، وتألفت في 27 كانون الأول 1946 وزارة جديدة برئاسة جميل مردم بك، وأبرز ما تم في عهد هذه الوزارة ، صدور قانون الانتخابات العامة، وجرى في عام 1947 إحصاء عام لجميع سكان سوريا. وقد عُقد في شباط 1948 اتفاق بين جميل مردم بك ورياض الصلح عرف باتفاق الجنتلمان بالقاهرة، أما أسباب وعوامل هذا الاتفاق فهي أنه حين قطعت سورية المفاوضات مع فرنسا، وأعلنت انفصالها عن كتلة الفرنك، انشق عنها لبنان وعقد اتفاقه المالي مع فرنسا ونتيجة لهذا الاتفاق حدثت اضطرابات في العلاقات السورية اللبنانية.

## المصادر والمراجع

### أ ـ المصادر


1 . أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن، النضال بين العرب والفرنسيين والانكليز، عدد المجلدات (3)، المجلد رقم (2)، مكتبة مدبولي.
2 . أمين سعيد، سيرتي ومذكراتي السياسية 1908–1967، (عدد المجلدات 2)، المجلد الأول، تبويب وتوثيق وتحقيق عبد الكريم إبراهيم السمك، 2004، الطبعة الأولى، بدون دار نشر.
3 . حسن الحكيم، الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين العربي الفيصلي والانتدابي الفرنسي 1915–1946، دار صادر، بيروت.
4 . رد الكتلة الوطنية على بيان المفوض السامي في سوريا ولبنان الذي ألقاه في جنيف أمام لجنة الانتداب سنة 1932، ونشره في سوريا بتاريخ 5 شباط 1933 وعلى الأجوبة التي فاه بها أمامها، وعلى تقرير المفوضية الفرنسية المقدم إليها، وضحه الدكتور عبد الرحمن الكيالي، بقرار المؤتمر الوطني المنعقد في حلب بتاريخ 16 شباط سنة 1933.
5 . ساطع الحصري، يوم ميسلون صفحة من تاريخ العرب الحديث، مذكرات مصدرة بمقدمة عن تنازل الدول حول البلاد العربية ومذيلة بوثائق وصور، الناشر مكتبة الكشاف ومطبعتها، بيروت، بدون تاريخ.
6 . عبد الرحمن الكيالي، المراحل في الانتداب الفرنسي وفي نضالنا الوطني من عام 1939–1936 الجزء الرابع، مطبعة الضاد، حلب، 1960.
7 . عبد الرحمن الكيالي، المراحل في الانتداب ونضالنا الوطني، مطبعة الضاد، الجزء الأول، حلب، 1958.
8 . مذكرات جميل إبراهيم باشا، نضال الأحرار في سبيل الاستقلال، مطبعة الضاد، بدون تاريخ، بدون مكان.
9 . مذكرات خالد العظم، عدد الأجزاء(3)، الجزء (1)، دار المتحدة للنشر، بيروت، 1973، الطبعة الثانية.
10 . نجيب الأرمنازي، سورية من الاحتلال إلى الجلاء، الطبعة الثانية، دار الكتاب الجديد، بيروت 1973.
11 . يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، دار النهار للنشر، بيروت، 1983.
12 . يوسف الحكيم، سورية والعهد الفيصلي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.


### ب ـ المراجع


1 . حكمة علي إسماعيل، نظام الانتداب الفرنسي على سورية 1928–1920، دار طلاس ، للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1998.
2 . خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق بين 1920–1918، مكتبة الدراسات التاريخية، القاهرة، دار المعارف، 1971.
3 . ذوقان قرقوط، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار، قراءة في تاريخ سوريا المعاصر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977.
4 . ساطع الحصري، العروبة بين دعاتها ومعارضيها، دار العلم للملايين، بيروت، 1961، بدون طبعة.

5 . سعاد جروس، من الانتداب إلى الانقلاب، سورية زمان نجيب الريس، دار الريس، الطبعة الأولى 2015.
6 . عبد الله حنا، ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر العربي السوري، أربعة مجلدات، المجلد الثالث، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ.
7 . عبد الله يوركي حلاق، الثورات السورية الكبرى في ربع قرن 1945-1918، الطبعة الأولى، 1990، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
8 . علي رضا، قصة الكفاح الوطني في سورية عسكرياً وسياسياً حتى الجلاء 1946-1918، المطبعة الحديثة، حلب، 1979.
9 . علي محافظة، مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية (1)، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية 1945-1919، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى تشرين الثاني 1985، بيروت.
10 . غالب العياشي، الإيضاحات السياسية وأسرار الانتداب الفرنسي على سوريا، دار أشقر، بيروت، 1954.
11 . غسان عيسى، العلاقات اللبنانية السورية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الاولى 2007، بيروت.
12 . مازن يوسف صباغ، سجل الدستور السوري، طبعة الأولى، 2010، دمشق، دار الشرق للطباعة والنشر.
13 ـ محمد هوَاس، تكوّن جمهورية، «سورية والانتداب «، منشورات السائح، 2014.
14 . مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، دار الشورى، الطبعة الثالثة، بيروت، بدون تاريخ.
15 . نجاة قصّاب حسن، صانعو الجلاء في سورية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، 1999، بيروت.
16 . هاشم عثمان، تاريخ سورية الحديث، دار الريس، الطبعة الأولى، 2012
17 . وليد المعلم، سورية 1946-1916 الطريق إلى الحرية، الطبعة الأولى 1988، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.

**ـ الدوريات**

مجلة الحداثة، العددان 191-192، ربيع 2018، رمضان أحمد العمر، بحث بعنوان: المقاومة الأهلية في سوريا ضد الانتداب الفرنسي ”الثورة السورية الكبرى 1925 – 1927 أنموذجًا“
.

## المراجع الاجنبية

1- Antoine Hokayem, et Marie Claude-Bittar, «L›Empire Ottoman Les Arabes et Les Grandes Puissances 1914-1920», collection L›Histoire par Les Documents, vol vl, les Editions Universitaires Du Liban, Beirut, 1981.
2- Howard, Harry, the King-Crane Commission. An American, lnquiry into the Middle East, Khayat, Beirut, 1963.

# باب النقد الشعري والأدبي



# البنيّة الإيقاعيّة في الشعر العربي

الدكتور غسان تويني
أستاذ مساعد في كلية الأداب والعلوم الانسانية وفي كلية التربية في الجامعة اللبنانية
وأمين سر الملتقى الثقافي الجامعي
Ghassan_twainy@hotmail.com

## ملخص البحث

البنيّة الإيقاعية في الشّعر العربي

تتناول الدراسة نقاطا عديدة، إذ تبدأ بمقدمة تمّ فيها تعريف الإيقاع الشّعريّ ومدى تمايزه عن الموسيقى من جهة، والوزن من جهة أخرى، كما أشارت المقدمة إلى العناوين الاتية:

- مقدمة عامة في علم العروض.
- تطوّر العروض العربيّة.
- الإيقاع في القصيدة العربية.
- دراسة المكوّن الإيقاعيّ في القصيدة العربية (نشيد الحرب/نموذجاً)، للشاعر سميح القاسم.

ثمّ أخذت الدراسة بشرح هذه العناوين والوقوف عند جزئيتها، بدءاً بمراحل نشأة العروض، وتطوّره، وصولاً إلى استحضار بعض النماذج التقليدية والحداثية، وما يقدمه الإيقاع في هذه النماذج من مواكبة للدلالة في قراءة الشاعر للعالم من حوله.

وبعد ذلك قدمت الدراسة عملاً إجرائياً، لقصيدة "نشيد الحرب" للشاعر الفلسطيني سميح القاسم.

وفي الخاتمة أشارت الدراسة إلى أنّ التجديد في الإيقاع أعطى القصيدة العربية مذاقاً خاصاً، وهذا بدوره أدى إلى خلق نوع من الانسجام بين الشّاعر وتحسس حركة العالم المرجعي من حوله، وتقديمه بطريقة فنيّة تعبر عن رؤيته.

## Research Summary

The Rhythmic Structure in Arabic Poetry

The study addresses several points starting with an introduction that defines poetic rhythm and how different it is from rhyme and meter. It also pointed to the following titles:

- General introduction on prosody
- Development of Arabic prosody
- Rhythm in Arabic poetry
- A study of the rhythmic element in Arabic poetry taking **Chant of War** by Samih Kassem as a sample

The study elaborated on each of these titles considering the beginning stages of prosody and its development; in addition to studying how rhythm in some classical and modern poems offers insights on how the poet perceives the world around him. Then, it presented an application on **Chant of War** by the Palestinian poet Samih Kassem.

In the conclusion, the study asserted that modernism in rhythm has given the Arabic poem a special taste which created a sort of harmony between the poet and his perception of his surrounding, thus enabling him to present it in an artistic touch that reflects his vision.

### المقدمة:

يعدّ المستوى الموسيقيّ عنصراً أساسيّاً في ولادة القصيدة الشعريّة، وفي تقديم رؤية الشاعر للعالم المرجعيّ من حوله، فإذا كانت مكونات العمل الشّعريّ تستند إلى المكوّن المعجميّ، والمكوّن الصرفيّ، والمكوّن النّحويّ، والمكوّن البلاغيّ، والمكوّن الرّمزيّ، فإنّ المكوّن الإيقاعيّ يساهم في تكوين الدّلالة الكبرى للقصيدة.

يربط ابن طباطبا الإيقاع بحسن التركيب واعتدال الأجزاء، إذ يقول: "وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه ويرد عليه من حسن تراكيبه واعتدال أجزائه"[1].

يرى عز الدين إسماعيل:" أن الإيقاع غير الوزن، الإيقاع حركة الأصوات الداخلية التي لا تعتمد على تقطيعات البحر أو التفاعيل العروضية، وتوفير هذا العنصر أشق بكثير من توفير الوزن"[2].

---

1 ـ ابن طباطبا، عيار الشّعر. محمد سلام زغلول، منشأة المعارف، الاسكندرية، د.ت.، ط3، ص 53.

2 ـ عز الدين اسماعيل، الأسس الجماليّة في النقد العربي، دار الفكر العربي، ط3، 1974، ص 376.

فالإيقاع هوالذي يلون كل قصيدة بلون خاص، ويوفر لها بصمة شعوريّة، تعبّر عن التموجات الانفعالية التي تنتاب الشّاعر في لحظة كتابة القصيدة.

لقد عرّف كمال أبوديب الإيقاع بأنّه: "الفاعليّة التي تنتقل إلى المتلقي ذي الحساسية المرهفة الشّعور بوجود حركة داخلية ذات حيوية متنامية تمنح التتابع الحركي وحدة نغمية عميقة عن طريق إضفاء خصائص معينة على عناصر الكتلة الحركيّة"[1].

لم يعد الإيقاع عنده حركة تنشط لدى الشاعر في أثناء كتابة القصيدة، إنما أصبح فاعلية يشترك فيها المتلقي، إذ يتحوّل الإيقاع إلى صلة فاعلة بين الشاعر المتلقي في قراءة الوجود.

ويرى الشكليون الروس أن الإيقاع مثل: "الصورة يقصد به الكشف عن النمط التحتي للحقيقة العليا، إنه قد يبدو صدى لمعنى القصيد، وهو أداة للكشف داخل القصيدة، وهم يعدّون الإيقاع أقوى عناصر الجمال في الشعر"[2].

هذا الكلام يعني أن الإيقاع ليس زينة عارضة، أو شكلا متزمتا، أو ظاهرة كمالية، إنما هو عنصر فاعل ولازم من عناصر العملية الشّعرية.

الإيقاع في الشعر أعمّ من الوزن، فالوزن أحد عناصر الإيقاع، أو الأوزان قوالب عروضية يستعان بها في تنظيم الإيقاع وتوجيهه.

الإيقاع علامة خاصة بين مستويات عديدة في النص أهمها: المستوى النحوي، والمستوى البلاغي، والمستوى العروضي. فالبحر الطويل عند امرىء القيس هو نفسه عند المتنبي من وجهة عروضية، ولكنه ليس كذلك من وجهة إيقاعية، إذ إنَّ الإيقاع يتشكل وفق تجربة الشاعر، وما تفرضه عليه هذه التجربة من اهتمامات وانفعالات، وما يراه من حوله، فالإيقاع البطيء، يختلف عن الإيقاع السريع.

أراد البلاغيون للقصيدة أن تحقق التكامل بين العناصر الثلاثة، العنصر النحويّ، والعنصر التصويريّ، والعنصر الإيقاعيّ.

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلىأن الإعجاز يكمن في النظم، أي في العلاقات بين مختلف عناصر التأليف.

من باب الإضاءة على هذا الموضوع، فإننا سنتناول في هذا البحث النقاط الآتية:

1 . مقدمة عامة في علم العروض.

2 . تطوّر العروض العربية.

3 . الإيقاع في القصيدة العربية.

4 . دراسة المكون الإيقاعي في القصيدة العربية.

---

1 ـ كمال أبو ديب، في البنية الإيقاعية للشعر الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، 1982، ط2، ص 230.

2 ـ محمد النويهي قضية الشعر الجديد، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، بيروت، ط2، ص 263.

## 1 . مقدمة عامّة في علم العروض:

**العروض العربية:** هذه التسميّة تحدّد صناعة النظم في الشّعر الكلاسيكي، والعروض في الاصطلاح علم يماز به صحيح وزن الشّعر من فاسده. وبوساطة هذا العلم نضبط أوزان الشّعر ونرتّب أجزاءه، ونقيس موسيقاه.

العروض في اللّغة من أسماء مكة المكرمة، لاعتراضها وسط البلاد العربيّة، والسّحاب الرقيق، والخشبة المعترضة وسط الخيمة، والطريق الصعب، والناقة الصعبة[1].

مكتشف هذا العلم، هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصريّ، (175–100هـ)، أحد أئمة اللّغة والأدب. فالخليل هو الذي أعطى للبحور الخمسة عشر، التي توصل إلى ضبطها وتمييزها، الأسماء التي تعرف بها اليوم، وقسمها إلى عناصرها الثانويّة، وقد آثر أن يعطي لكل بحر اسماً يقترب من طبيعته وطبيعة حركته (السريع أو الطويل....).

**المقاطع الصوتيّة والتفاعيل:** تشمل كل واحدة من تفعيلات النظام الخليليّ على عدد معين من الوحدات الصوتيّة التي تتضمن كل منها، فيما عدا "السبب الخفيف"، أكثر من مقطع صوتيّ واحد.

لنتأمّل الوحدات المؤسسة للعروض:

**السبب:**

أ– السبب الخفيف: يتألف من حركة فسكون، (لمْ، بنْ، ماْ..) ويشتمل على مقطع طويل (/0).

ب– السبب الثقيل: يتألف من حركتين، (لك، بك، ...). ويشتمل على مقطعين «قصيرين» (//).

**الوتد:**

أ– السبب الثقيل: يتألف من حركتين، (لك، بك، ...). ويشتمل على مقطعين «قصيرين» (//).

ب– الوتد المجموع: يضم حرفين متحركين وحرفا ساكنا، (لقد، رمى...). «ر» م قصير «ما» طويل.

ج– الوتد المفروق: يضمض حرفين متحركين يفصلهما ساكن. (قال، رأس..)."قا" طويل، "ل" قصير.

**الفاصلة :**

أ– فاصلة صغرى: ثلاثة حروف متحركة وساكن. (لعبا، لعبتْ...)." لع" قصيران، "با" طويل.

---

1 ـ جلال الحنفي، العروض تهذيبه وإعادة تدوينه، مطبعة العاني، بغداد، ط1987، ص 27.

ب- فاصلة كبرى: أربعة حروف متحركة وحرف ساكن. (وجدهمْ، ذهبتا..)."وجد" ثلاثة م قصيرة، " هم" م طويل.

التّفعيلة: تشكل التفعيلات الثمانية، مع ما يتولد منها من جوازات كامل التوليفات الإيقاعيّة الممكنة في الشعر العربي القديم.

التفاعيل: وهي قسمان.

خماسية :

ـ فعولن //0/0. مقاطع ثلاثة. "ف" قصير، "عو" و"لن" طويل.

ـ فاعلن /0//0. مقطعان طويلان. "فا" و"لن"، ومقطع قصير"ع".

سباعية :

ـ مفاعيلن //0/0/0. مقطع قصير، "م"، ثلاثة مقاطع طويلة، "فا"، "عي"، "لن".

ـ متفاعلن ///0//0. م قصيران "م"، "ت". مقاطع، "فا"، طويل، "ع" قصير، "لن" طويل.

ـ مستفعلن /0/0//0. م ط، "مس/تف"، م ق "ع"، م ط "لن.

ـ مفاعلتن //0///0 م ق "م"، م ط "غا " م ق "ع /ل" م ط "تن".

ـ فاعلاتن. /0//0/0. م ط "فا" م قع " م ط "لا / تن".

ـ مفعولاتُ. /0/0/0/. م. ط. "مف/ عو /لا". م.ق. "ت".

- **البحور:**

لكل بحر من البحور العربيّة الستة عشر، شكل من حيث الطول، هذا يعني أن كل بحر يحتفظ في بنيّة إيقاعيّة يتميّز بها، وتقوم على تتابع الحركات والسّواكن.

الصيغ الكاملة للبحور:

الطويل: فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

//0/0//0/0/0//0/0//0/0/0

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

مفتاحه:

طويل له دون البحور فضائل

فعول مفاعيلن فعول مفاعلن

البسيط:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

/0/0//0/0//0/0/0//0/0//0

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

مفتاحه :

إنّ البسيط لديه يبسط الامل

مستفعلن فعلن مفاعلن فعلن

المديد:

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن      فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

/0//0/0//0/0//0/0

مفتاحه:

لمديد الشّعر عند صفات  فعلاتن فاعلن فاعلاتن

الوافر :

مفاعلتن مفاعلتن فعولن     مفاعلتن مفاعلتن فعولن

//0///0//0///0//0/0

مفتاحه:

بحور الشّعر وافرها جميلُ  مفاعيلن مفاعلتن فعولن

الكامل:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن    متفاعلن متفاعلن متفاعلن

///0//0///0//0///0/0

مفتاحه :

كمُل الجمال من البحور الكامل  متفاعلن متفاعلن مستفعلن

الهزج:

مفاعيلن مفاعيلن      مفاعيلن مفاعيلن

//0/0/0//0/0/0

مفتاحه :

على الأهزاج تسهيل      مفاعيلن مفاعيل

الرجز :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن     مستفعلن مستفعلن مستفعلن

/0/0//0/0/0//0/0/0//0

مفتاحه:

في أبحر الأرجاز بحر يسهل      مستفعلن مستفعلن مستفعلُ

الرمل:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن   فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن     /0//0/0/0//0/0/0//0/0

مفتاحه:

رملُ الابحر ترويه الثّقاتُ فعلاتن فعلاتن فاعلاتُ

السريع:

مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن /0/0//0/0/0//0/0//0

مفتاحه:

بحرٌ سريعٌ ما له ساحلُ مستفعلن مستفعلن فاعلن

المنسرح:

مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن

/0/0//0/0/0/0/ /0/0//0

مفتاحه:

منسرح فيه يضرب المثل مسِتعلن مفعلات مفتعلن

الخفيف:

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

/0//0/0/0/0//0/0//0/0

مفتاحه:

يا خفيفا خفت به الحركات فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

المضارع

مفاعيلن فاعلاتن مفاعيلن فاعلاتن

//0/0/0/0//0/0

مفتاحه:

تعدّ المضارعات مفاعيلُ فاعلاتن

المقتضب :

مفعولات مستفعلن مفعولات مستفعلن

/0/0/0//0/0//0

مفتاحه:

اقتضب كما سألوا مفعلات مفتعلن

المجتث:

مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

/0/0//0/0//0/0

مفتاحه:

إن جثّت الحركات مستفعلن فعلاتن

المتقارب:

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

0/0//0/0//0/0//0/0//

مفتاحه:

عن المتقارب قال الخليل فعول فعول فعولن فعولن

المتدارك:

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن

0//0/0//0/0//0/0//0/

مفتاحه :

حركات المتدارك تنتقل فعلن فعلن فعلن فعلن

**الدوائر العروضيّة:**

1 . دائرة المختلف: الطويل، المديد، البسيط.

2 . دائرة المؤتلف: الوافر، الكامل.

3 . دائرة المجتلب: الهزج، الرجز، الرمل.

4 . دائرة المشتبه: السريع، المنسرح، الخفيف، المضارع، المقتضب، المجتث.

5 . دائرة المتّفق: المتقارب، المتدارك.

**الجوازات أو الإباحات:**

1 . فعولن: فعولُ (مقبوضة)/ فعلْ

2 . فاعلن: فعلن (///5)(مجنونة)/فعْلن /فاعلانْ(تذييل).

3 . مفاعيلن: مفاعلن (القبض) / مفاعي (فعولن) (الحذف).

4 . مستفعلن: متفْعلن/مفاعلن (الخبن)، مفْتعلن / مستفعلْ (مفعولن (القطع).
مستفعلان (تذييل)، مستفعلاتن (ترفيل).

5 . متفاعلن: متْفاعلن مستفعلن (الإضمار)، متفا= فعلن (أحذّ).
متفاعلان (تذييل). متفاعلاتن (ترفيل).

6 . مفاعلتن: مفاعلْتن = مفاعيلن (العصب)، مفاعلتان.

7 . فاعلاتن: فعلاتن (الخبن)، فالاتن = مفعولن / فاعلا= فاعلن (الحذف) فاعلاتان (التسبيغ).

8 . مفعولات: مفعولا = مفعولن (الكسف)، فعولات (الخبن)، مفعلات (الطي).

الصيغ المختصرة للبحور:

هناك بحور مجزوءة، ومشطورة، ومنهوكة.

المجزوء ما حذف من شطريه تفعيلة.

المشطور ما حذف منه شطر.

يقول أحدهم:

دع ودّ من يرعوي إذا غضبْ

ومن إذا عاتبته يوما عتبْ

إنك لا تجني من الشّوك العنبْ

ويقول حافظ ابراهيم:

تحية كالورد في الأكمام

أزهى من الصحة في الأجسام

يسوقها شوق إليكم نامي

تقصر عن همّه الأقلام

**المنهوك:** نوع من المشطور لكن يتألف من تفعيلتين.

ومنه ما قال أبو نواس:

إلهنا ما أعدلك

مليك كل من ملك

لبيك قد لبيت لك

ما خاب عبد سألك

أنت معه حيث سلك

لولاك يا ربّ هلك

**القافية:** تتكون القافية من حروف عديدة، يحمل كل منها اسما. وتحدّد بآخر ساكنين قبلهما متحرك (للقلم، /0///0).

حروف القافية:

**الروي:** تبنى عليه القافية وتنسب إليه. (تمردا)، القافية حرف (الدال).

**الوصل:** حرف مد ناشىء عن إشباع حركة (الروي)، في (تمردا)، حرف (الألف).

**الخَروج:** يتولد من إشباع حركة هاء الوصل.

يا حسرة ما أكاد أحملها آخرها مزعج وأوّلها

(اللام روي، الهاء الوصل، الألف الخروج).

**القافية المقيّدة:** هي ما كان رويها ساكناً.

**القافية المتحركة:** هي ما كان رويها متحركاً.

الإقواء: هو اختلاف حركة الرّوي في القصيدة الواحدة (الأسودُ/في غدِ).

لزوم ما لا يلزم: التزام حرف أو حرفين قبل حرف الرّوي (لمصائبا/صائبا/تصائبا).

الأرقط: وهوما تتابعت حروفه واحد منقوطاً وآخر غير منقوط :

ونديم بات عندي ليلة منه غليل

خاف من صنع جميل قلت لي صبر جميل

**التضمين:** هو أن ألا يستقل البيت، بل يتعلق بالذي يليه. وهي توزيع جملة على بيتين اثنين، وخصوصا حين ترتبط القافية ببقية من الكلام واردة في البيت الذي يلي.

مثال قول النابغة:

وهمُ وردوا يوم الجُفار على تميموهمْ أصحاب يوم عكاظ إني

شهدتُ لهمْ مواطن صادقاتِ أتيتهمٌ بصدق الـودّ مني

التدوير: هو توزيع كلمة بذاتها على شطري البيت.

التصريع: هو أن يتفق العروض والضرب وزنا وقافية.

مثال قول أبي نواس:

دع عنك لومي فإنّ اللّوم إغراء وداوني بالّتي كانت هي الدّاء

### 2. تطوّر العروض العربيّة:

لم نشهد أشكالاً جديدة للقصيدة العربية إلاّ مع العصر العباسي، إذ بدأ الشعراء يكثرون في استخدام البحور الخفيفة التي كانت تعكس رهافة الحضارة العباسية وتستجيب في الوقت نفسه لحاجات الغناء الذي كان في طور الازدهار.

ولم يكتفِ شعراء هذه الحقبة بهذا التطوّر، بل انتقلوا إلى ابتكار أوزان جديدة، وقد سُمّيت بـ «الأوزان المهملة»، لأنّها كانت مصنّفة تحت تسمية "أوزان المولّدين"، وهي: المستطيل والممتد والمتوافر والمنسرد والمضطرد.

وقد تبنى بعض الشعراء في هذه الحقبة وزنا فارسيا يدعى «الدوبيت» تفاعيله هي: فِعْلُنْ متفاعلن فعولن فَعِلُنْ أو (فَعْلُنْ).

**الموشح:**

يعدُّ الموشح أهمّ الأشكال الشعريّة الجديدة دون منازع، ويتفق أغلب المؤرخين على أصله الأندلسي، إذ بدأ في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)[1].

يمثل الموشح نظاماً شعريّاً معقداً، حاملاً بالتوشيه، ودقة الصناعة يمثل موشح لسان الدين بن الخطيب نموذجاً في التجديد، الذي مطلعه:

جادكَ الغيث إذا الغيث همى　　　يا زمانَ الوصلِ في الاندلسِ

لم يكنْ وصلُك إلّا حلما　　　في الكرى، أو خِلسَة المختلسِ.

يتضمن هذا الموشح (أحد عشر تفعلاً) وعشرات الأبيات. تتكوّن بنية الموشح من:

- المطلع أو المذهب: وهو المجموعة الأولى من أقسامه. وأقلُّها اثنان، وأكثرها ثمانية. فإذا وُجد المطلع سُمِّي الموشح تامّاً، وإذا خلا منه سُمِّي أقرع.
- القفل: يسمَّى كل مطلع متردِّد قُفلاً. القفل هو تردد قوافي المطلع بالعدد والنظام نفسيهما في الموشح.
- الخرجة: هي آخر قُفل في الموشح.
- البيت: يقع بين قفلين، ويتكرّر بوزنه، وعدد أجزائه، تختلف ألفاظه وقافيته.
- الدّور: هو ما يعقُب المطلع، ويتألف من مجموع بيت وقُفل ولا يدخل المطلع في أي دور ويجوز تغيير الروي في الأدوار.
- الغصن: هو كل جزءٍ من القُفل (المطلع والقُفل والخرجة).
- السّمط: هو كل جزءٍ من بيت.

يتكون الموشح من ستة أقفال وخمسة أبيات، وقد يتجاوز هذا الحدّ.

مطلع:　　جادك الغيثُ إذ الغيث همى

يا زمانَ الوصل بالاندلسِ

قفل لازمة

لم يكن وصلُك إلاّ حلما

في الكرى، أو خِلسة المختلسِ.

إذ يقود الدهرُ أشتات المُنى

ينقل الخطو على ما يرسمُ

زمراً بين فُرادى وثنى

مثلما يدعو الوفودَ الموْسمُ

والحيا قد جلّلَ الروض سنا

فثغورُ الزّهرِ منهُ تَبْسمُ

أبيات

1 ـ بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، ص 308–312.

وروى النعمان عن ماء السَّما
كيف يروي مالكٌ عن أنَسِ
فكساهُ الحسنُ ثوباً مُعْلَما
يزدهي فيه بأبهى مَلْبسِ

قفل

هذا النّوع من الشعر هو في الأساس تشكيلٌ إيقاعي حافلٌ بالتنوع والتطريب، تأثر هذا المنتج الأندلسي بالأغاني العامية والشعبية عند الأسبان في مادته الشعرية والتّعبيرية.

ـ المُزدوج: هو قصيدة مبنيّة على أساس «المُصرَّح» إذ يرتبط كل شطرين بقافية واحدة.

حسبُك ممّا تبتغيه القوتُ
ما أكثر القوتَ لمن يَموتُ
إذا كان لا يغنيك ما يكفيك
فكلُّ ما في الأرض لا يُغنيك
الفَقرُ فيما جاوز الكفافا
من اتقى الله رجا وخافا[1]

وقد عُرف هذا النمط من القصائد المنظومة على واحدةٍ من صيغ بحر الرّجز.

ومن أشهر من نظم هذا النُوع في القرن الثامن الميلادي بشار بن برد، ثمَّ أبو العتاهية.

يقول أبو ماضي على نمط «المزدوج».

تعالي إن ربَّ الحبِّ يدعونا إلى الغيابِ
لكي يمزجنا بالماءِ والخمره والكاسِ
ويغدو النّورُ جلبابُك في الغاب وجلبابي
فكم نصغي إلى الناسِ ونعصي خالق الناسِ[2].

المُشَطَّر: هو قصيدة تتألف من أمن أبيات ترتبط كلّ ثلاثة منها بقافية واحدة. وهي أحادية البيت، قد أكثر شعراء النّهضة منه، وهو بداية لقصيدة حديثة.

بردَ الغليلُ اليومَ وانطفأ الجوى
وسلا الفؤادُ فلا لقاءَ ولا نوى وتبدّدَ الشّملانِ أيَّ تبدُّدِ

- المُربّع: قصيدة تقوم على تشكيل رباعي.
- المخمّس: قصيدة تتألف من عدد من التشكيلات الخماسيّة.
- البَنْد: هو الأكثر قرباً من الشّعر الحر[3]، لأنه متعدد القوافي ووحيد الشطر، وعدم انتظام في طول الأبيات.

---

1 ـ من أرجوزة لأبي العتاهية، ديوانه، تحقيق شكري فيصل، دمشق، ص 466.

2 ـ جورج، صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية، دار العلم للملايين، بيروت، 1957، ط2، ص 267.

3 ـ نازك الملائكة، قضايا الشعر الحديث، دار الآداب، بيروت، ط2، ص 169.

- المُسمّط، القصيدة المقطعيّة الرومنطقيّة: هو عبارة عن اجتماع عدد من الصيغ السّابقة أو جمعها، داخل نظام محدّد. تميز بهذا النّوع شعراء المهجر.

هذا نموذج لنسيب عريضة[1]:

كفنوهُ وادفنوه واسكنوه

هوّة اللّحد العميقْ

واذهبوا لا تندبوهْ

فهو شعبٌ لا يفيقْ

هتكُ عرضِ

نهبُ أرضِ

شنقُ بعضِ

لم تحرك غضبهْ

فلماذا نذرف الدمع جُزافاً

ليس تحيا الحطبهْ.

هذه النماذج المقدّمة تشير إلى تطوّر مهم في الشكل الشعريّ، إلا أنّ هذا التطوّر كان تطوّرا "كميّا" على مستوى النّظم، استطاع الشعراء المجددون في العصر العباسي وشعراء الموشح، ثمَّ شعراء المهجر، أن يساهموا في تجديد النظام العروضي للنموذج الأصليّ للقصيدة العربيّة.

وما شكل ثورة نوعية في الشكل الشّعريّ العربي، هو ما حدث مع أمين الريحاني ومي زيادة و جبران خليل جبران، في ظاهرة الشعر المنثور أو النثر الشّعريّ[2].

## 3. الإيقاع في القصيدة الحديثة:

بدأت الثورة الإيقاعية الحديثة مع روادها في العراق مع نازك الملائكة، وبدر شاكر السيّاب، والبياتي، إلاّ أن التحوّل في الإيقاع بلغ أبعاده الواسعة على يد حركة «شعر».

تمثّل التجديد الشكليّ في القصيدة العربية الحديثة في هيئة القصيدة وبنيتها الخارجية.

استبدل الشعراء البيت التقليدي (المنقسم إلى صدر وعجز)، إلى نظام الشطر الواحد، وهذا يعبّر عن إرادة في الخروج على النظام الهندسي لهذه الزخرفة الشعريّة.

هذه قصيدة لنازك الملائكة المبكرة في هذا الشكل:

---

1 ـ نسيب عريضة، سلسلة المناهل، العدد 30، ص 11-10.

2 ـ أنيس المقدسي، الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، ت.1998، ص 286.

أين أمشي، مللتُ الدروبْ
وسئمتُ المروجْ
والعدوّ الخفيُّ اللّجوجْ
لم يزلْ يقتفي خطواتي، فأين الهروبْ؟
الممرات والطرق الذّاهباتْ
بالأغاني إلى كلّ أفقٍ غريبْ
ودروب الحياةْ[1].

يُطلق على هذا النّوع من النظم تسمية «البيت الحر»[2]، إذ لم يعد البيت في القصيدة يتقيّد بقاعدة هندسيّة إيقاعيّة محصورة، مع هذا البيت أخذ الشاعر كامل حريته في إطالته أو اختصاره، وفاق انفعالاته واهتماماته وحاجاته، كما يختار الشاعر القافية التي يرغب في أن يختم بها أبياتها.

نقوم بتقطيع بعض أبيات نازك لنرى التوزيع الجديد للتفعيلات :

1- / 0 / 0 // 0 / 0 //0 / 0// 0 0

فاعلن فاعلن فاعلانْ

2- ///0 /0//0 0

فعلن فاعلانْ

3- /0//0 /0/0 /0//0 0

فاعلن فعْلن فاعلان

4- /0//0 /0//0 ///0 /0//0 /0//0 0

فاعلن فاعلن فعلن فاعلن فاعلان

اعتمدت الشاعرة في النظم البحر المتدارك، الذي تشتمل صيغته على أربع تفاعيل من «فاعلن» في كلّ شطر. هذا يعني أن البيت الحر تفلّت من الهندسة الصارمة التي جاءت عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، إلى نظام كميّ جديد يتوافق بإيقاعه مع تموجات الشاعر النفسيّة والانفعالية والتّصوّرات والميول.

جمع السياب في قصيدة بين بحر كلاسيكيّ هو «البسيط»، وبين أبيات حرّة قائمة على أساس الإيقاع نفسه، إذ يبدأها بأبيات تقليديّة، يقول :

رسالةٌ منكِ كاد القلبُ يلثُمُها

//0//0 /0//0 /0/0//0 ///0

1 ـ نازك الملائكة، شظايا و رماد، د ار العودة، بيروت، 1997، ص 62.

2 ـ كمال خير بك، حركة الحداثة في الشّعر العربي المعاصر، دار نلسن، بيروت، ط2009، ص 272.

مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن

لـولا الضلوعُ التي تثنيه أنْيثبا

0/// 0//0/0/ 0//0/ 0//0/0/

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

يكمل:

جاءتْ رسالتُك الخضراء كالسّعفِ

بلَّ الحيا منه والأنامُ والمطرُ

ثمَّ ينثني بدر شاكر السيّاب فيقول:

جـاءتْ لمرتجفِ[1]

0/// 0// 0/0/

مستفعلن فعلن

تُشير البنية الإيقاعية لهذه الأبيات إلى أمكانية الدمج بين الهندسة الإيقاعية الكلاسيكيّة، والهندسة الإيقاعيّة الحداثيّة للبيت الحر.

ونُشير هنا إلى أن بدر قدّم قصيدة (جيكور أمّي) نموذجاً للتنوّع الإيقاعيّ، إذ وظّف فيها كل من (الخفيف / والرمل / الرجز).

يقول:

تلك أمِّي وإنْ أَجئْها كسيحا

0/0//0/ 0//0// 0/0//0/

فاعلاتن مفاعلن فاعلاتن (الخفيف).

ثمَّ ينتقل إلى:

تلك أطيارُ الغدِ الزّرقاءُ والغبراءُ يعبرون السطوحا

0/0//0/ 0/0//0/ 0/0//0/ 0/0//0/ 0/0//0/

(الرّمل).

ثمَّ يقول:

تمتدُّ بالجرّةِ لي يدانِ تنشران حول رأسي الأطيابا[2]

0/0/0/ 0//0// 0//0// 0//0// 0///0/ 0//0/0/

مستفعلن مفتعلن مفاعلن مفاعلن مفاعلن فعْلاتن

يمثّل هذا البناء الإيقاعي توغلاً بعيداً في إلحاق الناحية الموسيقيّة بالحالة الشّعوريّة أو

---

1 ـ بدر شاكر السيّاب، الديوان، دار العودة، بيروت، ط 1971، ص 708-707.

2 ـ بدر شاكر السيّاب، الجزء الأوّل، ص 657-656.

النفسيّة، أحسَّ شعراء الحداثة (قصيدة التّفعيلة) أن مشاعرهم ووجدانهم لا يمكن حصرها في البحور التقليدية. حطّم هؤلاء الشعراء البيت الشعري بوصفه وحدة موسيقيّة تفرض على النفس حركة تسير في تجاه محدّد غالباً ما يخالف حركة النفس والشعور [1].

تنوّع القافية في شعر التفعيلة :

ينوّع محمد علي شمس الدين قافيته في قصيدة «فتى الرّمان»[2]

قمْ تأملْ

كلُّ من مات على جلجلةِ الأوطان قامْ

لم تمت هذي العصافيرُ على التلّ

ولا مات الحمامْ

أنت أسلمت إلى التلِّ يديكْ

فانحنى. .. حتى دنا من مقلتيكْ

وهذا نموذج آخر من القافية عند يوسف الخال في قصيدة «البئر المهجورة»[3].

كان حياً

أمسِ شقَّ الفجرُ عينيهِ

مضى يحملُ قلباً ضاحكاً للنّورِ

للدفء مضى

يرفعُ زنداً

يضربُ الأرضَ

بكلتا قدميهِ

يصفعُ الرّيحَ على خديْهِ

يجري.

قيل نهرٌ دافقٌ قيلَ سكونْ

حُرَّتِ الرّؤيا به

أو قيلَ شيءٌ لا يكونْ

الكونُ لولاهُ

أيمضي؟

هكذا يمضي، ولا يمضي سواهُ.

---

1 ـ علي زيتون، الحداثة الشعرية، حركة الريف الثقافية، سلسلة الأدب الحديث(1)، ط الأولى 1996، ص 96-95.

2 ـ محمد علي شمس الدين، منازل النرد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 1999.

3 ـ يوسف الخال، البئر المهجورة، دار شعر، بيروت، 1958، ص 49.

إذا نظرنا إلى «عينيه، قدميهِ، سكون، يكون، لولاه، سواه»، نجد أن هذه المقاطع مرسلة إرسالاً، وكأنَّ القافية تذوب داخل النّص، وهذا عن موقف شاع عند بعض الشعراء المحدثين الذين يعدّون القافية تقف عائقاً أمام تحقيق القصيدة، ولا تختلف بشيء عن القيود والتقسيمات الوزنية.

يمكن أن نخلص بعد هذه النماذج العروضية الحداثيّة، إلى أنَّ القصيدة العربيّة شهدت تغييرات على مستوى النظم، إذ كان المعبر الأساسي لولوج عالم الحداثة والتّغيير في شكل القصيدة.

وإذا كان التجديد في النظام الهندسي (البناء الموسيقي) للقصيدة قد استجاب للتجربة الشّعريّة عند الشعراء، وأصبح تجلّياً من تجليات الحداثة، فإنه لا يعدّ وحده المعبر الأساسي إلى الحداثة.

فعملية الإبداع الشّعريّ تقوم على إبداع اللّغة مُطوّعةً بثقافة الشاعر التي تحدّد رؤيته لأشياء العالم. «فاللّغة حركة مستمرة لا تعرف الانقطاع وهي موازية لحركة الإنسان ونموه النفسي والأخلاقي والاجتماعي والمعرفي»[1].

## 4ـ دراسة المكوّن الإيقاعي في القصيدة العربيّة:

تتشكل القصيدة من مكوّنات عديدة تساهم في إنتاج شعريتها، والوصول إلى دلالاتها، وهذه المكونات هي: المكوّن الإيقاعيّ، والمكوّن المعجميّ، والمكوّن النحويّ، والمكوّن البلاغيّ.

وتتفرد كل قصيدة بإيقاعها الخاص، بالعودة إلى تلك المستويات، لأن القصيدة لن تكون تكرارا لغيرها في المستوى النحوي، والبلاغي، والمعجمي، وفي هذه العلاقات يكمن سرّ القصيدة.

هذه العلاقات الحميمة بين تلك العلاقات السالفة الذكر، هي "تجل لخصوصيات اللّغة، لأنه في مؤالفته بين عناصر متعددة مستمدة من حقول مختلفة، إنما يكشف عن أهم الخصائص لتلك العناصر، وعن إمكاناتها التعبيريّة التي لا يمكنها أن تنفذ"[2].

وإذا استحضرنا بعض الأبحاث المتّصلة بالإيقاع، من أمثال: كمال أبو ديب، وأحمد مختار عمر، وسيّد بحراوي، فإن ذلك قد أسس لدراسة إيقاعية النصّ الشعريّ، التي تقوم على ثلاثة مستويات: الإيقاعيّة المقطعيّة، والإيقاعيّة النبريّة، والإيقاعيّة التّنغيميّة.

يمكن أن نصل بوساطة المستويات الثلاثة (الإيقاع المقطقيّ، الإيقاع النبريّ، الإيقاع التّنغيميّ) إلى تحديد البعد الكمّي الزمنيّ للموسيقى العادية، كما تشير دراسة المستويات الثلاثة

1 ـ علي زيتون، الحداثة الشعرية، حركة الريف الثقافية، ط1، 1996، ص 116.

2 ـ جودت فخر الدين، الإيقاع والزّمن، دار الناهل، بيروت، ط1، 1995، ص 30.

إلى الوصول لمعرفة وظيفة الإيقاع الدلاليّة والفنيّة في النصّ الشعريّ.

## نموذج إجرائـيّ:

دراسة البنية الإيقاعية في قصيدة «نشيد الحرب» لسميح القاسم[1]:

1. تبّيضُ أجنحة الغرابْ

0 0//0 /// ،0//0/0/

مستفعلن متفاعلان

2. وتلفُّ أذناباً، من الخزي، الكلابْ

0 0//0/ 0/ 0// 0/0/ ،0//0///

متفاعلن مستفعلن مستفعلان

3. وتلوبُ في فزعٍ وفي خجلٍ، على أرض الرّماد المرّ

/0/0 / 0//0/0/ ،0// 0/// ،0// 0/// ،0//0///

متفاعلن متفاعلن متفاعلن مستفعلن مستفع

4. أسراب الذّبابْ

0//0/ 0/ ،0/

لن مستفعلانْ

تدوير

5 ـ وتجفُّ من رعبِ السؤّال/ تجفُّ حنجرةُ الجوابْ

0 0//0/// ،0/ /0/ //0/ / ،0//0/ 0/ 0/ ،0/ /0///

متفاعلن مستفعلن متفا علن متفعاعلانْ

6. من أيِّ أعماق البشر

0//0/0/ ،0//0/ 0/

مستفعلن مستفعلن

7. يتفجّر الموتُ الزّؤام على البشرِ

0//0// / ،0//0/0/ ،0//0///

متفاعلن مستفعلن متفاعلن

8 ـ وبأيِّ معراج يلوذُ الأنبياءُ الصّالحونَ

/ ،0//0/ 0/ ،0//0/0 / ،0// 0/0/ ،0/0///

متفاعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مُ

---

1 ـ سميح القاسم، الأعمال الشعريّة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص **.

9. غداةَ تربد الصّورْ

//0/ /0/، /0/0//0

تفاعلن مستفعلن

10. بالحظّ؟ بالمقسوم؟ بالمكتوب في لوح القدرْ

/0/0/ /0/، /0/0/ /0/، /0/0/0/ /0/، /0/0//0

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

11. طفلٌ بلا رجْلٍ، بلا عينٍ، ومخلوقٌ بلا وجهِ

/0/0//0، /0/0 //0، /0/0 //0، /0/0//0، /0/0

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستف

12. وأشباحٌ من الإنس المشوّه تستغيثْ

//0، /0/0//0، /0/ 0//0، ///0//0 0

علن مستفعلن مستفعلن متفاعلانْ

13. وتقهقه الأوباءُ، والقحطُ، الخبيثْ

///0// 0، //0/0//0، /0/ 0//0 0

متفاعلن مستفعلن مستفعلانْ

14. كلُّ الأناثِ هنا عواقر

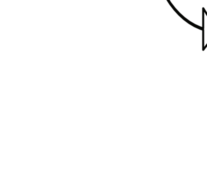
/0/0//0، / //0 //0/0

مستفعلن متفاعلانْ

15. كلُّ الرّجال هنا معقّمةُ. .. فالقوا العبء

/0/0//0، ///0//0، / //0/0//0، /0 0/ /0/

مستفعلن متفاعلن متفاعلن مستفع




16. عن أكتافِ محراث مسافرْ

/0، /0/0/ /0/، /0/0 //0/0

لن مستفعلن مستفعلان

17. هذا الرّمادُ المرُّ لم ينبتْ سوى الورود المحجّر

/0/0//0، / /0/0 /0/، /0/0//0، /0/0//0، //

مستفعلن مستفعلن ، مستفعلن مستفعلن مت

18. والدمُ المسوّدُ والرّيحُ المميتة والخناجرْ

/0// 0، //0/0، /0/0//0، // /0//0 0

فاعلن، مستفعلن مستفعلن متفاعلان

الإيقاعيّة:المقطعيّة.

| توزيع النبر على الأنساق | م. زائد الطول | م. قصير | م. طويل | الأشطر |
|---|---|---|---|---|
| 1 2 | 1 | 4 | 4 | 1 |
| 1 2 3 | 1 | 5 | 7 | 2 |
| 2 2 2 1 2 | – | 9 | 11 | 3 |
| 2 | 1 | 1 | 3 | 4 |
| 2 2 2 1 | 1 | 10 | 8 | 5 |
| 2 2 | – | 2 | 6 | 6 |
| 1 2 2 | – | 7 | 7 | 7 |
| 1 2 1 1 | – | 8 | 11 | 8 |
| 1 2 | – | 5 | 4 | 9 |
| 1 1 2 2 | – | 4 | 12 | 10 |
| الآحادي الثنائي الثلاثي<br>10 18 –<br>نسبة: 38% 62% | مجموع: 4 | مجموع:<br>56<br>نسبة:<br>42% | مجموع:<br>73<br>نسبة:<br>54% | الجزء 1 |

| توزيع النبر على الأنساق | م. زائد الطول | م. قصير | م. طويل | الأشطر |
|---|---|---|---|---|
| 2 2 3 | 1 | 6 | 8 | 12 |
| 1 1 2 | 1 | 5 | 7 | 13 |
| 1 | – | 4 | 6 | 14 |
| 2 2 | – | 8 | 89 | 15 |
| 2 2 1 2 | – | 2 | 8 | 16 |
| 1 2 | – | 2 | 13 | 17 |
| 2 2 2 2 | – | 6 | 11 | 18 |
| 1 1 2 1 | مجموع: 2 | مجموع:<br>39<br>نسبة:<br>33% | مجموع:<br>76<br>نسبة:<br>64% | الجزء 2 |
| الآحادي الثنائي الثلاثي<br>9 15 1<br>نسبة: 35% 65% | | | | |

1. الإيقاعيّة البنائيّة

أ. الإيقاع المقطعيّ:

شكّل النسق (متفاعلن ///ه//ه)، تفعيلة البحر الكامل خيار الشاعر لبناء إيقاعية نصّه. يبدأ هذا العمق الإيقاعي بمقطعين قصيرين، ثمَّ ينتقل إلى مقطع طويل فمقطع قصير فمقطع طويل. وإذا جاء المقطع القصير في تفعيلة (متفاعلن) ليمثل لدى الشاعر «الأسئلة المرعبة»، فإنَّ اعتماد الشاعر لنسق (مستفعلن /ه/ه//ه)، يحسم الصراع من الناحية الإيقاعيّة، وبما يمثله من الناحية المرجعيّة لصالح البطء.

وإذا قمنا بإحصاء تفعيلة الكامل الأساسيّة فهي تحضر خمس عشرة مرة (متفاعلن) وخمس مرات (متفعلانْ)، في حين تحضر تفعيلة (مستفعلن)، جواز الكامل، أربعاً وثلاثين مرة، وأربع مرات (مستفعلان).

ويعني هذا أن الإيقاع السّائد في النصّ قائم على النفس الطويل. وهذا يناسب موضوع النصّ «نشيد الحرب» فقد اختار سميح القاسم النسق الذي يتماشى مع البطء، لأنّه يمثل واقع الحرب وما تجلبه من مآسٍ، إذ تعلو فيه مناخات التعذيب والقهر والإحباط.

وتبدو الصور الإيقاعيّة أكثر وضوحاً عندما نلحظ عدديّة المقاطع الطويلة والقصيرة،إذ نجد في الجزء الأوّل من النصّ مساحة كبيرة للمقاطع الطويلة، إذ تشكّل حوالي ثلاثة وسبعين مقطعاً، في حين تشكل المقاطع القصيرة حوالي ستة وخمسين مقطعاً. وهذا يعني أن نسبة المقاطع الطويلة 54% ونسبة المقاطع القصيرة 42%. يتبيّن من هذه النّسب أنّها متوافقة مع محتوى الحركة الذي يتضمن التّساؤلات المخيفة التي أمسكت بالشاعر، وجعلته ساخطاً ومتألماً من الواقع المرّ الذي يكتوي بناره الفرد والجماعة.

ونرى في الجزء الثاني تصاعداً رقمياً للمقاطع الطويلة، التي بلغت ثلاثة وثلاثين مقطعاً. هذا الانفعال في الإيقاعيّة البطيئة تشير إلى تأجج انفعال الشاعر وسخطه على العقم المسيطر على العالم من حوله، محوّلاً إياها إلى «قحطٍ خبيث، وورد محجر، وخناجر».

هذا الإيقاع الحزين الساخط النّاقم على ما يشهد الشاعر من ممارسات الاحتلال بحقّ أبناء شعبه، يواكب الدلالة ويشحنها بألوان إيقاعية غاضبة، «كلُّ الإناث هنا عواقر، كلّ الرّجال هنا معقمة...».

نجح سميح قاسم في خلق بناء إيقاعيّ يتلاءم مع المضامين الفكريّة والنّفسية والثقافيّة التي تختزنها القصيدة.

ب ـ الإيقاع التنغيميّ:

يتبيّن من إحصاء الجمل الخبرية والجمل الإنشائيّة في الجزءين، من قصيدة «نشيد

الحرب»، أن وظيفة الجمل الخبرية، كانت تنهض في صياغة التجربة الوجدانية لدى الشاعر، وقد عبّرت الجملتان الاستفهاميتان «من أيِّ أعماق البشر؟ وبأيِّ معراج يلوذ الأنبياء؟» عن انفعاله وغضبه لما وصل إليه الواقع من عبثية.

أكسبت الجمل الخبرية النصّ الشعريّ تناسقاً في حركة بنائه. وذلك بلجوء الشاعر إلى «التوزيع والتقسيم على مستوى جسم القصيدة، بهدف دلالي محدّد، وفي التوقيع على حرس بعض الألفاظ والموازاة بين حروفها»[1].

ويؤدي التدوير في النصّ دوراً إيقاعياً مكتملاً، إذ يعدُّ هذا الأمر علامة من علامات الحداثة وصولاً إلى القصيرة (الرؤيا).

ويحقق التضمين إلى جانب التدوير شيئاً من النصّ المتماسك المتكامل، والتضمين في القصيدة الحداثية، حاجة مضمونية قوية التأثير، إذ يشكل تواصلا بين أجزاء القصيدة يؤدي إلى العلاقة العضوية بين الدلالة من جهة، والإيقاع من جهة ثانية.

ج ـ الإيقاعية النبرية ووظيفتها الدلالية:

يقوم النبر الأحادي عندما يقع على مقطع قصير من مقاطع النسق. وكذلك النبر الثنائي، الذي يقع على مقطع طويل، إذ يؤدي دوراً تبطيئياً تنقليّاً مضاعفاً.

وعندما نكشف عن النسب المتواترة في قصيدة سميح القاسم، من النبرين الأحادي والثنائي، نجد أن هذه النسب قد تشكل دلالة على الانسجام والتناغم الحاصل بين الإيقاعيّة المقطعيّة من جهة، وبين الإيقاعيّة النبريّة من جهة ثانية، وهذا بدوره يُشير إلى الهم الأساسي الذي يكشف عنه النصّ الشعريّ، المتمثل في مواجهة التحديات التي يقوم بها المحتل والصمود في مواجهتها.

تُشير نسب النبر الثنائي زائد الثلاثي في الجزءين (62%-65%) إلى البطء الإيقاعي، ما يتناغم مع المقاطع الطويلة في الجزء ذاته، وهذا يدل على شيء من التوازن بين هذه النسب وبين دلالة المضمون الذي يمسك به التساؤل المخيف ممّا يحصل على أيدي المحتل الصهيوني بحقِّ الشعب الفلسطيني.

وإذا نظرنا إلى نسب النبر الأحادي في الجزءين، نجد نسباً متقاربة (38%)، كذلك ترتفع نسبة البطيء انسجاماً مع العقم المروّع الذي يطغى على كلّ شيء في الأراضي المحتلة.

بناء على ما تقدّم، يمكن القول إن الإيقاعيّة النبريّة قد وظفت بنجاح في خدمة رؤية الشاعر واهتماماته وقناعاته، أدت دوراً بنائياً في إنتاج الدلالة الشعرية.

---

1 ـ يمنى العيد، في معرفة النص، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1983، ص 98.

## الخاتمة:

يمكن أن نقول في نهاية البحث إنَّ الإيقاع في أوزانه العروضية المتنوّعة هو تجل لخصوصيات اللّغة بمستوياتها النحويّة والبلاغية وما يختزنه الشاعر من موروث ثقافي يمكنه من تقديم لغته الشعريّة، وقراءة العالم من حوله.

قد استطاع بعض الشعراء في مراحل عديدة أن يخترقوا النماذج العروضية التقليدية نحو إيقاعات جديدة تتوافق مع اهتماماتهم وقضاياهم وروح عصرهم، ويأتي في مقدمة هؤلاء، (أبو تمام، أبو نوّاس، المتنبي وغيرهم).

وقد بلغ التجديد العروضي ذروته على أيدي شعراء كثر في طليعتهم: بدر شاكر السيّاب، نازكة الملائكة وجماعة مجلة «شعر» وغيرهم، إذ استطاع هؤلاء أن يحدثوا تعديلاً هندسيّاً على العروض الخليليّة، ما خلق نوعاً من الانسجام بين الشاعر والعالم من حوله.

حاول شعراء الحداثة تحطيم هذه الهندسة العروضية لم يحاولوا إنهاء الصّلة بين الشعر والموسيقى، بقدر ما كانوا يحاولون استثمار إيقاع الجملة وعلائق الأصوات والمعاني والصور، وطاقة الكلام الإيحائية والذيول التي تجرها الإيحاءات وراءها من الأصداء المتلونة والمتعددة[1].

هذا الإيقاع الجديد لا ينفي القديم أو يلغيه بشكل نهائي صارم[2]، إنما يجعل لكل قصيدة نظامها الإيقاعي، وبقدر ما تتقدّم عند الشاعر حساسيته اللغوية والتصورية، وما يتشكل عنده من صور ورموز، بقدر ما تتولّد عنده الإيقاعات التي تتواشج الدّلالات التي يرصدها، والرؤيا التي يتوق إلى توقيعها والكشف بوساطتها حركة للتاريخ ومسارات قوته وضعفه.

القصيدة تقوم بإيقاعاتها موزونة أوغير موزونة، فالإيقاع شأنه شأن الأساليب البلاغية الأخرى، التي تقدم النص الشعريّ، وتبرز رؤية الشاعر للعالم المرجعي، ومايحدثه من تبدلات في اثناء صياغة تجربته الفنيّة.

في خاتمة البحث نتوق إلى شعر طامح في ايقاعاته وأساليبه التعبيريّة، يستطيع الشّاعرمن خلالها ان يجيب عن الأسئلة الحرجة التي تواجهه.

1 ـ أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط1، 1971.

2 ـ محمد لطفي اليوسفي، في بنية الشعر العربي المعاصر، دار سراس للنشر، تونس، 1985، ص 142.

## المصادر والمراجع :

### المصادر:

1. أبو العتاهية، ديوانه، تحقيق شكري فيصل، دمشق.
2. الخال، يوسف، البئر المهجورة، دار شعر، بيروت، 1958.
3. السيّاب، بدر، الديوان، دار العودة، بيروت، ط 1971.
4. شمس الدين، محمد علي، منازل النرد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 1999.
5. القاسم، سميح، الأعمال الشعرية، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.

### المراجع :

1.أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط1، 1971.
2.بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت.
3.بجراوي، سيّد، في البحث عن لؤلؤة المستحيل، دار الفكر الجديد، بيروت، 1988.
4.خير بك، كمال، حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، دار نلسن، بيروت، ط 2009.
5.زيتون، علي، الحداثة الشعرية، حركة الريف الثقافية، سلسلة الأدب الحديث، ط 1، 1996.
6.صيدح، جورج، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية، دار العلم للملايين، بيروت، 1957.
7.العيد، يمنى، في معرفة النصّ، بيروت، دار الآفاق، ط1، 1983.
8.الملائكة، نازك، قضايا الشعر الحديث، دار الأداب، بيروت، ط2.
9.اليوسفي، محمد لطفي، في بنية الشعر العربي المعاصر، دار سراس للنشر، تونس، 1985، ص 192.



# التجديد حركة إبداعية قصيدة أدونيس "هذا هو اسمي" أنموذجاً

د. إكرام علي قاسم

أستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية في قسم اللغة العربية

Kassem.ikram@yahoo.com

911140/08 – 710253/70

## ملخص:

يدور محور البحث على حركة التجديد في الشعر العربي، أي بانتقال القارئ إلى عوالم جديدة، يزرع في أحداقه واقعاً يختبئ وراء الواقع بخرق العادة، وتجاوز دائرة المعقول.

هذا ما أضأنا عليه من خلال دراستنا لقصيدة الشاعر الثائر على التقليد أدونيس الموسومة بـ«هذا هو اسمي» معلناً ثورته وتحديه في هدم مبدأ الاستقرار الشعري والاتباعية، ففجّر آفاق اللغة الشعرية بفتح دروب وآفاق تجريبية في فضاء الممارسة الإبداعية المرفقة بمناخ النور والجنون والغضب المشع في مناخ سديمي هذيانه ذاتي. كما تعمل السيمائية دوراً مهمًّا في بناء القصيدة، ومن ثمّ يتبلور الخلق والإبداع في «أغاني مهيار الدمشقي»؛ هذه الشخصية الأُسطورية المزينة بالرموز والدلالات، فهوية مهيار متحركة، مسافرة، وباحثة عن الحقيقة في سفر أبدي لا رجوع فيه، عبر قوله «الريح لا ترجع القهقرى، والماء لا يعود إلى منبعه».

لذا، التجديد عند أدونيس يتحدد باللغة فيقول: «اللغة هي الطقس الذي يستحضر بين الكلمة– الكشف وبين نغمة الحلم. إنها لغة هيلولية ناتجة عن بنية الرمز المستعدة لتأدية دورها العملي اليومي لملاقاة إشراقات فكرية مبدعة مستشرفة للزمن الآتي».

The focus of the research is on the movement of renovation in Arabic poetry, which means the reader moves to new worlds, it plants in its stares a reality hiding behind the reality by breaking the habit, and overtaken the circle of logic. That›s what we focused on through our study to the poetry of the rebellious poet on the tradition «Adonis» named «This is my name» announcing his revolution and confrontation to destroy the principle of poetic stability and continuity. So he blew up the poetic language›s prospects by opening new experimental paths and prospects in the creative practice space that is accompanied by a climate of glow, madness and rage glowing in a self-delusional climate. As the semiotics plays an important role in the poetic›s development and then the creation and innovation appear in «Songs of Mehyar Al Demashqi», this legendary character decorated by symbols and semantics; the identity of «Mehyar» is moving, traveling and searching for the truth in an eternal trip, no way back. In his saying «the wind doesn›t retreat, and the water doesn›t go back to its source». That›s why, «Adonis» determines the renovation in the language and he says: «The language is the weather that evokes between the appearing word and between the dream tone. It›s the symbolic language resulting from the symbol structure ready to perform its daily working role to meet the creative intellectual brightness predicting the future».

**مقدمة**

بدأت تباشير الحداثة العربية في الأدب مع التطلعات الأولى لانتزاع التعبير من أسر المطلق والنظر إليه كفاعلية تاريخية. فالنظر التقليدي إلى التعبير الشعري، يجعله لا زمانياً ولا تاريخياً. من هنا الإلحاح على إنقاذ ما يشكل القيم الأساسية من براثن الزمن. هكذا فإن ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم أوجب تجريدها وإدخالها في مستوى الدهر والأبدي وإنقاذها من الزمن التاريخي.

والتاريخ إنساني، أما الدّهر فلا دور للإنسان في تكييفه؛ دور الإنسان محصور في الزمن التاريخي[1].

لذا إن هذه العربية بنيت على أصل سحري يجعل شبابها خالداً عليها فلا تهرم ولا تموت، لأنها

1 ـ الرامغي، مصطفى، تحت راية القرآن، القاهرة، طبعة 1963، ص 29.

أعدت من الأزل فلكاً دائراً للنيرين الأرضيين: كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ومن ثم كانت فيها قوة عجيبة من الاستهواء كأنها أخذة السحر، لا يملك معها البليغ أن يأخذ ويدع[1]، فأصبح العربي يسكن لغته، وإنها في لاوعيه، الجسد الوالدي، لا الأرض كما كانت الحال لدى شعوب ما بين النهرين القدماء، ولدى بعض الشعراء المعاصرين. لذلك فإن كل تطور يمس بما ارتبط بها من أشكال، يشكل صدمة ويثير ردود فعل عنيفة[2].

لأن الإبداع هو رفض للتقليد، وهذا الرفض يعني إعادة الاعتبار للإبداعية الإنسانية والنظر إلى الإبداع على أنه فاعلية أساسية، فإن كل عمل إبداعي بالمعنى العميق والحديث هو محاولة بداية، لأن اللغة العربية تؤكد على الترادف بين البدء والإبداع؛ فلو أخذنا مادة بدع من معجم «مقاييس اللغة» لأحمد بن فارس بن زكريا لوجدنا: «الباء والدال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وضعه لا عن مثال، والآخر الانقطاع والكلال. فالأول قولهم أبدعت الشيء قولاً أو فعلاً، إذا ابتدأته لا عن سابق مثال»[3].

والإبداع انطلاقاً هو نتيجة تعارض وانقطاع بين الواقع القائم وطموح الذات (الفردية والجماعية) إلى واقع غير محقق. لذلك، فإن كل تعبير فني هو حركة توتر بين راهن ومحتمل، بين قديم وجديد. لكن، ما دام العمل الفني حصيلة التفاعل بين المشروع الأساسي للقول (أي طموح المبدع إلى التموضع في شكل تعبيري قابل للاتصال مع بقائه بدءاً)[4].

ما معنى التجديد وما حدوده؟ وهل خرق العادة هو جنون كما يبدو للقدامى أم حركة إبداع؟ بدأ التجديد، في المرحلة الحديثة، منذ وقف الشاعر في عصر النهضة ليضع حداً للانحراف الذي انجرف فيه الشعر العربي قروناً طويلة، وأعني المدح وما يتفرع منه، كي يوسع أبعاد العقل بما فيه أشواق نائمة، ويثير التصور البشري باستدراجه إلى عوالم جديدة وغريبة، أو يزرع في أحداقه واقعاً يختبئ وراء الواقع، فليس للتجديد حد يقف عنده. هذا يبيح للشاعر أن ينسف المنطق الأرسطي، أي أن ينقض البدهيات العقلية: وينقض أسس الكلام والجمال، فيتحرك في مسار الجنون. ولا أقول يدرك الجنون، لأن ما نراه اليوم تفوقاً كان سيبدو للقدامى جنوناً. بهذا المعنى يصير الجنون السبق ونقضَ المصطلحات و"خرق العادة" وتجاوز دائرة المعقول.

أ- لنكشف الستار ونعلن شرعة التغيير بإثارة دعوة إلى المغامرة والإبداع للتغيير مع رائد التجديد أدونيس في قصيدته: "هذا هو اسمي".

ففي هذه القصيدة يستمر أدونيس في تجاوز نفسه، فيثبت في موقف الشعر ويظل منسجماً

---

1 ـ سعيد، خالدة، حركية الإبداع، دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العودة-بيروت، ص 10-9.

2 ـ سعيد، خالدة، حركية الإبداع، مرجع نفسه، ص 11.

3 ـ سعيد، خالدة، حركية الإبداع، مرجع نفسه، ص 13.

4 ـ سعيد، خالدة، حركية الإبداع، مرجع نفسه، ص 99-91.

في ثوريته ومواقفه الجذورية الناقدة نفسها؛ فهذه القصيدة هدم لمبدأ الاستقرار الشعري، ولمبدأ الأسلوبية ولكل اتباعيّة. هي إعلان شرعة التغيّر: ينبغي أن تتجاوز كل قصيدة ما سبق من منجزات الشعر وما حققه الشاعر نفسه، بحيث تكون كل قصيدة أرضاً جديدة تضاف إلى العالم المعروف. لذا لا استراحة ولا توقف ولا صيغة نهائية، بل الابتكار المتواصل المتجدد والمغامرة الدائمة والانطلاق الدائم بدءاً من البراءة. وكل قولبة وتقنين وموقف جاهز أو معاد يناقض احترام الطاقة الإبداعية في الشاعر والقارئ على السواء، ويُسهم في تحجير الحياة[1].

فالإبداعية تكمن في القصيدة الخالقة أرض بكر، يلتقي عليها الشاعر والقارئ، فالقصيدة إثارة دعوة إلى المغامرة والإبداع، والقارئ جزء لا ينفصل عنها، إنها تفاعل مُعلّق، طموحها أن تحيا بالقارئ. بمثل هذا تنادي جماعة Tel Quel التي تقول إن الكاتب واضع نص (Script) وكل قارئ يخلق هذا النص من جديد، أي يملؤه بأبعاده وشخصه. وهذه القصيدة إعلانُ ثورة وتحدٍّ. هي ثورة على كل سكون وتقليد، إنها تحدٍّ للقارئ المثقف. هي بهذا المعنى قصيدة عدائية ضارية لأنها تلغي الحِكَم القديمة: حِكَم الصبر والتروّي والتحمل والانتظار والمسالمة. عدائية لأنها تهاجم القارئ في عقر طمأنينته وكسله.

فيبدو الفارق بين القارئ المبدع الذي يواكب الشاعر الرائد، والقارئ الكسول الذي ينتظر من الشاعر أن يطربه عن طريق إعادة تنظيم المألوف من الأقوال والأفكار، كالفارق بين شخص يرافق كولومبوس المجنون في مغامرته، وشخص يواكب سائحاً اميركياً يلتقط الصور التي طالما سمع عنها وسبقه غيره إلى تصويرها، فالسلطان الوحيد هو لقوى الحياة الشعر المتقدمة الباحثة المتسائلة الفاعلة المغيّرة.

ب ـ الإبداع المتكامل في قصيدة «هذا هو اسمي» شكلاً ومضموناً.

القصيدة لقاء في مناخ النور والجنون. وفي هذا إلحاح على مبدأ الإبداع المتكامل، أي إبداع الشكل والمضمون. وهذا يفترض توحد الشكل بالمضمون توحداً تاماً أو ما يسمى الكتابة الشعرية، ولا تجيء الرؤى أو الأفكار مجرّدة ثم تنزل في قالب مهيأ مسبقاً وفقاً للنظرة القديمة التي كانت ترى الشكل كسوة المعنى، لأنه لا وجود للشكل المسبق، فطبيعي بعد ذلك أن نجد قصيدة "هذا هو اسمي" تعيش في مناخ الجنون أو النار. هذه القصيدة تمحو الحكمة وتبشّر بالجنون، بالسؤال، بالمواقف العفوية، بالمواقف المبتكرة، بالمواقف المتجاوزة المتخطية الناقضة، الرافضة حدود العقل، وحدود الصبر والقناعة والترويّ، وحدود القيم والنظم وحدود المرئي والمعروف، وحدود اللغة والفن وحدود التراث والحب، وحدود الإيمان والدين. تبشر بالجنون الذي أدين به الحلاّج، والذي أدين به غاليليو وليوناردو دافنتشي ونيتشه وبليك وميشو،

1 ـ سعيد، خالدة، حركية الإبداع، مرجع نفسه، ص 100، 107-106.

الجنون الذي عقله الحلم–العقل–الشوق، الجنون الذي هو إعادة سلطان[1] طبقات الوعي جميعاً ونقض للقوالب العقلية، الذي شُرْعَتُه الهدم–الحلم–الشوق–الموت–التحول–المتاه–الخرق–الابتكار. الجنون الذي هو نظافة الذاكرة من القوالب ونظافة الأعماق.

تبدو لي كلمة هيدغر «القصيدة لقاء» مناسبة جداً لتعريف هذه القصيدة. وهذه القصيدة لقاء في مناخ النور والجنون، في لحظة متحركة هي الحاضر، في محرق هو أعماق الشاعر. في هذا المحرق يتلاقى الذاتي بالموضوعي والكوني، والآني بالمطلق. تتقاطع شخصيات متعددة عبر شخصية الشاعر، وتخترق صوته أصوات كثيرة. تبين ذلك متى عرفنا هوية المتكلم في القصيدة.

نقرأ في المقطع الأول: «... ماحياً كلّ حكمة/ هذه ناري/ لم تبق آيةٌ/ دمي الآية....»

من هذا الذي يجيء ماحياً كل حكمة ودمُه الآية، الذي دخل إلى حوض المرأة–الأرض؟ أهو أدونيس شخصياً؟ أهو الشاعر أدونيس؟ أهو الثائر العربي أي «الفدائي» أم هو الثائر إطلاقاً، الإنسان العربي ثائراً شاعراً في غضبه وتطلعاته وأشواقه؟ الصوت الذي ينقل هذا إلينا هو صوت أدونيس، والقرائن الظاهرة تكشف مباشرة عن شخص الثائر الفدائي الذي أعلن «ناره» في الثورة الفلسطينية وجعل دمه «آية» الحضور و»آية» الحب والحركة في اتجاه الأرض، ومن ثمّ آية توحّد الحب والموت والولادة في فعل واحد تسميّه لغة الصحافة «الفداء».

القصيدة تنتشل هذا الفعل وفاعله من إطار الموقّت والحادثة لتعطيه أبعاده المتعددة، فيصير تجربة شخصية وموقفاً إنسانياً تاريخياً هو الثورة على الظلم والذلّ والتاريخ الذي أتاح هذا الذل، ويصير إلى ذلك، فعلاً كونياً يرسم دورة الحب–الموت–الولادة. ويجيء الثائر–الشاعر على المستويات الثلاثة «ماحياً كل حكمة» بادئاً من المنطلق الأول، عائداً إلى حوض المرأة–الأم–الأرض في فعل يغسل كل ماضٍ، يستحضر «الطوفان». يصرخ: «قادرٌ أن أغيرّ: نعمُ الحضارة، هذا هو اسمي»[2].

ت– الحالة النارية أو السميائية في القصيدة.

لذا فقصيدة «هذا هو اسمي» مدخل إلى عالم أدونيس الجوّاني. وإذ نلج هذا العالم نجد الموضوعيّ وقد اخترق أعماق الشاعر وقبع هناك لكن في حالة نارية أو سيميائية. ففي هذه القصيدة–الاستدراج، القصيدة–المفتاح الغامض الذي ينزل نبا الأدراج في أحشاء أدونيس لنجد «مدينة تحت أحزانه»، مدينه فيما وراء زبد الانفعالات وبراقع الزخرفة. نجد الهموم الحقيقية التي تتأكلّه والرؤى التي تسكن أعماقه[3]. كما يمكن النظر إليها كمجموعة من التفجرات تحدث في المدن السفلى القابعة تحت الأحزان، تحت الجلد... هذا التفجر ليس من نوع التداعي المعروف بل يرجع إلى طبيعة نظام العلاقات الداخلية (correspondances) في لغة

1 ـ سعيد، خالدة، حركية الإبداع، مرجع نفسه، ص 128–110.

2 ـ حجم مقاييس اللغة، الجزء الأول، مادة «بدع»، ص 209.

3 ـ «هذا هو اسمي»، «مواقف» العدد الرابع، ١٩٧٠، ص 2.

أدونيس الشعرية. فتنطلق التأثيرات مثلاً في كلمة "قتلوه"، ومنها سأبكي لأمة وُلدت خرساء..."، فكأنما يستحضر الشاعر صورة جارحة لها طاقة التحريض والتفكيك. "ماذا؟ نفوهُ أو قتلوه؟" من هذا المنفي أو القتيل؟ الصديق الثائر؟ الشاعر الثائر في "أمةٍ ولدت خرساء"؟ يوضح هوية هذا المنفي ما سيجيء من قوله" لمَ البكاء على طفلٍ على شاعرٍ". هو الثائر إذاً، لأن الطفولة تمثل الجدّة ونظافة الأعماق. بفعل هذا المحرّض تشتعل المدينة السفلى، تتطايرُ صور الجمود والاستسلام والسيوف التي تطيح بالرؤوس المفكرة المتسائلة الرافضة: "وضع السيّدُ الخليفة قانوناً من الماء شعبهُ المرقُ الطيّنُ سيوفٌ مصهورة"، هكذا يسقط التمويه وتعرى الحقائق "وضع السيّد تاجاً مرصّعاً بعيون الناس". هذا يستنهض التساؤلات الهذيانية المجدِّفة "هل هذه المدينةُ آيٌ؟ هل ثياب النساء..." وإذ يخترق ببصره مضيقَ الزمن الذي يجتازه شعبه ويرى إلى ضياعه وعبثية تحركه يصرخ بلوعة: "من شعبي نهرٌ بلا مصبٍّ؟". بدءاً من هذه الصرخة يبدأ التفجر الهذياني الأكبر في القصيدة: "أغني لغة النّصل أصرخُ انثقبَ الدّهرُ وطاحت جدرانه. بين أحشائي تقيأت، لم يعد لي تاريخٌ ولا حاضر. أنا الأرقُ الشمسيُّ والفوهةُ الخطيئة والفعلُ...". يتخلل هذه الصيحة المزلزلة الجنونية التي تتقيأُ الحاضر الفاجعَ والماضي الميت أصوات ملتاعة تجيء كالأصداء فيما وراء هذه الصيحة: "أنا الغصن لاجئاً" وهذه تحرّك العبارة التالية: "أصْغِ: هل تسمعُ هذا النّواحَ في كبدِ العالم؟"

ث- الغضب في مناخ سديمي هذياني، ذاتي.

وإذ يبلغ هذا الغضب الذروة يرتمي في حضن المرأة-الأرض، ينزرع في أحشاء الأرض-المرأة في مناخ سديميّ هذياني، ذاتي-كوني. فيه يتجاوز الشاعر اللغة بمعنى مَوضعة النار الداخلية أي نقلها إلى الحيز الخارجي المفصح. أما الإيقاع لغة معبرة وهو لا يقتصر على الصوت، إنه النظام الذي يتوالى أو يتناوب بموجبه مؤثر ما (صوتي أو شكلي)، أو جوٌّ ما (حسي، فكري، سحري، روحي)، وهو كذلك صيغة للعلاقات (التناغم، التعارض، التوازي، التداخل) فهو إذاً نظام أمواج صوتية ومعنوية وشكلية، ذلك أن للصورة إيقاعها كما سنرى عند دراسة بعض صور القصيدة عند أدونيس في قصيدته:

«... وصوتي

هذيان المُغير

يكسر عكّاز الأغاني

ويقلع الأبجدية»

هنا أدونيس يأخذ التفعيلة ويتخلى عن البحر كلياً. يأخذ تفعيلات من بحور متعدّدة وينظمها تنظيماً جديداً مطابقاً للإيقاع المعنوي في القصيدة.

ففي القصيدة تتوالى المقاطع الهذيانية والغنائية، أو أمواج التوتر فأمواج الانبساط. ويحدث

الانتقال بين هذا وذاك بحركة التفافية حلزونية متغوّرة، هابطة في غور الهذيان، أو التفافية إشراقية صاعدة نحو المقطع الغنائي.

وفي قوله «مساء الخير يا وردة الرّماد» أكتفي بالإشارة إلى تناقض الوردة والرماد تناقضات عديدة. الوردة تعبير الغصن عن الفرح والحياة أي الفعل الحي الحاضر، والرماد ذكرى النار التي كانت، جثة نار كانت. في العلاقة بين هذين الحدين تصبح الوردة عزاء الرماد، حنين الرماد، والرماد مستقبل الوردة، رعب الوردة، موت الوردة. هذه العلاقة تغري الخيال بالحركة الدائمة بين الوضعين، فهو ما يزال يبني الاحتمال ويهدم ليبنيه ويهدمه. مثلُ ذلك الصورتان «أري ورقاً قيل استراحت فيه الحضارات / هل تعرف ناراً تبكي؟» يقوم الصراع الداخلي بين حدّي القطب الأول نفسه، بين «حضارات» و»استراحت» لأن الحضارة حركة وقابلية شعب ما على الحركة. هذه الحركة التي متى استراحت ماتت فوق ذلك كل حركة تشتهي الراحة، كل راحة تتضمن حركة سابقة. التناقض الثاني يقوم بين النار والورق الذي استراحت فيه الحضارات. وعلاقة الشوق هنا واضحة ما دامت النار التي تبكي شهوة غائبة حاضرة، جعلها السؤال تراوح بين الحضور والغياب، مطيتها شوق آخر هو شوق الشاعر نفسه.

هذا الشوق، أو النزوع إلى التأليف، والعناق بين الحدود المتقابلة المتناقضة عنصر بارز من عناصر اللهجة الأدونيسية، أو الإيقاع الأدونيسي، فسيمضي الشاعر في اكتشاف عالم الجنون، كل عوالم الجنون، عوالم التغيّر والوحدة، عوالم الانشطار، قبل أن تلوح نافذة الخلاص عبر جدار الصمت.

ج- خلق شخصية أسطورية ونقلها إلى المسرح الكوني.

يبتكر أدونيس في «أغاني مهيار الدمشقي» شخصية أسطورية خاصة به، وكان فيما سبق من آثاره الشعرية، يلجأ إلى صيغ أسطورية معروفة ينتزعها من حركيتها التاريخية، ويعيد إحياءها بالرموز، والدلالات المعاصرة رابطاً بذلك بين المعضلات الإنسانية الأزلية ومواجهات الإنسان المعاصر.

أما شخصية «مهيار» فهي أسطورة تنطلق بدءاً من أزمة الشاعر كفرد يعيش في القرن العشرين ويعاني على مستوى ثان تجربة التحول والتحرك التي يعيشها العربي، كما يعاني، على مستوى ثالث، أزمة الإنسان إذ يواجه المعضلات الكونية كالموت والحياة والحب.

هكذا ينقل أدونيس التجربة الشخصية والقومية الى المسرح الكوني، وإذ تتلاقى هذه المستويات المتعددة لأزمة الإنسان عبر شخصية «مهيار» التي تتخذ أبعاد الأسطورة، فإنها تغني بأصداء الأساطير القديمة محركة بذلك تاريخ القلق البشري، هكذا يدخل سيزيف، وفينيق، ونوح، وأدونيس، واسكار، والخضر، وبشار، والحلّاج في نسيج شخصية مهيار.

لكن كيف ذلك، وبشار نقيض الحلّاج، وايكار غير نوح؟ هل يعني ذلك أن مهيار بلا هوية أم أنه كائن متناقض؟ لكن ألا تمثل مواقف هذه الأساطير، أو هذه الشخوص التي دخلت

حيّز الدلالات الأسطورية وجوهاً وأوضاعاً متعددة للإنسان الواحد المتحرك الباحث الواقف أمام الأسرار؟ هنا يكمن سر هوية مهيار. فمهيار ذو هوية متحركة مسافرة، خصيصة لأنها البحث الدائم، لأنها هوية تتكامل، تصير. وهنا تكمن خصائص الحداثة في شعر أدونيس، إذ إنّ كل ولادة تجدد، وكل تجدد نقض، وكل بحث عن الحقيقة رفض للقبول بالحقائق في وضعها الراهن.

وهذا السفر الأبدي بين الشكل والسديم، هذا الرصد للتكون، رفض للعالم في أشكاله وصيغه وقيمه الراهنة الثابتة. فالرفض أو «الهدم» كما يقول هيدغر «هو لحظة بناء جديد La destruction est un moment de toute nouvelle foundation"، أو كما يقول "بول ريكير» Paul Ricoeur «إن مسألة المعرفة لا تطرح إلا في ما وراء الهدم وهذا أيضاً ما يدل عليه الفكر والعقل والإيمان". منذ أغاني مهيار الدمشقي بدأت كلمة الرفض سيرورتها في الشعر العربي المعاصر وفي النقد المعاصر. والرفض هو النسغ الذي ينتظم القصائد جميعها، ويتجلى بصورة خاصة في "إرم ذات العماد" وفي التاريخ، هذا الاله النيتشوي الذي يعريه في "المراثي" في الهالات حين يجعله "يغتسل في عينيه". وهو في رفضه هذا يتجاوز الحدود المرسومة، يتخطى شرعة المنطق، يؤلف بين التناقضات ويرفض التقسيم القديم للعالم. موقف الرفض هذا موقف مأساوي، لأن الشاعر يقف في مضيق بين ما يرفض وما ينتظر، بين ماض وآت، ومن هنا كان الإحساس بالنفي والغربة. فمهيار مغترب أبداً عما كان ليبني ما يكون. يقول في أحد المزامير: "أنا الصباح الآتي والخريطة التي ترسم نفسها"، ويقول في مزمور آخر راسماً شخصية مهيار: "إنه الريح لا ترجع القهقرى والماء لا يعود إلى منبعه. نخلق نوعه بدءاً من نفسه – لا أسلاف له وفي خطواته جذوره". والحنين في "أغاني مهيار الدمشقي" ليس رجوعاً إلى ماض تاريخي، إنه الحنين إلى زمن غائب، وشهوة للقبض على حقيقة فاتنة معذبة أبدية الحركة والتحول، لتجسيدها في لحظة تجلّ أو في لحظة إبداع، في لحظة معاينة للمطلق. هذه اللحظة هي تلاقي الإنسان وذاته الغائبة او "بلاده الثانية" وهي لذلك لحظة الشعر.

كم قلت في بلادي الثانية

وامتلأت كفّاك بالدموع

وامتلأت عيناك

بالبرق في تخومها الآتية.

الجو الذي يولد الحنين والسفر الدائم في أثر الحقيقة، والرصد الدائم للتفتحات والولادة هو جو الدهشة. والدهشة سداة كل خلق فني. فالاندهاش هو حالة الحركة والتصدع، حالة الهزة والمفاجأة وفقدان التوازن واستجماع التماسك في آن، لحظة الجرح، لحظة

اللقاء الأول والانصعاق بالجديد الغريب ولوعة الإحساس بهشاشة الغرابة وآنيتها.
ح- اللغة وقضية العلاقة بين الكلمة-الكشف وبين نعمة الحلم.
اللغة هي الطقس الذي يستحضر الشاعر عبره هذه المعاينة. اللغة هنا تطرح قضية العلاقة بين الكلمة- الكشف وبين نعمة الحلم. فهي هنا مظل وإيحاء، إنها لغة هيولية لغة نهائية. هذه الخاصة الهيولية ناتجة عن بنية الرمز عند أدونيس. ذلك أن ساحة الإيحاء في الرمز قد اتسعت إلى حد استيعاب الدلالات المتقابلة أو المتناقضة، وهذا ما يمنح اللغة القدرة على اللحاق بتموجات الحلم.
آخذ كمثال رمزاً مفرداً من أبسط رموز أدونيس في «أغاني مهيار الدمشقي» هو رمز الجرح، لهذا الرمز حد ظاهر هو معناالكلمة القاموسي وكل ما يتفرع عنه من دلالات بيولوجية جزئية وكلية، وأعني بالكلية اعتبار الجرح مشروع موت، ودليل حياة في آن. ولنسم دلالات الحد الظاهر (أ، أَ، أً... الخ) لكن إذا أمكن حصر دلالات الحد الظاهر، فإن مثل ذلك غير ممكن بالنسبة إلى الحد الباطن، الذي هو جانب الإبداع في الرمز. الحد الباطن موطن الوعد في الرمز، وكلما كان هذا الحد غنياً بالوعود كلما ازدادت دينامية الرمز، وقدرته على مخاطبة الأجيال المختلفة. من وعود الحد الباطن في رمز الجرح مثلاً، دلالة الدهشة والانفراج عن الخفي في لحظة التزعزع (ولنسم ذلك ب، بَ... الخ). والجرح حنين الضفة الى الضفة، وهو الانفصال والتقارب والتنافر ورفض الاستمرار (وليكن ج، جَ، جً... الخ) والجرح ندامة لا تشفى ونافذة على أعماق مغلقة ومطل على الانعتاق (أو د، دَ، دً... الخ) وكل دلالة من دلالات هذا الرمز متأثرة بغيرها وفاعلة فيه حتى ينتج من هذا التفاعل ما ذكرته من غنى ساحة الدلالات.
والواقع أن غنى ساحة الدلالات هذه هو ما ينقذ رموز أدونيس التاريخية من كثافتها المادية، ذلك أن اشعاعية الحد الباطن، وديناميته ترفعانه من التاريخية إلى الكونية أو تحيلانه شيئاً آخر. أليس الفن تحويل المادة الأولى (الخام) إلى شيء غيرها؟ أليس حركة هذه المادة التاريخية أو الأرضية في اتجاه المعقول واللامحسوس وفي النتيجة صراع المادة الأولى والمثال؟ إن الشاعر، حيث ينتزع الكلمة من دورها العملي اليومي ليجعلها ملتقى لإشراقات فكره، يكون قد أقام فيها صراعاً بين مادتها الأولية وطبيعتها الغنية. وهذا التحول وهذا الصراع هما ما نعنيه بعبارة «لغة الشاعر الخاصة». هذه اللغة هي طقس الشاعر الخاص، مغامرته الخاصة في البحث عن الحقيقة. لذلك تكون لها خصوصية الحلم والتجربة، ومن هنا كان سقوط كل نتاج يحمل لغة شاعر آخر. فالحقيقة الشعرية هي في النهاية حقيقة داخلية وإن كانت تمتلك خاصة البث، والاستقبال وتطمح إلى أن تكون حقيقة موضوعية.
هكذا فالرمز عند أدونيس حضور يستجلي غياباً، إنه استدعاء لحضور غائب بإشارة رهن

الغياب. لعبة الحضور والغياب هذه ميزة «اللغات البعيدة» لغات المستبطنين الذين يرصدون مراوحين بين الحلم والواقع، مسقطين الحلم الحميم على الزمن الآتي.

## الخاتمة:

صفوة القول أن هذه الدراسة كشفت عن معنى التجديد الذي لا حدود زمانية ولا مكانية تقيضه بل ينطلق إلى عالم اللامحدود للمشاركة في الغضب الثائر على التقليد، وإعلان ثورة تحدٍ لقوى الحياة–الشعر المتقدمة الباحثة المتسائلة الفاعلة المغيرة.

لذا فالإبداع هو الصوت الجسور الذي يتطلع إلى تجاوز ما هو قائم بلغة الاستشرافية البعيدة عن التموضع المحدود، للتوغل في فضاء التجديد المتّسم بالخلق والإبداع للكشف عن ينابيع لغوية عذراء تتجاوز دائرة المعقول وهذا ما لمسناه في قصيدة «هذا هو اسمي» لرائد التجديد الشاعر أدونيس.

## المصادر والمراجع


1 . الرامغي، مصطفى، تحت راية القرآن، القاهرة، طبعة 1963.

2. سعيد، خالدة، حركية الإبداع، دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العودة–بيروت.

3 . حجم مقاييس اللغة، الجزء الأول.

"هذا هو اسمي"، "موافق" العدد الرابع، 1970

# قصة تأسيس اليوم العالمي للشعر:



(محمود درويش – عز الدين المناصرة – فدوى طوقان )

## باريس (خاص)

انعقد في باريس، ومدن فرنسية أخرى (بوردو – غرونوبل – مارسيليا)، مهرجان (ربيع الثقافة الفلسطينية) لمدة أسبوعين (في مايو 1997)، بمشاركة ثلاثة شعراء فلسطينيين عالميين، هم: (محمود درويش – عز الدين المناصرة – فدوى طوقان)، وهم على التوالي ينتمون للمدن الفلسطينية التالية (عكا – الخليل – نابلس). كما شارك في هذا المهرجان الهام، عدد من القصاصين والروائيين من مدن فلسطينية أخرى، أبرزهم: (سحر خليفة – أنطون شمَّاس – زكي العيلة – غريب عسقلاني – ليانة بدر – رياض بيدس)، والمؤرخ الفلسطيني (الياس صنبر). وقد وصفت جريدة القدس العربي (2/3/2014)، المهرجان بأنه يشكّل (نقلة نوعية، وغير مسبوقة على الصعيد الأوروبي). وقد حضرت حشود عربية وفرنسية، فعاليات وأمسيات المهرجان، يتقدمهم مثقفون ومفكرون ونقاد فرنسيون منهم: (جاك دريدا – مكسيم رودونسون – تسفتيان تودوروف).

كانت أبرز فعاليات المهرجان (ندوة الأدب والمنفى)، كذلك أقيمت أضخم ندوتين شعريتين: إحداهما صباحية محمود درويش الشعرية في جامعة الصوربون – وأمسية عز الدين المناصرة وفدوى طوقان الشعرية في (مسرح موليير الباريسي). وأقيم حفل توقيع لديوان (رذاذ اللغة) بالفرنسية لعز الدين المناصرة في (مكتبة ابن سينا في باريس) وأقيم حفل توقيع آخر لهذه المختارات الشعرية في (مدينة بوردو)، بمشاركة ناشر الكتاب مدير دار سكامبيت (كلود روكيه)، الذي قال في كلمته: "بعد أن قرأت مختارات (رذاذ اللغة) أعتقد أن الشاعر المناصرة،

لا يقلّ أهمية عن شعراء فرنسا العظام في النصف الثاني من القرن العشرين"، وأقيمت أمسية ثقافية في (معهد الحضارة)، كذلك أمسية ثقافية في (مدينة غرونوبل)، وفي (مدينة مارسيليا).
وفي ظل النجاح الكبير لفعاليات المهرجان (ربيع الثقافة الفلسطينية)، اجتمع الشعراء الثلاثة (درويش والمناصرة وطوقان) في (فندق لوتسيا التاريخي) في باريس، بتاريخ (15/5/1997)، وتفاهموا حول فكرة (المبادرة الفلسطينية لتأسيس اليوم العالمي للشعر) فأرسلوا إلى فيديريكو مايور (مدير عام اليونسكو الدولية) عبر ممثل فلسطين في اليونسكو (عمر مصالحة) رسالة-بياناً بعنوان: (مانيفستو: الشعر شغف الإنسانية – الشعر جسد العالم)، ووقع الرسالة الشعراء الثلاثة: (فدوى طوقان، مواليد 1917 – محمود درويش 1941 – عز الدين المناصرة 1946) وطالبوا بتخصيص يوم عالمي للشعر في نهاية الرسالة.
أطلق على هذه المبادرة صفة (المبادرة الفلسطينية، 15/5/1997). أرسلتْ (اليونسكو) – الفكرة- أو المبادرة الفلسطينية إلى (30 منظمة ثقافية في العالم) أو أكثر، وتمت مساندة (المبادرة) من قبل (اللجنة الوطنية المغربية)... بتاريخ (29/11/1998). وفي عام (1998، 1999) تواصلت الاستشارات، حتى أصدرت اليونسكو عام (1999) قرارها بالموافقة على فكرة (تأسيس يوم عالمي للشعر). وأعلنت أن يوم (21 مارس) من كل عام، هو يوم عالمي للشعر.
كتب كثيرون عن هذه المبادرة، ومن بينهم الشاعر والصحافي اللبناني (أحمد فرحات) بعنوان (تحية إلى شعراء العزلة الكبار) في جريدة الاتحاد الإماراتية (بتاريخ 24/3/2016) ما ننقله حرفيا: "لا بُدّ من التنويه بما أعلنته منظمة اليونسكو في عام 1999، بتكريس يوم عالمي للشعر في 21 مارس من كل عام، بناء على اقتراح ثقافي عربي فلسطيني مسبق، أعقبه دعم ثقافي مغربي، قدمته (اللجنة الوطنية المغربية 1998)، لليونسكو – كان تقدم به في عام 1997، الشعراء العرب: (فدوى طوقان – محمود درويش – عز الدين المناصرة) إلى مدير اليونسكو وقتها، الإسباني فيدريكو مايور، الذي رحَّب بالفكرة، وسهّل تنفيذها، انطلاقاً من كونه شاعراً في المقام الأول، ولكونه أيضاً ينتمي لعائلة برشلونية مُطعَّمة بجذور عربية أندلسية، تعود إلى القرن الثامن الميلادي". ويضيف أحمد فرحات في مقالته قوله: "ينبغي أن نذكر هنا بأن فكرة قيام يوم عالمي للشعر، نبعت أساساً من رأس الشاعر عز الدين المناصرة، باعتراف الشاعر محمود درويش، الذي تبناها من فوره مع الشاعرة فدوى طوقان – وذلك كما أسرَّ لي الشاعر درويش نفسه في باريس، عام 2004". ويختتم فرحات مقالته بالقول: "في كل الأحوال... من المهم جدّا أن نسجّل للعرب، هذه الفكرة الريادية في المحافل الثقافية الدولية، ولا سيما الشعرية منها".




# هويّة الزمن في رواية "أناه" بين التأويل والاستعادي الحكائي

**د.. زينب الطحان**

كاتبة وصحافية وأستاذة جامعية في الجامعة اللبنانية قسم اللغة العربية

Riza_zein@hotmail.com

## التعريف باللغة العربية

"أناه" رواية إيرانية تحكي تعايش مختلف الطبقات الاجتماعية في عهد الشاه، حين كان الحجاب الإسلامي ممنوعاً، وكانت الزعامات الشخصية تتحكم بالحارات. حب يعشعش بين جدران هذه الطبقات، يكبر وتكبر معه أمال تحطيم التقاليد، حتى تأتي الثورة الإسلامية في إيران، وتحل الحرب، فتتغير المصائر والأقدار. ويصبح الآخر الغربي ملجأ يأوي هذا التغيير إنما في صور تتركب عامودياً حيث يلجأ "علي" إلى باريس التي تختبر خبايا أرواح الجيل الإيراني الجديد الذي كان ينشأ آنذاك. وفي عمر الخمسين يقرر علي أن يرتبط بمريم حب حياته، لكن شرارة الحرب تسبقه إليها فتحيلها رماداً يعيد طلاء الجدارن.

## التعريف باللغة الإنكليزية

Anah...An Iranian novel depicting the interaction among different social classes during the time of the Shah, when Hijab was banned and those in power controlled the neighborhoods. A love dwells among those socioeconomic walls. It grows along with the hope of shattering old traditions. That is, until the Iranian Revolution occurred, followed by the war which changed fates and destinies. The other, the western, becomes the sanctuary of that change in the form of vertically synthesized images where «Ali» seeks refuge in Paris which was testing the

hidden aspects of the souls of iranian youth being shaped back then. At the age of 50, Ali decides to marry Mariam, the love of his life. But war .takes her before he does turning her into ashes that repaints the walls

## مقدمة

تستحوذ عليك هذه الرواية الإيرانيّة حين تمسك بها، تدخلك إلى عالم يعود بك سنوات بعيدة قبل قيام الثورة الإسلاميّة، حين كانت المرأة ممنوعاً عليها أن تخرج بخمارها وحجابها الكامل، حين كان السفور يفرض على مجتمع مسلم تقليدي في تمسّكه بالدين وتعاليمه. هي رحلة تاريخية، يسبح فيها الزمن متكسّرًا على أهداب حبّ لم يرَ النور، بقي منتظرًا خمسين عاماً حتّى قرر لحظة البداية، فإذ بها نهاية مأساوية جلبت معها نورًا آخر، حين أشرقت روح الثورة. فهل تخلق الحياة من الموت؟!..

يأخذنا الراوي في رحلة تاريخية تعود إلى العام 1933 ميلاديًا، إذ يزخر وصفه المكانَ بتلك الرصع اللغويّة التي لا تنفكّ تسحبك إلى تلك الحقبة التاريخيّة من شوارع طهران، "يبدأ شارع خاني آباد من مقر القزاقيين ويستمرحتّى بستان معبر الممالك، شارع يمتدّ من الشمال إلى الجنوب، وفي وسطه من اليسار يتفرّع شارع مختاري وسوق صغير يطلق عليه اسم سوق إسلامي. وفي مطلع الشارع من ناحية الجنوب نحو الشمال..كان ثمّة العديد من المحلات والدكاكين، وفي بدايتها معمل ثلج الحاج قلي حيث تزدحم في الصيف دراجات وعربات تزوّد نصف طهران بقوالب الثلج.."[1].

وفي منتصف الشارع "شرع العميان السبعة بالعمل حينما وصلوا لتوّهم إلى محل السمسرة، جلسوا على الأرض من دون أيّة علامة فارقة تميّز أحدهم عن الآخر، بملابسهم الرثّة المندرسة ذات اللون الرمادي القاتم، والتي يصعب معرفة لونها الحقيقي، وسراويلهم الفضفاضة السوداء، وقد اكتست هي الأخرى باللون الرمادي إثر الجلوس الدائم على الأرض، يجلسون على الأرض، واحداً تلو الآخر" ويشرع الأول بالنحيب :"سبعة عميان بصدقة واحدة، لا أصابكم الذل والعوز". وحين يحصل على صدقة من أحد المارة، يدعو له قائلاً :"ليرزقك الله". وهاتان الكلمتان هما في الحقيقة إشارة اتفق عليها العميان فيما بينهم، إذ ما أن يسمعها الأعمى الجالس في نهاية الطابور، أيّ الأعمى السابع، حتّى ينهض من مكانه ويتجه بخطى وئيدة نحو مطلع الطابور ويبدأ دوره في الاستجداء"[2].

منذ مطلع الرواية أنت ماخوذ بهذه الحبكة القصصيّة ولا يقطعك عنها، مهما طال

---

1 ـ رواية «أناه، رضا أمير خاني، تعريب محمد جواد علي وعقيل خورشا . دار المعارف الحكمية، الطبعة الأولى 2017، ص 7.

2 ـ المصدر نفسه، ص 8.

الوصف لمكان أو لحال نفسية، حتّى أنّه يصل بالعميان السبعة إلى العاصمة الفرنسية باريس، حيث أضحت مقر أبطال الرواية، حين يتهدّل الزمن في لعبته المحاذية للأمكنة وثقافتها، فمع تقدّم هؤلاء العميان في طابورهم الذي كان يزحف بالمكان زمناً في محاكاة تكاد تمحو عوامل اختلافات الأدلجة ومبانيها الفوقيّة التي كانت تنبعث مع تواجد جان بول سارتر الفيلسوف الفرنسي في المقهى نفسه حيث كان يتواجد علي ومريم ومهتاب، فمسيو "برنر" يؤكد لهم أنّ سارتر كان يجلس هنا قبل الغذاء"..

فينشأ تقابل ثقافي شكّله الزمن الروائي في قالب فلسفي يحمل عباراته غير المباشرة إلى ثنايا السرد، حين كانت الوجوديّة تحفر نفسها عميقاً في المجتمع الأوروبي، كانت إيران في الخمسينيات يغلي فيها المجتمع في أفق ميتافيريائي متمسكاً بثوابته الإيديولوجيّة، في الوقت نفسه، كانت باريس في تلك الحقبة ملاذاً للإسلاميين هرباً من بطش الشاه. فها هي مريم الفنانة التشكيلية، تذرّع جدّها الحاج فتاح بإرسالها إلى باريس لمتابعة الدراسة في الحين كانت غايته أن تحافظ مريم على حجابها الإسلامي الكامل، بعدما هجم عليها الشرطي "عزّتي" وخلع عنها خمارها في منتصف الشارع وهي خارجة من مدرستها، فبقيت حبيسة بيتها لسنوات عديدة.

قبل خوض غمار ما أتت به هذه الرواية الفارسية من تطور فني روائي، يلفت نظرنا إليه بشدة، من المستحسن العودة إلى الأدب الفارسي القديم، لنقول إنّه أيضاً تعدّى حدود الزمان والمكان، وخرج من نطاق أكثر من لغة ليكون فيه نصوع البرهان على أهميّته وخلود كينونته وبلوغه أغواراً ما كان الظنّ به أنّه بالغها مع حال من الأحوال[1].

ومن المقرر الثابت أنّ الفرس منذ أن انفردوا بكيانهم السياسيّ واللّغوي عن غيرهم من الشعوب التي تشكّل منها الشعب الآري الواحد، أظهروا فضل عناية بالقصص التي تألفت من روايات وأخبار وأساطير. بيد أنّها في حقيقتها تواريخ تحتوي ما تموج به حياتهم من أحداث على مرّ القرون المتعاقبة منذ الزمان الأطول[2]. وصولاً إلى تاريخ اليوم، ففي مرجع تاريخي يقول إنّ الكتابة القصصيّة الحديثة بدأت في إيران على شكل الرواية التاريخيّة مع آثار كتّاب، مثل موسى النثري، وصنعتي زاده الكرماني، وما من شكّ في أنّ المجموعة القصصيّة "كان يا ما كان" لمحمد علي جمال زاده، والتي نشرت في برلين العام 1922 م، كانت أولى هذه البدايات[3].

---

1 ـ الأدب الفارسي القديم، باول هورن، ترجمة حسين مجيب المصري، سلسلة السفير، مع دار المدى، ص 25.

2 ـ المصدر نفسه، ص 25.

3 ـ الأدب الفارسي منذ عصر الجامي وحتّى أيامنا، محمد رضا شفيعي كدكني، ترجمة بسام ربابعة، سلسلة عالم المعرفة، العدد 368 اكتوبر 2009، ص 121.

بيد أنّ الثورة الإسلاميّة جلبت معها تطورًا روائيًا من نوع مغاير عمّا حملته الحقب التاريخيّة السابقة التي عاصرها الإيرانيون، بلغة اليوم، والفرس بلغة الأمس. إذ تلحظ انفتاح السرد الروائي الإيراني على معاصرة التاريخ القريب، حكم الشاه ومن ثمّ الحرب الإيرانيّة – العراقيّة، غير أنّ هذه التحولاّت السرديّة لا تنال حقها الأصيل في سياق النقد العالمي عموماً، وخصوصاً النقد العربي، والذي لا يزال قاصرًا على تملّك الاطلاع على ثنايا الأدب الإيراني المعاصر. ربما يعود ذلك إلى أزمة الترجمة المستفحلة ما بين الأدبين العربي والإيراني، وإلى الموقف السياسي العربي الرسمي الذي يكنّ العداء لكلّ ما هو إيراني. وتضعنا هذه الرواية أمام تحدّ حضاري يجب أن يجد مخرجًا لهذه الأزمة، والتي تعيق طرق التلاقي الثقافي والإنساني بين الأدبين. من هنا نجد صعوبة في تقويم فعلي لهذه الرواية "أناه"، فهي تصل إلينا منقطعة عن سياق ما قبلها من الروايات الفارسية التي تحمل كلّ تلك التحوّلات. غير أنّه يمكننا بشيء من التبصّر وفاق ما تقدّمه هذه الرواية، أنّ نلحظ تسلسلاً إبداعياً يمشي خطواته الواثقة بين تعرّجات السرديات الكبرى في العالم.

ينفتح السرد في الرواية، على أزمنة مختلفة، تتداخل بين ماضٍ قريب وآخر بعيد، وبين حاضر قريب، وآخر يكاد يكون رؤية للمستقبل، فنجد أنفسنا أمام لواحق سرديّة، وهو ما يوقعنا في "مفارقات زمنيّة سرديّة" يقصد بها مختلف أشكال التنافر بين ترتيب القصة وترتيب الحكاية[1]. ولا يلغي هذا التلاعب بالزمن ميزة سائدة في النص وهي خطيّة السرد التي تنسجم وطبيعة القصة كونها تناظر ضمن القص الواقعي. إنّ سردًا متتابعاً خطيّاً، ينقل الأحداث كما وقعت يجعل القارئ منصهراً آنياً في أجواء القصة، متابعاً لها مسايراً لتفاصيلها معتقداً أكثر في واقعية هذه الأحداث. ويكون السرد اللاحق تالياً، والذي يقصد به : "ذكر لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها من القصة"[2]، فاعلاً في نص الحكاية لا معطّلاً لها مضيئاً لما في الشخصيّة مجذرا لها إذ يزيد من ترسيخ شخصية النص المحوريّة في عالمها الروائي وتالياً من واقعيتها، فعالمها حتماً هو عالم معلوم قائم له امتداداته في الزمن الروائي حاضراً وماضياً..وهذا المنحى السردي يعدّ من خصائص الراوية الحديثة المعاصرة، والتي تتسم بها عامّة الرواية الأوروبية والغربيّة في بنيتها التركيبيّة.

يعود السرد في خطيّته ليتابع مسار شخصيتي علي وكريم، وكلاهما يحمل الوجه الأول ونقيضه بين الإيمان الديني والتفلّت من عقاله، في خضم أجواء منفصمة في مجتمع متمسك بكلّ تلابيب الدين وبين سلطة تراوح في الاندماج بركب الحضارة الغربيّة آنذاك، حين كانت الدعوة إلى الوجودية وإنكار وجود الله في تصاعد كبير. كريم الذي حاول تجريب الصلاة

1 ـ جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم، طبعة العام 2000، ص 47.

2 ـ المصدر نفسه، ص 51.

في خضم سكره قبل قتله بأيام، كان الوجه الآخر لـ"علي" وصراعه بين انتماء حمله لتعاليم الدرويش مصطفى وبين قسّ فرنسي، كان كلّ ما فيه يذكّره بالدرويش مصطفى، وكأنّه يختزل المسافة الزمنيّة من خمسينيات القرن العشرين في إيران إلى أوّل الثمانينيات في باريس، "كنت أرى من خلال النافذة الصغيرة عباءته ومعطفه الأبيض، كان وجهه وجه الدرويش مصطفى، لكنّه قصّر لحيته وشعره، بعد حين انتبهت أنّ صوت القس هو نفس صوت الدرويش مصطفى هادئ ورنّان، أدخل يده من النافذة، رأيت خاتم العقيق وقد تمّ نحت عبارة على إطار الخاتم "محمد (ص) اللهم صلّ على محمد وآل محمد"[1].

هاتان الصورتان، وجه الدرويش مصطفى الإيراني والقس الفرنسي، شكّلا هويّة زمنيّة فاعلة بالنسبة إلى شخصيّة "علي"، أعاد إليه توزانه إلى حدّ أبقاه مسيطرًا على مجرى حياته، والتي كانت تسيّرها ظروف بلاده القاهرة. فبعدما تخلّص من حكم الشاه الديكتاتوري شنّت عليه حرب لا هويّة محدّدة لها إلا قتل نوع الحياة الذي اختاره الشعب الإيراني. فما كان يمثّله له جلوسه على مقعد الفيلسوف سارتر ما هو إلّا مفارقة حضاريّة للأوّل الذي يحمل التراث الكالونيالي المشبع بالاضطهاد العنصري لشعوب تسعى إلى نيل حريتها، وللثاني الهارب إلى الأوّل، المحمّل –أيّ الثاني– بكلّ طيف الثورة وعنفوانها ورفض القمع والحريات الشخصية. فكيف حدث أن جلس "علي" على مقعد سارتر؟!!.. وكيف حدث له أن تاه بين شوارع باريس وبرجها العاجي، وهو يتخيّل نفسه في شارع حارته في طهران!.. البرودة وحدها أعادته إلى الواقع، حين لمس ذلك العامود المتلصق ببرج الأليزيه، فاقشعر جسمه وانتفض لذكريات طفولته وصباه، كيف أنّ برودة باريس هذه لا تشبه ألفة شوارع عاصمته!!.

غير أنّ هذه البرودة كانت تتشابه مع شوارع طهران وناسها خلال حكم الشاه، إذ كان حبّه لـ"مهتاب" يرواح مكانه، كانت جدران بيته الملاصق لبيتها فيها شيء من الجليد، يمنعه من حرارة الإقبال باتخاذ قرار الزواج ولم يستطع تجاوز رأي والدته في أنّ مهتاب تنتمي إلى وسط اجتماعي أقل قيمة من مكانة عائلته. وحده الدرويش مصطفى جعله يقف على طرفي نقيض باتجاه اتخاذ القرار حين ألفت نظره إلى أنّ المكان يخضع لترتيب الزمان وثقافته: "كيف يمكنني أن أتزوّجها؟ إنّها في الجهة الأخرى من العالم"، يقول له الدرويش مصطفى :"لا وجود لجهة أخرى من العالم، مشارق الأرض ومغاربها قريبة من بعضها الآخر، إنّ وصولك إلى مهتاب يحتاج إلى الزمان وليس إلى المكان، إنّها مسألة وقت وحسب"[2]. وفعلاً استغرق عليّ ما يقارب ثلاثين سنة حتّى اتخذ قراره بالزواج من مهتاب، والتي بقيت بانتظار هذا القرار، ولكنّ الزمن أيضاً يُخصع المكان مجدّدا إلى مرواغته حين اشتعلت الحرب الإيرانية–العراقية

1 ـ الرواية، ص 119.

2 ـ الرواية، ص 338.

وقضت مهتاب وأخته مريم بفعل صاروخ غادر استهدف البيت، واللتان كانتا قد عادتا حديثا من باريس. وفقد علي مع موتها قيمة الزمان، وظلّ المكان الذي يمثّل القيم بالنسبة إليه هو الأعلى وجوداً، وفات الآوان حين شعر أنّه يحبّ مهتاب لأنّها مهتاب وليس لجمال شعرها البني وعطرها الياسميني، كما وصّف له حاله الدرويش مصطفى.

وعندما يموت علي في ختام الرواية، وحين يُشكّ عما إذا كان قد فارق الحياة فعلاً، ويقررون نبش القبر لاستخراج الجثة يأتي الدرويش مصطفى، وهو يردّد يا علي مدد، ويقول لـ"هاني": لم يحدث شيء خارق يا هاني، لقد رحل في الوقت المناسب من دون أيّة متاعب يسبّبها لأحد". بقي الزمن هو الماثل القائم في تحكيم الحدث وصيرورته في الرواية، وهي فلسفة تقضي بالقول إنّ الزمن ثقافي أرفع منزلة من الطبيعة، وهو يحمل في ثوانيه ودقائقه تشظياً لطالما عاشه عليّ حتّى عندما كان في كنف جدّه عبد الفتاح، زمن ظلّ العباءة التي يرخي عليها عليّ كلّ اخفاقاته، وعندما كاد ينجح في فرنسا، أعادته طهران إليه على صهوة زمن مليء بعنف الحرب، فغادر الدنيا في زمن فعلي روحي قبل أن يغادرها جسدياً. وبقيت كلمات "يا علي مدد" التي يردّدها على مسامعه الدرويش مصطفى هي المفتاح الذي لم يعرف علي فتاح أن يكشف سرّه أو حتّى أن يؤمن به.

وبذلك يمثّل عليّ الشخصية المنفصمة التي حاول زمن الشاه خلقها وهو يلحق بالزمن الكولونيالي الأميركي، فتى صغير يفقد والده بعدما تقتله حكومة الشاه، يربيه جده الأرستقراطي "المؤمن" وسط الدروايش، غير أنّ الزمن الفرنسي أثار تشكيلاً أكثر تعقيداً في شخصيته المتبرّمة دوماً، فكان التشظي درباً وعراً لم تجد معه روحه السكون أو الهدوء أو حتّى القدرة على اتخاذ القرارات المصيريّة في حياته.

رواية "أناه" عندما قرأتها وجدت صعوبة في تخيّلها أنّها إيرانية، أحسست أنّي أقرأ رواية عالمية في طرازها السردي وحبكتها الحكائية، كيف تسنّى للرواية الإيرانية هذا التطور ؟!.. حتما هناك مراحل تاريخيّة نجهلها عن هذا الفن الفارسي العريق.

## المصادر والمراجع


1 . رواية "أناه، رضا أمير خاني، تعريب محمد جواد علي وعقيل خورشا، دار المعارف الحكمية، الطبعة الأولى 2017.

2 . الأدب الفارسي القديم، باول هورن، ترجمة حسين مجيب المصري، سلسلة السفير، مع دار المدى.

3 . الأدب الفارسي منذ عصر الجامي وحتّى أيامنا، محمد رضا شفيعي كدكني، ترجمة بسام ربابعة، سلسلة عالم المعرفة، العدد 368 اكتوبر 2009.

جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم، طبعة العام 200

# محور العدد

# الأديبة والروائية إميلي نصرالله



## أ. كلمة المحور:



## تكريم إميلي نصر الله في الملتقى الثقافي الجامعي

**أ.د. علي زيتون: رئيس الملتقى الثقافي الجامعي.**

الملتقى الثقافي الجامعي مجموعة من المشتغلين بالثقافة، يحملون همّا وطنيّا إنسانيّا. وهم آتون من أجيال متعدّدة، بدءا من شيخ كبير السنّ مثلي و...، مروراً بصبايا وشبّان في ربيع العمر: هالة، فاتن، غسّان...، وصولاً إلى أزاهير قيد التفتّح كفرح و... وهم قد صاروا جماعة مخترقةً الطوائفَ، والمناطق، والحدود، تريد لنفسها أن تقدّم الصورة الأمثل للمجتمع، أن تُري بالعين المجرّدة المجتمعَ القدوة، والمجتمع المفترض. جئنا اليوم نكرّم مَن تمثّل أنموذجَ توجّهِنا هذا. نكرّمها، قدر الجهد، وقدر الاستطاعة، بصفتها الإنسانيّة من جهةٍ، وبصفتها الروائيّة من جهة ثانية، خصوصا أنّ روايتها ركيزة قويّة من ركائز الرواية العربيّة الحديثة. والمشهد الروائيّ العربيّ اليوم لن يكون مشهداً مكتملاً إلّا بحضور رواية إميلي نصر الله.

والتفافنا اليوم ليس التفافاً حول نصّ روائيّ محدّد لهذه السيّدة الفاضلة. التفافنا اليوم حول هذه السيّدة نفسها؛ لما تمثّله من قيم إنسانيّة وأخلاقيّة ووطنيّة يشكّل الأدب صوتها الأقوى والأفعل.

وأنت حين تستمع إليها تحدّثك بأبسط الأحاديث، أو تراقب سلوكها حيال مسألة عاديّة بسيطة جدّا، لن تجد فيها سوى استغراقها في أخلاق القرية البريئة، وقيمها المصفّاة. الكفير

حاضرة دائما وبوضوح في (أنا) السيّدة الجليلة إميلي نصر الله.
وحضور الكفير ليس حضورا سلطويّا متحكّماً، ولكنّه خيارٌ يتنافى مع ما ذهب إليه علم النفس بالنسبة إلى سلطة (الأنا الأعلى). تمثّل هذه القرية أنموذجاً ترى فيه الثقافة الإنسانيّة تحقّقاً طبيعيّا للحضور المعافى لأيّة قرية من القرى. وهل الثقافيّ سوى نتاجٍ للطبيعيّ، وانفصالٍ عنه في آنٍ معاً؟
وعلاقة إميلي نصر الله بقريتها ليست علاقة الابنة بأمّها فقط، هي علاقة مؤسّسة على رضاها عن تلك القرية، ذلك الرضا الذي يبلغ حدّ الإعجاب؛ ولذلك صارت خيارَها المجتمعي. أديبتُنا تمثيل جيّد حيّ لولادة الثقافيّ الطيّب من الطبيعيّ النظيف. فالطبيعة إبداعٌ والثقافة إبداع على إبداع.
كانت إميلي نصر الله رهينة بيتها، ولمدّة طويلة، بسببٍ من ذلك التواشج القائم بين الطبيعة والثقافة في ذاتها. لم تغلّب موقعَها الأدبيّ الثقافيّ على موقعها الإنسانيّ داخل أسرة. كان الموقع الإنسانيّ سلطة، وكذلك الموقعُ الأدبيّ. ولقد استطاعت أن توائم بين الموقعين بنجاحٍ كبير، بل كانت مبدعةً في ذلك. والحديث عن حضور القرية في سلوك أديبتنا يستدرجنا للحديث عن ثنائيّة (القرية/المهجر) في روايتها. هل يعبّر حضور هذه الثنائيّة عن أزمة مجتمع؟ وأزمة المجتمع هل هي تعبير عن أزمة ثقافة؟ وأزمة الثقافة هل هي تعبير عن مأزق سياسيّ؟ وبعد كلّ ذلك هل وقعت الذات المجتمعيّة فريسة ذلك المأزق؟
لم يكن حضور هذه الثنائيّة إشارة إلى تعالي الروح الجمعيّة لابناء القرية اللبنانيّة على ذلك المأزق من خلال اجتراح الحلولِ، والحلولِ الصعبة والمرّة أحياناً كثيرة، بقدر ما كان تمثيلاً واضحاً لارتقاء الخاصّ إلى العالميّ. وصدمة البساطة، بساطةِ القرية، في مواجهة الحضارة الغربيّة ليست سوى ارتقاءٍ بالأدب المحليّ ليكون أدباً إنسانيّا بامتياز. وليس كثيراً أن يكون أدب إميلي نصر الله أدباً إنسانيّاً سامي المقام.
ولعلّ أوضح ما في هذا البعد اللإنسانيّ عند أديبتنا، ما تجلّى في السؤال الجوهريّ الذي طرحته روايتها على ثقافة العصر. وهي لم تنتظر إجابة؛ لأنّ هذا السؤال، ككلّ أسئلة أدبائنا الكبار، سؤال حرج ومحرج. كيف لا، وعلاقة أدبنا الجيّد بالثقافة التي تظلّله علاقة مشكليّة، وعلاقة مواجهة، لا علاقة انضواءٍ تحت سقفها كحال الأدب الغربيّ؟ الثقافة الغربيّة نتجت عن حاجات المجتمع الغربيّ المعرفيّة، فأنتجت أدبها. أمّا ثقافتنا فهي ثقافة عالقة داخل موقفنا المتعدّد والمضطرب من الثقافة الغربيّة؛ لأنّنا لم ننتج، بعدُ، ثقافةً تحدّد معالمَها حاجاتُ مجتمعنا المعرفيّة المبنيّة على حاجاته الحقيقيّة العامة. ويصل بنا كلّ ذلك إلى القول: إنّ أدباً ينتجه أدباؤنا الكبار هو أدب متعال على المناهج النقديّة الوافدة إلينا من الغرب؛ لأنّها مناهج اقتضتها الحياة الثقافيّة الغربيّة الطبيعيّة. أمّا أدبنا، وهو نتاج ظروف ثقافيّة بالغة التعقيد، عاش

معه أديبنا علاقة مشكليّة مع الثقافة القائمة، فإنّه يحتاج إلى منهج واحد قادر على الكشف عن أسرار جماليّاته، هو المنهج الثقافيّ الذي ينطلق من رؤية الأديب إلى العالم. هذا المنهج الذي ينظر إلى بعض المناهج الغربيّة من بنيويّة، وأسلوبيّة، وسيمائيّة على أنّها مجرّد تقنيّات يستخدمها المنهج الثقافيّ في تعرّف ما كشفته رؤية الأديب من العالم المرجعيّ باللغة؛ لأنّ ما اكتُشف هو عين الأدبيّة. والأدب، شعراً كان أم نثراً، لا تستطيع أن تحكمه نظريّتا الانعكاس والانكسار الغربيّتان. فهما عاجزتان عن فهم الحقيقة الأدبيّة. نظريّة الكشف وحدها هي النظريّة التي يمكنها الامساك بالحقيقة الأدبيّ .

## ب . أبحاث المحور:



### "إميلي نصرالله"

الكاتبة الروائيّة: فاطمة محسن القرصيفي
أستاذة لغة عربية في كلية الحقوق والعلوم السياسية الجامعة اللبنانية
عضو في اتحاد الكتاب اللبنانين
fatimakarssifi@hotmial.com

**Emily Nasrallah**

A value, a symbol,،and a writer (novelist) Emily Nasrallah recapitulated in her character, as well as her literature, many of the values and symbols. Through my study, I've tried to approach the context of her value.
"The sleeping Amber" (Al Jamar Al Ghafi) about the internal and external emigration (migration – immigration)
This novel is not Nasralla's first or last novel. Many novels preceded it and she wrote novels before it, and kept writing till she passed away .
Through this novel, she wanted to uncover the secret beneath the ashes of alienation.
"Emily Nasrallah" wrote and traveled with the characters of her novels, but she stayed the novelist woman issues away from audacity. This way her writings were kept within the frame wore of literature، which stays as a witness on a certain era and environment .
….Emily's literature is a pioneer model simplifying the flow of Arabic novel. Her literature has brought her to be on a high، respectable and pioneer rank among her peers.

إميلي نصر الله:

قيمة وقامة، رمز وقلم ........

قامة بحجم لبنان، أكبر من أن تكرّم في سطور .........

أجدني صاغرة أمام شخصها بكلّ ما اختزنته من قيم ..........

كريمة يكرّم من يدنو منها .........

... اختصرت "إميلي نصر الله" في شخصها كما في أدبها الكثير من الرموز والقيم، في الأصالة والرفعة، الجديّة والمثابرة، الصدق والوقار، الشفافيّة والتضحية والكرم. أسلوبها رحب مثلها، لغتها سهلة كآفاق الحقول وبهاء السنابل، معطاء كريمة كالأرض الّتي أحبّتها.

رفيقة منعشة للروح، مذكّرة بأنّ الجمال رقّة عطاء ونقاء أصالة. جميلة ناصعة كإطلالة حرمون الّذي ظلّل طفولتها، خفرة حيّية كزهور وسنابل حقول الكفير حيث نشأت.

عشقت أصابعها القلم وشغف قلبها بالعلم إذ شكّلت رواياتها علامة فارقة في مسار الرواية اللّبنانية.

لا تكرّم "إميلي نصرالله" اليوم على إنجازاتها فقط بل تكرّم على مسارها النضالي.

أمامها تحني رأسك وكأنّك تجتاز مدخل بيت قرويّ نشرت أغصانها فوقه ياسمينة معطاء .... تنهمر عليك زهورها البيضاء وعطرها الخفي، برفق غيمة وعطاء سماء ونفحات حب.

تفاجئك بحضورها وأدبها ..............

أشكر الله الّذي حباني بنعمة معاصرتها وتكريمها رفيعة شامخة في دارتها في بيروت بمعيّة العالم الدكتور "علي مهدي زيتون" إذ أقام ذلك التكريم عبر ملتقاه الثقافي الجامعي، والنعمة الأكبر أن أرشدني حضرة الدكتور "علي" لأحظى بشرف دراسة روايات لها كموضوع لأطروحتي لنيل شهادة الدكتوراه.

كفاني بذلك فخراً ورفعة وقيمة .................

رحمك الله أيّتها السيّدة الجليلة "إميلي نصر الله"، ولتسكني الجنان في عليائك ........

إميلي نصرالله

.....بدأت "إميلي نصر الله" الاهتمام بكتابة الهجرة انطلاقاً من تجربة شخصيّة، عندما هاجر إخوتها، ومثلهم أبناء جيلهم والأجيال التالية، كانت قد انتقلت من الحضن الأول من قريتها الكفير إلى المدينة الكبيرة والعالم الغريب، إذ جاءت كتاباتها في ذلك المناخ من دون فذلكة فنيّة أو أدبيّة وكتبتها بما تجمّع لديها من خبرة وعاطفة.

.....تابعت كتاباتها في هذا الموضوع عندما أصبحت الهجرة قسريّة بسبب الحرب، ولم تعد هجرة الشبّان للبحث عن فرص عمل مؤاتية كانت هجرة المسنين ومن تلك التجربة جاءت رواية "الإقلاع عكس الزمن".

.....وبما أنّ الرحلة لم تنته بعد، فقد تابعت خطتها في رواية "الجمر الغافي"، بالطّبع هناك مسافة زمنيّة تفصل كل واحدة من هذه الروايات عن سابقاتها. من خلالها كتبت في عدة مواضيع، ولكنّها في روايتها الأخيرة "ما حدث في جزر تمايا" أرادت القول إنّ الدرب طويل، وإن الغربة التي ترتسم في المخيّلة الشعبيّة كحلم مشتهى ليست كذلك. إنّها بعد نحو خمسة وعشرين عملاً أدبيّا بقيت تمارس طقوس الكتابة نفسها، المزاج، المكان، الشغف، العلاقة مع الورقة والقلم. كانت تدخل في شرنقة صومعتها وتقفل من خلفها أبواب العالم الخارجي، وتدخل في حال تشبه أحوال المتصوفين، وتعيش مع شخصيّات من ابتكارها وتندمج معهم في السّلوك الّذي يخصهم. كتبت عن الجمر الغافي تحت رماد الغربة والمرأة والحرب بلغة تشبهها، وتشبه أحوال كل الّذين غادروا إلى المقلب الآخر من الكرة الأرضية، سواء في القطب الشمالي وكندا، وأميركا وفرنسا .....

ولا يغيب ذلك الشعور بأنّ الاغتراب يحدث كثيراً داخل الوطن نفسه، ويمكن أن يحدث داخل القرية الّتي ما عادت تشبه طقوسها. لكن التحدّي في قاموسها الخاص ألّا يجفّ القلم أبداً في مواجهة كل المتغيّرات، والضّباب والارتباك الّذي تشهده الساحة الأدبيّة، ولم يجفّ قلمها –رحمها الله– إلى روايتها الأخيرة "ما حدث في جزر تمايا" والّتي اعتبرت توثيقاً برسم الأجيال المقبلة عن الهجرة وتبعاتها.

....."إميلي نصر الله" من بين قلّة من الأديبات اللواتي تُعتمد أعمالهن في المدارس، لكنّها لم تكتب بهدف تربوي، إنّما كانت أعمالها ثمار حياتها وتجربتها. كتبت بما ملكته من لغة وأسلوب إذ وجد فيها القارئ ما يبحث عنه من المتعة الفكريّة والأدبيّة أو الإفادة التربويّة، وشكّل ذلك شهادة على تأصّل الأدب وانبثاقه عن خلفيّات كانت من مصادر إنتاجها، إذ كتبت عن قضايا المرأة لكنّها لم تمض في الجرأة إلى حد الابتذال والسوقية وإلى حد لا يعود من الجائز إطلاق كلمة أدب على العمل.

واعتبرت ترجمة كتاباتها جسوراً من التفاهم بين الحضارات وأدّت بذلك إضافة إنسانيّة مهمة.

## الجمر الغافي

......إنّه الزمن، وتلك الذكريات الجارحة تجرّدك من حسّك وتدفعك لتسير بقربها وتشبك ذراعك بذراعها وأنت تفكر وتتساءل: أين تلاشت تلك العاصفة الجامحة، الّتي حوّلت أيامك إلى جحيم، ودفعتك إلى حافة الانهيار، فقلعت خيامك وهربت؟......

ونزهة، كانت تحسبك صريحاً وجريئاً، وتنظر إليك تلك النظرة الرّفيعة، المقدّرة ولو بالكلام المعسول تسكبه في سمعك ولا تدري أن ما ساقك إلى هذه النتيجة الحاضرة لم يكن الرجولة والشهامة، بل الجبن والخوف... و هي نطقت بالحق، حين قالت لك في لحظة انفعال: "إنّك جبان...".

كتبت برؤية كاشفة، ومعاناة إنسانيّة زاخرة، وبأسلوب تعبيريّ ناصع، تحبك "إميلي نصر الله" نسيج رواياتها هذه شاهداً على عصر وبيئة. ومرآة لحركة في الحضارة والتاريخ من خلال نماذج بشريّة تعكس في تصرّفها ومشاعرها وأفكارها أدقّ تموّجات تلك الحركة وتجسّدها برؤية، وعمق، وشمول، وبهاء فنيّ ساطع. أثر أدبيّ يختصر زخم الرواية العربيّة الحديثة، ويبلور أخصّ خصائصها الإبداعيّة تحليلاً وتشويقاً وأبعاداً نفسية وإنسانيّة وحضاريّة قلّ نظيرها في الأدب القصصي المعاصر. رواية تقرأ، وتروى، وتعاد، وتتدارس، وهي إلى ذلك تتويج لمسيرة أدبيّة حافلة، لا تزال لأديبتنا الكبيرة في دروبها المكانة العالية والمرتبة الطليعيّة المرموقة.

**تشكّل العالم الرّوائي في رواية الجمر الغافي**

**للكاتبة إميلي نصر الله**

...رواية رصّعت أحداثها سفراً من ثلاثمئة وثمان وثلاثين صفحة، نظمت ضمن مئة وأربعة وخمسين قسما مرقماً، وتلك طريقة نهجتها الكاتبة في رواياتها.

...وردت الأقسام متفاوتة الأطوال، تماشياً مع الفكرة الّتي قدّمها كلّ قسم في سياق السرد.

القسم الأول[1] تألف من سبع فقرات وحوار قدّم الفكرة الرئيسيّة محرك الفعل الحدث الرّئيسي في الرواية. ينمو الحدث الأساسيّ وصول نزهة إلى الجورة من (ص 7 إلى ص 50)[2] ضمن تسعة وعشرين قسماً في سرد داخلي يقدم الوصول والزوبعة الّتي أثارها. ويتنامى بتسلسل زمنيّ منطقي تنمو في ظلّه الأحداث، سرد متسلسل تتخلله وقفات وقفزات واسترجاعات ومشاهد، إذ عادت بجبران الذكرى إلى عشرين سنة خلت عندما كان مغتربا في أوهايو، قطع ذلك الإسترجاع وقفة تنبيه تأخذه إلى هدف زيارة نزهة إلى الجورة الّذي رسمته بعد موت "عبد الله"[3]، قسم أتى في فقرتين قصيرتين فقط. يعود بعدها الراوي فيكسر سياق السرد في استرجاع في الصفحة 50. ثم وقفة قدّم الراوي فيها أم هاني وعملها في تجنيد حواسها لمعرفة أي طارئ في الجورة، إلى أن يعود السرد فيسير ضمن تسلسل منطقي فيقدم أحداثاً تتنامى للوصول إلى تحقيق رغبات نزهة وتحقيق الغرض الأهم من العودة عندما أخبرت ليا بسرّها، فالزواج من ديب، فمحاولة تبني رمزية التي أخفقت.

الجميع كان يبحث عن مصالحه، نزهة، ديب... وداع ألماظ لنزهة / تعمد جبران الغياب وليا والمختار وأم هاني، ختمت تساؤلاتهم على ردّ معلّق في الفضاء وحتى أمد بعيد، إذ ختم الراوي الرواية بتساؤل على لسان "سلمى النخال" والذي يمكن أن يكون على لسان الشخصيات

1 ـ الجمر الغافي، ص 7 – 8.

2 ـ م.س.ن، القسم 74، ص 38.

3 ـ م.س.ن، ص 338.

جميعها، هل ستكون الحياة في الجورة بعد زيارة "نزهة البنا" كما كانت قبلها؟[1] فقد حققت نزهة رغباتها، وكما أنّ حضورها أثار زوبعة، فإنّ تركها الجورة أثار زوبعة معاكسة **لفت تلك**، وما لبثت أن رقدت الجورة بعدها هادئة واثقة بحضورها وديمومتها، وكانت الولادة الجديدة.
البشر يأتون ويرحلون من كل مكان، وإلى أي اتجاه... وهي باقية في صبر انتظارها. وعلى الجبهة الشّرقية ارتفعت نجمة الصباح، تواجه موجات النور، تتدافع مثل طلق يسبق ولادة جديدة... تفاجئها تتآلف معها إلى حين، ثم تمحوها، بينما تتوسع رقعة انتشارها في تموّجات دائرية طاغية لا تلبث أن تتحوّل إلى نور يبهر الأنظار..."

**الحدث المركزي في الرواية:**

... الحدث المركزي هو عودة نزهة البنا إلى الجورة بعد موت "عبد الله بو مرعي" في أميركا وتحرّرها من قيد الزواج. فمن الطبيعي في ظرف كظرف نزهة أن تعود إلى الوطن بعد موت زوجها الذي هاجرت معه. لكن عودة كعودتها وإضمارها رغبة أو رغبات عادت تسعى لتحقيقها، من النادر أن تحصل عند وقوع مثل ما وقع عليها، فزواجها من البداية كان زواج هروب من الواقع للخلاص منه، إذ أصرّت وبعد معرفتها بسر عبد الله ومظلومية ليا، البقاء معه ليس لأنها ملاك أحبّته واختارت البقاء معه ودعمه معنويّا، بل لغايات في نفسها من هروب من الفقر وتحرشات رجال القرية، وابتزازه لتحصيل المال إذ أنّه ومنذ الأسبوع الأول بعد إخفاقه معها وعدم توحّد كيانيهما، ملّكها كل ما يملك، فأصبحت المستبدة المتحررة صاحبة النفوذ، نفوذ المال الّذي حاولت من خلاله إشباع عاطفة الحب المفقود بمحاولات إنشاء علاقة رفضها جبران بسبب تربيته وموروثه الثقافي في المحافظة على عرض عبد الله بو مرعي. ذلك الموروث الّذي مثّلت "نزهة" نموذج التحرر منه في بعض المواقف، خصوصا عند امتلاكها كل شيء دون الحب، ما خلا الثقافة والعلم اللذين لم تكن "نزهة" تتمتع بقدرٍ منهما سوى إلمامها باللغة الإنكليزية. عادت تسعى للحصول على حبّها الأول الّذي لم يترك المهجر لأنّه لم يتحمل الغربة بل تركه رفضاً لإغوائها. كما كانت تسعى لإخبار ليا بالمظلومية الّتي تجمعهما بزواجهما من عبد الله بو مرعي. لكن خامة النساء اختلفت وردّات الفعل العكسية اختلفت، "نزهة" المتحررة و"ليا" المحافظة، فكانت النتيجة واضحة متجلّية باختلاف الطموح. طموح واحد حاولت "نزهة البنا" تحقيقه وهو تبني "رمزية" ابنة "سلمى النخال" الّتي رأت فيها طفولتها، فحاولت تبنيها إنقاذاً لها من حياتها، لكن غريزة الأمومة وصفاء سريرة "سلمى" وتصدّيها لقدرها، مثل الكثيرات في القرية اللبنانية وقف حائلاً أمام ذلك الطموح .

---

1 ـ م.س.ن، ص 338.

**خلاصة :**

... إنّ الهجرة أكانت داخلية أم خارجيّة ومع المعاناة، فتحت أمام المهاجرين آفاقاً واسعة، خصوصاً من كان الحظ حليفه وخبر كيفية التأقلم مع الشعوب الأخرى وأنماطها في الحياة والمعاملات. قدّمت الكاتبة مفهوم الهجرة بكل أبعادها، وأضاءت على مفارقة حسبان الموت كوّة نور لبداية حياة وخلاص لدى "نزهة" (موت عبد الله)، على المقلب الآخر كان امتحان عذاب وقهر وجهاد عند "سلمى النخال" الّتي كانت تعمل في الكنيسة وفي بيوت أغنياء الجورة لتأمين معيشة ابنتها "رمزية"، إذ كان الموت قدراً يمارس لعبته بعكس موت "عبد الله" بالنسبة إلى "نزهة" .



## 2 . الحرية الضائعة... رؤية نقدية لرواية "طيور إيلول "إميلي نصر الله

**الأستاذة الباحثة الدكتورة علا آغا**

دكتوراه في الأدب العربي ورئيسة جمعية الحكيم الخيرية ومديرة شركات معدات طبية

Ola.aga@hotmail.com

**ملخص:**

جاءت رواية طيور إيلول لـ"إميلي نصر الله" في زمن الستينيات مناقشة لشخصيات المرأة المكبلة اليدين، بقيود المجتمع وتقاليده. فهي تعبير واضح عن رغبتها الملحّة في فتح حوار صريح مع الآخر، حول العديد من القضايا التي تعبر عن معاناتها الإجتماعية.

وقد عمدت في دراستي هذه إلى تسليط الضوء على وجوه المرأة، وتنوعه، فإميلي نصر الله عايشت الكثير من الحالات اللاإنسانية، والتشوهات الفكرية، نتيجة الصراعات الاجتماعية والسياسية. فهي صورة صادقة لحالة الانعدام الذاتي للمرأة أمام ذاتها أولاً والرجل ثانياً، من خلال تعرضها لظلم كبير، سببته عادات عمياء، ومفاهيم خاطئة ومتوارثة حول النساء.

**Subject definition:**

A story by Emilie Nasrallah under a title of "Birds of September" in the time of sixties was to discuss the personality of a handcuffed woman by social restrictions and traditions. This story was a clear expression on her urgent desire to allow an explicit conversation with the other on different issues about her suffering from the society.

My study purposed to high lights on different women faces. Emilie

Nasrallah lived in a situation described with a lot of inhumanity and distorted thoughts against woman which is mainly due to social and political conflicts.
It is a real and honest picture on a woman that had abstracted from her confident firstly in front of herself and secondly in front of a man. And this is mainly due to her exposure to huge hurt and injustice by blind traditions and wrong concepts about woman.

**مقدمة:**

تعتبر الحركة النسائية المعاصرة نتيجة طبيعية لأُسلوب تعاطي المجتمع مع المرأة في الحقب الماضية، ومن البديهي أن تختلف التجربة الثقافية في المشرق العربي عنها في العالم الغربي، وبالتالي تختلف النتائج المتمخضة عن كلتا التجربتين. من هذا المنطلق، فإنّه عند معالجة القضايا الشرقية لم تؤخذ هواجس المرأة الغربية وهمومها بعين الاعتبار، وذلك لاختلاف ذهنية المرأة الشرقية وقضاياها المستوحاة من أعماق الثقافة المشرقية. ولا شكّ أنّ الأديبة اللبنانية استطاعت بقلمها البارع أن ترسم ملامح هذه الذهنية إيجازاً وتفصيلاً عبر الرواية والقصة القصيرة، مستلهمة خصوصياتها من المدرستين الرومانسية والواقعية، وكذلك المدرسة الرمزية، لهذا السبب نرى الأدب النسائي يزخر بمفاهيم الغرور والغيرة والاستئثار ومشاعر التحدّي، والنزعة التشريفاتية، والعزوبية، ومكر النساء، والعلاقات الزوجية، ومسؤوليات الأُمّ، والإيمان بالله، والنجاحات العلمية وفكرة التفوق للتخلص من نير التبعية المطلقة. وفي هذا الإطار تتبلور قضايا جديرة بالتأمّل، نذكر منها:

- اتّساع نطاق قانون (صراع البقاء) ليشمل المحيط الأُسري.
- طرح مقولة تفوّق الذكر على الأنثى التي تفضي إلى إمساك الزوج بمفاتيح القرار في المنزل (في حالة السلطة البطريركية المتعقلة)، وإلى فرض السيطرة والتسلّط (إذا ما تخلّى الرجل عن العقلانية) وأحياناً تؤدّي إلى التشدّد والعنف الذكوري، أو إلى الأخطار الجنسية.

ويتجلّى نمط أُثير من جراء ذلك التسلّط والسيطرة غير المباركة بانتظار ظهور مراحل نسائية، بيد أنّ الحقيقة القاتمة هي في الصعوبات غير المألوفة للمهنة، وهي صعوبات لا تفرزها طبيعة المهنة نفسها، بل تعود إلى العادات والتقاليد التي تحكم المجتمع فتنشأ تبعاً لذلك مسألة تحديد الأدوار على أساس الجنس، وقد تتفاقم لتشمل التحديد الجنسي في اكتساب العلوم أيضاً، فيتسبّب ذلك في بروز أهمّ الآثار السلبية، ألا وهي المشاكل النفسية–الجسمية متجسّدة في حالة الذهان، ذلك أنّ المطلوب من المرأة هو البقاء في دائرة الوظائف المنزلية الأمر الذي يؤدّى

إلى استثارتها وإرغامها على إبداء ردود فعل متعددة ليس آخرها النسوية المَرَضية[1]، والمقصود بالروح الشرقية الفكرة الرئيسة التي تتكرر في القصة وتعبّر عن عصارة القصة وخلاصتها، حيث تتشكّل بمعيّة الفكرة الرئيسة، وبدونها تكون القصة أقرب إلى السرد التاريخي منها إلى العمل الأدبي؛ لأنّ الكاتب حينذاك يقوم بتسجيل الأحداث ضمن مقطع ممرحل[2]، وعلى الرغم من أنّ العنصر الزمني يشكّل القاسم المشترك الذي يجمع العمل الأدبي بالسرد التاريخي، إلاّ أنّه بإمكان القاص أنَ يتحكّم بعقارب الزمن تقدّماً وتأخراً، كما يمكنه توسيع الإطار العام للقصة عبر ضخّ كمّ كبير من الأحداث الجانبية، ليضع في متناول القارئ معطيات متكاملة وعلى قدر عالٍ من الحبكة. كما يستطيع عبر إضافة شخصيات بعيدة أو قريبة زمنياً من بطل القصة، زيادة مساحة الاحتكاك بين أحداث القصة وتشابك عناصرها ولا شكّ أنّ أصالة هذا العنصر في القصة نابعة من أنّها تتيح للكاتب الاختلاء بنفسه في زاوية معينة ليتفرّج على المشهد الذي صنعه، ومن ثمّ ينقل مشاهداته إلى قارئه، فعند إميلي نصر الله نبع إبداع أدبي لا ينضب مصدره القرية وطبيعتها، وهو متجسد بأعمالها، إلا أنه يبلغ ذروته في روايتها «طيور أيلول». فهذه الرواية، إلى جانب روعة صورها الفنية، وإلى جانب ثراءها التعبيري والبلاغي والتصويري واللغوي، إلى جانب كل ذلك، فإن طيور أيلول تمثل في إحدى جوانبها دراسة اجتماعية لعادات وتقاليد أهل تلك القرية، وفي جانب آخر، هي تمسّ وببراعة عالم النفس الإنسانية بكل طموحاتها المؤجلة والمعجلة، وبكل أمانيها المقهورة والمبتورة، وبكل معاناتها التي وكما هي بقعة سوداء في حياة بطلة إميلي، هي إلى ذلك بقعة ضوء أكسبت تلك الرواية سمة الواقعية، وأغنت عالم الرواية بالكثير من التجارب الإنسانية وبعد ترميم الحقائق وإصلاحها يمكن القيام بتحليلها، وبذلك نتعرّف على زوايا نظر الكاتب[3]، وإن كانت تراكيب عبارات النص تكشف أحياناً عن جانب من هذه الزوايا، وفي ضوء ذلك فإنّ زاوية النظر الداخلية ترتسم بحضور الكاتب في ثنايا عبارات القصة وسرده لها على لسان الشخص الأول، أو بقائه خارج النص، فينقل القصة عن طريق حوار الشخص الثالث ليقوم بمهمة تصوير زاوية النظر الخارجية لأحداثها وتفاصيلها. والواقع أنّ الكاتب في عملية توزيع الأدوار يقوم بمهمة توظيف العناصر المذكورة، ليتمكّن من تهيئة الأجواء لانفعالات القارئ وتأثّره بمشاهد الأحداث حزناً أو مسرّة، ويرتبط مستوى هذا التأثير وشدّته بمدى دقّة الكاتب في وصف دقائق الأحداث وإدارة تفاصيلها

---

1 ـ كيب، هاميلتون، أدبيات نوين عرب، ترجمة يعقوب آژند، طهران، مطبعة اطلاعات، 1366هـ، ش: 5؛ المقدسي، أنيس، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، بيروت، دار العلم للملايين، للطبعة الثامنة، 1988، 455.

2 ـ مير صادقي، جمال، عناصر داستان، طهران، مطبعة سخن، الطبعة الثالثة، 1376هـ ش: 35-34، 173؛ الرشدي، رشاد، فن القصة القصيرة، بيروت، دار العودة، الطبعة الثالثة، 1984م، 51.

3 ـ البستاني، الأدب اللبناني الحي، 87-86.

عن بعد بأُسلوب فنّي ينمّ عن حرفية وإتقان، ونعني به البناء اللغوي، وكذلك دلالات النص (semantic) وإيقاعاته، حتى تتصاع الكلمات لبنائه، ويتبيّن فنون الكتابة وقواعدها. ثم بعد ذلك يزجّ قلمه في خضمّ الفن القصصي، ليطبع أُسلوبه بطابعه الخاص، دون أن يجد حرجاً في الاستعانة بالأساليب الأُخرى في تصوير المشاهد والأحداث، بما في ذلك أُسلوب «الحوار» الذي هو عبارة عن جهد ثنائي يقع بين طرفين، يستعين به الكاتب من أجل الدخول في عمق الحدث وتصويره من الداخل من جميع الزوايا والأبعاد، فيوسّع من دائرة الكلام، واضعاً المتكلم والمستمع في علاقة حوارية متبادلة تتطلّب بطبيعة الحال التأمّل في الطرف الآخر والردّ عليه. ويسمح هذا الأُسلوب للكاتب بتسليط الضوء على طبيعة شخصيات القصة وأفكارهم ومواصفاتهم الأخلاقية، بل وحتى مواصفاتهم البدنية الظاهرية، أو يقوم بتغيير مكان الحدث مصطحباً القارئ معه، ليكسبه مرونة في الحركة والتنقّل، الأمر الذي يضفي على القصة قدرة أكبر في وصف عناصرها أو تحليل التداخل بين أحداثها ومشاهدها[1].

ولكن يبقى أن نقول: إنّ الكلام ليس هو العنصر الوحيد في الحوار، بل أحياناً يشكّل الصمت ضرورة لازمة في العمل»[2]، فالشقاء هو المرافق الدائم لكلمة أنثى في المجتمعات العربية مع الجهل والتخلف، والفساد، الذي عم في أرجاء المجتمع العربي كله، هذا العدو المرهق للإنسانية، وللمرأة بشكل خاص، التي غاصت في عمق التقاليد والإستلاب لحقوقها بشكل مرعب، ما كان منها إلا التخبط في ذاتها، بحثاً عن وجودها الإنساني، حيث أخذت تعمل بجهد وصبر تارة، وتمرد تارة أخرى، للوصول إلى اللحظة المناسبة والوقت المناسب لإثبات ذاتها الضائعة، أمام ذاتها والرجل والمجتمع.

وسط أجواء مشحونة بالمظاهر الخداعة، والطاقة السلبية، لا بد للحقيقة من أن تتجلي أمام الأعين، لتكون كالمنارة لطالبيها، وبالتالي الحرية لا تنال إلا بالجهود المتواصلة والمضنية، حيث يجب على كل الفرقاء الإيمان بها لتعطي ثمارها المكللة بالنجاح، وليس نجاح المرأة وحسب وإنما نجاح الأفراد كافة ككل.

وبالتالي عملت المرأة وبشكل ملح على تأكيد ذاتها، ووجودها، عن طريق هدم كافة الحواجز كلها، انطلاقاً من تغيير القالب الاجتماعي الذي ولطالما فرض عليهم تحركاتهم، مقيداً حركتهم منذ زمن بعيد.

فها هي تنطلق نحو ضوء مازال بعيداً عن نفسها التائهة المتخبطة، فالمرء لايولد من

1 ـ الرشدي، فن القصة القصيرة: 97؛ عبدالسلام، فاتح، الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1999م، 69–14،68؛ درّاج، فيصل، نظرية الرواية العربية، بيروت المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 2002م، ص 72–68.

2 ـ جان نعوم طنوس، ثنائية الشرق والغرب، دارالمنهل اللبناني، ص 210.

رحم البؤس تلقائياً، بل هو زمن طويل غائر في تلافيف الزمن الماضي الممتد، حيث يولد محبطاً، ومتألماً ومصدوماً من محيط غير سوي، يجعله يغوص في أعماق الموت بدلاً من الحياة، "فالطفل حين يحرم من الحياة لا بد من أن يصب عدوانيته على مصدر الحياة بصفتها المسؤولة عن الجحيم الذي يعانيه"[1]، وهي تحمل الكثير من صفات العبودية، في مقابل صفات السعادة التي تنطوي على القوة، والثقة، والأمل، والسعادة، وما أزمتها هذه إلا مرتبطة بالشرق الذي نشأت به...

الرواية سرد نثري طويل، يصف شخصيات خيالية أو واقعية، وأحداث قصة حيث تعتمد على السرد بما فيها من أحداث، ووصف، وحوار، وصراع ما بين الشخصيات، وما ينطوي عليه ذلك، من تأزم وجدل وتقنية للأحداث، والشخصية هي المعتمد عليها بإدارة أحداث الرواية من خلال تفاعلاتها مع ملامح الرواية وعناصرها، حيث تتكوَّن بها الأحداثُ فهي المحرك الأساسي والخفي لأهداف الكاتب وما يريد بثه للمتلقي مما لها من تأثير مباشر وغير مباشر على تحريك دفة الرواية، لذا على الروائيّ أن ينتقيَ شخوصَ روايته بحكمة، ودراية، بحيث يجعل الشخصية المناسبة في المكان المناسب.

كأن يكون ملماً بالأحوال الإجتماعية، والسياسة، وبشكل مفصل، حتى تتوافر المصداقية في الرواية، خاصةً وأنه يتناول الأحداث وكأنها حقيقية ومعاشة، وبالتالي يتطلب منه الدراسة المعمقة لكافة الأنماط الحياتية المحيطة به من بيئة، ولغة، وعادات، وإيجابيات، وسلبيات مجتمع معاش به، حتى يتمكن من طرحها بشكل موضوعي.

يقول محمد غنيمي هلال في هذا الصدد: "الأشخاص في القصة مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار والآراء العامة... الأشخاص كذلك مصدرهم الواقع"[2]. "إن الشخصية وحدة دلالية"[3]. وفي نص آخر يجعلها إنساناً تؤدي دوراً اجتماعياً في الحياة، حيث يقول: "ركيزة السرد مستندة عادة على الشخصيات المؤنسنة"[4].

ونتيجة هذا النقاش ظهرت مفاهيم مختلفة للشخصية. "فبعد ما كان التصور التقليدي يعتمد أساساً على الصفات، مما جعله يخلط بين الشخصية الروائية، والشخصية في الواقع الحياتي"[5]، ظل التركيزعليها كونها "كائناً إنسانياً مليئاً بالحياة، وعلى تجاهل للقصدية وراء

1 ـ جان نعوم انطونيوس، صورة المومس في الأدب العربي، دار المنهل اللبناني، ص 132.

2 ـ محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دارالعودة ، بيروت، ط.1، 1982، ص 571.

3 – Hamon (Philippe)، Pour un Statut Sémiologique du Personnage، 125 ص.

4 ـ م.س.، ص 162-161.

5 ـ حميد لحمداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط. 3، 2000، ص 45.

خلقها وتشكيلها. وبناء الشخصية يحكمه المفهوم المثالي القائم على مقولة الإلهام"[1].

وأهم ما يميز الاتجاه الجديد في نقد الشخصية، هو الانتقال من داخل الشخصية إلى خارجها أي إلى وظيفتها، والأدوار التي تقوم بها، والاستعمالات المختلفة التي تكون موضوعاً لها.

"إنما هو مهم في دراسة الحكاية هو التساؤل عما تقوم به الشخصيات، أما من فعل هذا الشيء، أوذاك، وكيف فعله. فهي أسئلة لا يمكن طرحها إلا باعتبارها توابع لا غير"[2].

مفهوم الشخصية عند "بروب"[3]: هو التقليل من أهميتها وأوصافها. إن الأساس هو الدور الذي تقوم به. وهكذا لا تحدد الشخصية بصفتها وخصائصها الداخلية، بل بالأعمال التي توظف من أجلها، ونوعية هذه الأعمال.

ومما لا شك فيه هو أن عملية تقديم الشخصية،عبر الفضاء النصي، تعد من البحوث المهمة التي شغلت الدراسات النقدية الحديثة، ذلك أن الشخصية، تشغل موقعاً إستراتيجياً في بناء الرواية. لعل هذه الأهمية هي التي دفعت "فيليب هامون" أن يخصص محوراً بتقديم الشخصية.

"يتم تقديم الشخصية عنده من خلال دال غير متواصل. بمجموعة متفرقات من الإشارات التي يمكن تسميتها بـ"سمة" وخصائصها العامة، تحدد في جزء مهم منها، بالاختيارات الجمالية للكاتب، فقد يقتصر على الحوار الباطني الغنائي أو السيرة الذاتية. فهنا عادة إشارات التعريف بالشخصية هي ضمير المتكلم"[4]. فالسمة الدلالية للدال، فقد يركز على اختيار اسم العلم، وفي هذه الحالة من المستحسن على الكاتب أن يختاراسم العلم الذي يكون مؤشرًا واضحًا للعلاقة بين الدال والمدلول، وأن تتسم هذه السمة بالاتساع إلى حد ما، مع ثباتها، حتى تستقر في ذهن القارئ من بداية الرواية إلى نهايتها.

فالكتابة بشكل عام والقصة والرواية بشكل خاص، نوع من أنواع التعبير عن رغبة المرأة الملحة في فتح حوار صريح حول قضاياها داخل المجتمع العربي، ومدى سعيها للتغيير الاجتماعي، وفق أطر إجتماعية سليمة. كما تهدف إلى مخاطبة الآخر المتمثل في القرّاء المؤيدين لنضالها في مجتمعاتها. "كانت الروايات خير صورة صادقة، استطاعت أن تنقل لنا الحياة الإجتماعية، والسياسية بكل رؤى ثاقبة وواضحة"[5].

---

1 ـ حسن بحراوي، م.س.، ص 211.

2 ـ حميد لحمداني، م.س، ص 24–23

3 ـ يعد «فلادمير بروب» أحد أعلام الاتجاه الجديد في النقد الأدبي.

4 – Hamon Philippe « Pour un Statut Sémiologique du Personnage Poétique du Récit EDT Seuil 1977, p. 142-143.

5 ـ بثينة شعبان، 100 عام في الرواية النسوية، دار الآداب، ص 141.

وكانت الدعوة واضحة من حيث التفكير بكيانها كإمرأة، وبمشكلات واقعها، بطريقة أكثر منهجية، وأكثر تحرراً. فالكتابة نظرة إلى العالم وطريقة حضور الأفراد فيه.

واختيار إميلي نصر الله للكتابة يعني رغبتها في أن تكون موجودة، وأن تحضر وسط هذا المجتمع بالفعل وبالقوة، حيث تحقق ما يمكن اعتباره تجاوزاً لوضعها الحالي، وهكذا تصبح الكتابة عندها نوعاً من الخلاص، ويصبح الإستمرار فيها، رغم ما يتضمنه من مشقة في نشر كتاباتها، خير مثال لصورة المجتمع، عبر تناولها قضاياه بشكل معمّق.

## وجوه المرأة في كتابات إميلي نصر الله

اتسمت الشخصيات النسوية في كتابات إميلي نصر الله، بانتمائها إلى آفاق وتطلعات كل الأجيال، فهي تسهم بحب واهتمام، وإبداع متجدد، من خلال التنوع في وجوهها بشكل عام، والمرأة بشكل خاص. متنوعة عبر حكايات الوطن، وقصص الأجيال، وروايات الناشئة.

هي وجوه سعت نحو حرية لازال طيفها بعيداً، حيث تظهر صورة البطلة في الكثير من كتاباتها تقوم منى إحدى فتيات هذه القرية بدور الراوي لهذه الرواية، هي فتاة مرهفة الحس، رقيقة الشعور، حيث من خلالها نتعرف إلى باقي وجوه الرواية وشخصياتها.

ها هي تعود بذاكرتها إلى أيام طوتها الذاكرة بين ثناياها:

"أفكر في أولئك الأحباء الذين عاشوا معي فترة من العمر"[1]

"وتعودني وجوههم، تتزحلق بكل العواطف والآلام التي عشناها"[2] أذكر مرسال "تلك الصديقة اللطيفة الودودة تحب الحياة وتحمل الربيع أينما حلت، ذات ضحكة مشرقة وجميلة، وراجي ذلك الطيف الذي عاش في قلب مرسال»[3]. في هذه الأجواء الهادئة والذي يسير الزمن فيها بشكل بطيء، يعيش الأفراد حالة من الإحباط الثقافي، والرضوخ لعادات وتقاليد بالية وتجاوب بطيء لكل ما يدور من حولهم من تطورات حديثة إذ كانت الأحلام الأحلام الوسيلة الوحيدة للهروب من أسوار عالية من الجهل والتخلف، ضُربت حول القرية وسكانها، وجدت منى بهذه الأحلام أجمل أوقات حياتها، ففيها تستطيع أن تطير وتحلق عاليا وتحقق ما تريد ولطالما اصطنعت النوم كي لا تستيقظ من أحلامها ففيها أطير من قفصي الأرضي، وأحلق في أجواء دنيا بعيدة «فقد كانت آفاق القرية تحد أحلامي وأفكاري»[4]، وتقاليدها القاسية تضرب أسواراً منيعة حول أفعالي، فأسير كما يشاؤون، وأفعل ما يريدون»[5].

1 ـ إميلي نصر الله، طيور أيلول، نوفل، بيروت، الطبعة 14، ص 11.
2 ـ م.ن.، ص 14.
3 ـ م.ن.، ص 15.
4 ـ م.ن.، ص 17.
5 ـ م.ن.، ص 17.

«وتحسست ثورة عتية تجتاح كياني»[1]

فها هي تسعى جاهدة لتحقيق أحلامها إلى من خيال إلى واقع حيث بدأت بالسعي جاهدة لتحقيق أحلامها وذاتها، فهي حرمت من حقوقها بالتعليم في ظل ظروف حياتية قاهرة، اتصفت بالفقر والجهل، فالعلم كان من نصيب الذكور الذين يذهبون إلى مدارسهم، في حين هو حلم بعيد للفتاة. كانت الفكرة السائدة في أجواء تلك القرية «علموها بتخسروها»[2]. فها هي تتحدث عن أخيها بتحسر «لماذ سمحوا له بأن يطير هكذا؟ ومن دون سؤال»[3].

ولطالما همست في أذنه «ليتني معك يا أخي»[4].

وكانت نظرتها إيجابية في الحياة، ورؤيتها تحررية للذات، ما جعلها عنصراً مساعداً وإيجابياً في محيطها، فها هي تساعد صديقتها مرسال بتغيير نظرتها إلى الحياة، تعلمها عن الثورة، القوة، والتحرر من التقاليد وجهل المجتمع وأناسه.

«أشعر بحاجة إلى العناء والجهد لأعيد إليها حرارة الحياة مثلي»[5].

فقد كنت مجدّة، مثابرة، غير مترددة، أحب قراءة الكتب أعتمد على ذاتي في سبيل تحقيق حريتي ونظرتي المتفهمة لكافة الأمور. كان حبي الكبير للعلم والمعرفة، مصدر قوتي في تحقيق أحلامي، وكسر القيود التي تكبل معصمي، «كان الحب مصدر قوتي التي تعجبك... إنما كنا نختلف في أسلوب الحب يا مرسال، «فحبي لحريتي ووجودي وانطلاقي نحو المستقبل هو الحب الذي أسعى إليه»[6].

وكان لعائلتها المتفهمة والحانية خير دور في انطلاقتها بمفاهيمها نحو الحرية «أمي الطيبة الحلوة» والتي لاتزال تعطيني دروساًفي الحب والحياة «إنها مرصوفة طبقات طبقات لتؤلف هذا الكيان، هذه الأنا»[7].

وأبي «نظراته القاسية، المستقرة، إلى الوجود والإنسان وإلى ابنته بنوع خاص»[8]، هو مثقف ومتعلم «عاد إلى نظرياته وقوانينه وفلسفته في المجتمع، والتربية، وعلاقة الفتاة بالشاب ودور كل منهما بالحياة»[9]. سوية، وذلك من «خلال النماذج السلوكية التي تقدمها لأفرادها،

1 ـ م.ن.، ص 17.

2 ـ م.ن.، ص 19.

3 ـ م.ن.، ص 17.

4 ـ م.ن.، ص 20.

5 ـ إميلي نصر الله، م.س.، ص 22.

6 ـ م.ن.، ص 24.

7 ـ م.ن.، ص 29.

8 ـ م.ن.، ص 27.

9 ـ م.ن.، ص 27.

فأنماط السلوك والتفاعلات التي تدور داخل الأسرة هي النماذج التي تؤثر سلباً أو إيجاباً في تربية أبنائها»[1].

ولم تتوقف الشخصيات من إثراء الرواية مفاهيم، وأبعاداً جديدة، فهي تنقلنا عبر الزمن الى أيام عاشها المجتمع اللبناني تحت وطأة الجهل والتخلف، فلمريم قصة جديدة من القصص التي عايشها سكان القرية، وتسلوّا بها لعدة أشهر «فواز يحب مريم...»[2] ، «مريم بتحبو... حب؟... كلب متل هاد بيعرف يحب كل عمره عايش بالزقاقات ... كيف بيسترجي يرفع بصره لوجه مريم؟»[3]. عاش فواز متشرداً فقد كانت الوحدة التي عايشها مريرة وقاسية، وأمام رفض الأهل لوجوده في حياة ابنتهم، كانت رصاصة واحدة كافية لتستقر في جسد مريم، «ماتت مريم، قتلها فواز»[4]، كما قتلتها من قبله عادات بالية. كلمات قليلة كانت الخاتمة لحكاية حب جميلة وبريئة.

ولم تنس منى الحديث عن «نجلا» تلك الجميلة التي تفتح الحب البريء الطاهر، في صدرها، كما تتفتح البراعم على الغصون الخضراء، حيث اختار كمال صديق أخيها ليشاركها، قصة حب، مفعمة بالحب والشقاء. كيف لا وهي لاتستطيع البوح به، «فقد أوقعها القدر في براثنه، في أبغض المحرمات في مفهوم القرية. كيف يتحمل أهلها الفضيحة، ابنتهم تحب شاباً من غير مذهبها»[5]. فنجلا الضعيفة، الخاضعة، تحت السلطة الأبوية والدينية لن تستطيع أن تقاوم أو تتمرد أو حتى تتحرك، حيث رأت نفسها تستسلم بلا إرادة، وكأنها ريشة في وسط عاصفة هوجاء. فها هو مصيرها يحاك على يدي أمها، وأم سليم، واللواتي قررن تزويجها من سليم، على الرغم من عدة محاولات بائسة منها، فالسبب في رفض الحبيب لم يكن منطقياً، «كان أفكاراً جامدة، متحدرة، من بقايا الأجيال الماضية «[6]، «بقدر تحول أخوها المحب، ذو النظرات الحانية، إلى إنسان آخر في نظراته قسوة أجيال بعيدة»[7]، سوف تنسحب كالطيف من درب حبيبها إرضاء للجميع إلا ذاتها وكيانها، حتى أمها «ثارت ممزقة ثيابها نابشةً شعرها حتى تملك الفتاة رعب قاتل... مرددة كما تشاؤون يا أمي. ما تعودت أن أخرج على خاطركم»[8].

---

1 ـ صالح محمد أبو جادو، 2002، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، عمان، دار الميسرة للنشرو التوزيع، ص 17-20.
2 ـ إميلي نصر الله، م.س.، ص 32.
3 ـ م.ن.، ص 33.
4 ـ إميلي نصر الله، م.س.، ص 37.
5 ـ م.ن.، ص 130.
6 ـ م.ن.، ص 131.
7 ـ م.ن.، ص 131.
8 ـ م.ن.، ص 135.

وكان لموت الجدة الكثير من الحزن، الذي لف كياني، فمع غيابها غاب الحب الدافئ، والحنان الذي ارتفع مع طائر وحيد، لتحط معه على شراع أبيض يعبر الآفاق البعيدة.

«حيث اندحرت الحياة، وبسط الموت أجنحته القوية»[1].

فها هي مريم تموت، والجدة تموت، ويخيم الحزن على أجواء القرية، حيث كانت نعيمة الندابة» تنقل عينيها ببراعة وخبرة، بين النساء، تنتقي منهن العاطفيات وتندب موتاهن، فتقضي بذلك على رتابة الجو»[2].

هذه اللوحة ما زالت تعيش وبكل تفاصيلها، في كيان منى «حتى الساعة تعود أصداء النوح تزمجر في أذني، مخترقة جدران الصمت الزمني الرهيب»[3]. وزاد الحزن على مرسال بهجر الحبيب الديار حيث كان صوته يتلكأ: «مرسال، إن حدود القرية تضغط على أعصابي، تكاد تقتلني... أوصيك بالشجاعة. إن الحياة تدعوك لتتقدمي، وتغرفي من كنوزها الكبيرة»[4].

وكانت صفة التعاون والحب تسود أجواء القرية فهم كأسرة كبيرة تتعاون، تحب، تكره، دائماً معاً في الأجواء. أما منى فكانت تحلق عالياً «إلى عالم خلقته، وبيدي بنيت جدرانه، وأقمت فيه جنة سعادتي»[5]، «حيث عيناي شاردتان إلى آفاق بعيدة عن حدود القرية»[6].

غادر الشبان القرية بحثاً عن مستقبل، عاشت الفتيات أحلامًا وردية، فمنهن العاشقة، والمنتظرة، والمستسلمة، لمصيرها، والأمهات الحانيات، المجدات بأعمالهن داخل البيت وخارجه، أما الرجال فكانوا يعملون بجد مع الأرض التي يسقونها حبًا وعطاء حتى وكأنهم يصلون شرايينهم بعروق تربتها الخيرة. لقد كان حب الأرض عندهم فطرياً قوياً، صامداً في وجه العواصف وها هو أبو راجي يعتبر هجرة ابنه نوعًا من الخيانة لأرض طالما أحبته وأسعدته بخيراتها، لكنه ومع الكثيرين من جيله، تجرأوا على قطع حبال الوصل، ومارسوا التحلق عالياً ولربما الكاتبة أرادت أن تطرح مشكلة الهجرة أمام المجتمع، علها تكون اللبنة الأولى نحو تطوير المجتمع الذي ما زال يعيش في غياهب الجهل والظلمات. فالإنسان يعيش مغلوباً على أمره في صراع الحياة، ضمن الإطار الضيق بين ذرات التراب المحترق، يدفعه ضيق العيش ليشق سبله إلى العلياء.

وهذا ما شعرت به منى، عندما قررت ترك الضيعة والانتقال إلى المدينة، التي طالما حلمت بها، فها هي تصفها بعد أن عايشتها عن قرب مطلقة عليها صفات لطالما صدمت فيها،

---

1 ـ م.ن.، ص 39.

2 ـ إميلي نصر الله، م.س.، ص 42.

3 ـ م.ن.، ص 43.

4 ـ م.ن.، ص 45.

5 ـ م.ن.، ص 45.

6 ـ م.ن.، ص 56.

«بدت المدينة كالحوت الجائع، يفتح فمه ويغلقه، وبين الفتح والإغلاق، يدخل الناس ويخرجون، وقد علت وجوههم إمارات الذعر»[1].

«وكنت ألمح من حين لآخر أشلاء بقاياهم وقد غارت تحت قناع كثيف...»[2].

«الوحدة تنهش قلبي... شرعت الباب وخرجت إلى العاصفة... أجل يا أبي كنت أبحث عن الغد»[3].

يظهر لنا واضحاً وجهة نظرها للمدينة بعد أن وطئتها قدماها. فقد كانت حلماً للتحرر من قرية تهالكت، من رضوخها لعادات وتقاليد بالية، حيث العلاقات الاجتماعية، والتناقضات التصادمية، والممارسات التعسفية، بحق المرأة وحقوقها وتوقها للحرية، جعل المدينة وحياتها، تزحف إلى أعماقها شيئاً فشيئاً، حتى باتت تسلبها كل ذاتها وكيانها، ها هي وحيدة تلمح الخوف والمجهول وسط مدينة كبيرة، طوقتها بأسوار الأسى، والنقمة.

ماذا حدث؟ أليست هذه هي الحياة التي تشدوها، أم إن الحنين إلى الأهل والأرض بات يلاحقها أينما حلت.

لقد ظهرت المدينة بوجه غير الذي كانت تحلم به، «الوحدة تنهش قلبي»[4].

«اللحظات تموت في المدينة»[5].

لقد أصبحت المدينة بالنسبة إلى منى كالحجرة المظلمة، وهي كالنقطة السوداء الضائعة.

وكان العلم هو الدافع الوحيد، للهروب من القرية، «أجل يا أبي، كنت أبحث عن الغد، بحثت عنه دائماً، بقلق، وحيرة، وكان ذلك دافعي لأخرج إلى العاصفة، لعلها ترفعني في ذروة عنفها، وتحلق بي إلى البعيد»[6] ومع كل ما اغترفته من علم، ونجاحات متتالية إلا أنها ما زالت تود أن تنام بين ذراعيين حانيين عليها، ولو أنها تعود إلى لحظة من لحظات الطفولة لتستشعر الدفء والاستكانة في حضن أمها، أو أن تسير فوق التراب الدافئ في حقل يجاور بيتها، إنه الشوق أو الحنين الذي يرافق كل من ابتعد عن الأرض والأحبة، «فسرعان ما أصبح الكتاب رفيقاً خاملاً، مات الإشراق في عيني»[7]. حتى أن الغد كان كسحابة تائهة في سماء حياتها.

«وبت كرة طائرة بين مدينة تمسخني، وقرية تنكرني»[8].

1 ـ إميلي نصر الله، م.س.، ص 83.

2 ـ م.ن.، ص 84.

3 ـ م.ن.، ص 85.

4 ـ م.ن.، ص 84.

5 ـ م.ن.، ص 84.

6 ـ م.ن.، ص 85.

7 ـ إميلي نصر الله، م.س.، ص 204.

8 ـ م.ن.، ص 204.

فبعدها عن قريتها وناسها، جعل منها اسمًا منسيًّا، من سجلات قرية بعيدة وادعة، كحذفها لكثير من أسماء أناس غادروها، متناسيين أمًّا ثكلى أغدقت عليهم الكثير والكثير ليحيوا، كمرسال وراجي وكمال وسواهم.

هذه هي البيوت التي عاشت في قلب منى، وتغذت في أضلعها.

ثمة تبادلية تحكم إيقاع الرواية، تتمظهر في ثنائيات لاحقة، الرجل والمرأة، الموت والحياة، الحب والكراهية، القرية في مقابل المدينة، اندحار الحياة ليبسط الموت أجنحته القوية. هي رواية الشرق حينما يستسلم للعاطفة ويدور في محرابها ناسياً كيانه ومنطقه وتفكيره.

وهذا ما يجعلها تنطوي وفق تلك المقاربات على استعادة لحظات هاربة وتسجيل ذكريات وصور حلوة، لكأنها تستبطن سرداً ذاتياً مقنعاً، فمنى «الساردة» هي إميلي: «أنا منى في هذه القصة ولدت وعشت صباي في قرية صغيرة، تنفست حياة القرية نسمة، نسمة،» ثمة ما يماهي بين اللعبة الروائية، والجهر بشهادة على زمن ما، منى الباحثة عن الغد تستظهر دفاع الأنثى عن ذاتها، هل هي لغة الضعف؟! لتتوق إلى الحرية وتتحسّس وجودها المستقل إلى الانفلات مع ذاتها المنفصلة عن الجميع، ولتدفع الصراع إلى ذروته «المدينة تمسخني والقرية تنكرني» فالغد أكبر من الحاضر والحلم أعظم من الواقع، ولهذا تمتلك طيور أيلول حساسيتها وخصوصيتها، ليس لجهة الأسلوب واللغة والرهان على جماليات المكان «القرية» فحسب، وإنما لجهة نزوعها الرومانسي، وأبعاد واقعيتها الفنية، وأمثولتها في المشهد العربي المعاصر، وإثارتها لقضية الحدود التي يمكن أن تقوم بين فن الرواية وفن السيرة أوالمذكرات، ومدى ما يستفيده الروائي/الروائية من استعارة الأحداث الواقعية وحياة بشر حقيقيين في محراب النقد.

## الزمان والمكان في طيور أيلول

### – الزمن وتقنياته:

إنّ الرواية غالباً ما تُعنى بتحديد زمن متنها، سواء أكان ذلك تصريحاً أم تلميحاً، بغرض تأطير أحداثها من جهة، والإيهام بواقعيتها من جهة ثانية، وإحداث أثر نفسي وجمالي ولا سيّما في الروايات التي يشكّل فيها الزمن وانعكاساته وإحالاته الاجتماعية والسياسية ثيمة رئيسة.

ويمكن تصنيف رواية «طيور أيلول» ودراستها زمنيّاً تبعا لنسقها الزمني الصاعد، أو نسقها الزمني المتقطّع، أو نسقها الزمني الهابط.

– النسق الزمني الصّاعد: يعرض لنا هذا النسق بداية زمن الحكاية، ثم تتتابع الأحداث فيه تتابعا زمنيا (كرونولوجياً) كما تتتابع الجمل على الورق؛

– أما النسق الزمني المتقطّع: يهتم بعرض فترة ما من زمن الحكاية الراهن، ثم تتوالى الأحداث

فيه متقطّعة بتقطّع أزمنتها عبر سيرها الهابط من الحاضر إلى الماضي، أو الصاعد من الحاضر إلى المستقبل. ونجد أمثلته حاضرة في "طيور أيلول". ويتم تخطيب هذا الزمن عبر تقنية الاسترجاع في المقام الأول، التي تقوم على التذكّر والتداعيات والانتقال من اللحظة الراهنة إلى الماضي. وتسهم هذه التقنية في إضاءة الشخصيّة من الداخل وملء الفجوات التي تثريها وتعمّق دلالتها، كما تشدّ الانتباه وتكسر رتابة السرد.

فيما يبدو الاسترجاع تقنية أثيرة لدى الراوي في استعادة صور الماضي سواء أكانت ذكريات، أم أحداثاً، أم شخصيات: "كان حدثاً غير عادي أن صار في ضيعتنا سيّارة. لم نفكّر في نوعها، شكلها، أو لونها، يكفي أنها تمشي على دواليب"، ويتم تخطيب هذا الزمن التاريخي عبر تقنيات الاستباق والاسترجاع التي تكسر تتابعه ليغدو زمناً متعدّد الأبعاد يتداخل فيه الحاضر بالماضي، والمعيش بالمتذكّر في اللحظة نفسها. وهذا اللعب بالزمن يسرّع وتيرة السرد ويحرّره من رتابته، ويحفّز المتلقي على الانتباه عند الانتقال من مسافة سردية إلى أخرى.

إن ذكر سنوات بعينها لم يأت اعتباطاً، إنما جاء ليشير إلى مفصليتها وأهميتها في حياة الراوي، وحياة مجتمعه وجيله. وهي سنوات ارتبطت بالهزائم والخيبات والأحلام أيضاً. وهذا ما يجعل من زمن الرواية زمناً دramياً يخفي في طياته أشكالاً متعدّدة من الصراع في الداخل والخارج تنعكس على أبطال الرواية عبر مواجهتهم لأنفسهم وشروط حياتهم القاسية في مجتمع متحوّل تتناهبه آمال ومصالح وتيارات عدّة.

إنّ روايات هذا النسق غالبا ما تحاول التجريب والمغامرة على مستوى التعامل مع الزمن، وتراهن على قارئ نوعي يعيد ترتيب مفارقات زمن الخطاب فيها من خلال الخيط الرفيع الذي يربط ما بين الأحداث وفواعلها. كما تتحرّر من ترسيمة الحبكة التقليدية، فتبدأ من نقطة ما قد تكون في الوسط أو البداية أو النهاية ثم تناور زمنياً عبرها ما بين الأزمنة الثلاثة في المشهد الواحد أو حتى في العبارة الواحدة أحياناً.

وليست التصنيف ووضع الحدود بين نسق زمني وآخر، فهذه الأنساق تتداخل أحياناً في العمل الواحد إلى الحدّ الذي يصعب فيه الفصل ما بينها. إنّما الغاية مقاربة أشكال اشتغال الرواية على الزمن وتقنياته، ومعرفة المستوى الفنّي الذي بلغته في هذا المجال.. ويبدو لنا أن نسق الزمن المتقطّع يكاد يهيمن على مجمل التجارب الإبداعية الجديدة التي تتوخّى التجريب وكسر المألوف، فيما يتراجع نسق الزمن الصاعد الذي لازم الرواية التقليدية على وجه الخصوص، وما يزال النسق الزمني الهابط يحافظ على موقعه بين هذين النمطين بوصفه تقنية للتشويق، وعنصراً بنائياً في الحبكة الروائية القائمة على الحكاية أولاً وأخيراً.

هذه الرواية، إلى جانب روعة صورها الفنية، وثراءها التعبيري، والبلاغي والتصويري، واللغوي، إلى جانب كل ذلك، فإنها تمثّل في إحدى جوانبها دراسة اجتماعية لعادات وتقاليد أهل تلك

القرية، فهي تمسّ وببراعة عالم النفس الإنسانية بكل طموحاتها المؤجلة والمعجلة، وبكل أمانيها المقهورة والمبتورة، وبكل معاناتها التي وكما هي بقعة سوداء في حياة بطلة إميلي، هي إلى ذلك بقعة ضوء أكسبت تلك الرواية سمة الواقعية، وأغنت عالم الرواية بالكثير من التجارب الإنسانية:

"في تلك الصبيحة الهادئة لبثت في فراشي"[1]

"كنت أصطنع النوم كيلا توقظني أمي من أحلامي، هذه اللحظات المختصرة هي أسعد أوقات نهاري، ففيها أطير من قفصي الأرضي، وأحلق في أجواء دنيا بعيدة... كانت آفاق القرية تحد من أحلامي وأفكاري"[2]

"لماذا سمحوا لأخي بأن يطير؟"[3]

"لماذا أبقى أنا بين هذه الجدران الضيقة؟ أدوس أحلامي..."[4]

تعرض لنا إميلي مشهداً كاملاً بين الزمان والمكان، مع صورة واضحة لما يجول في أغوار النفس البشرية. حيث تهدف في ذلك إلى تهدئة الحركة السردية الصاخبة في النص.

و "التخفيف من حدة الأحداث القهرية من خلال بث صورة بصرية تتسم بالرومانسية.... ما إن تقع العين عليها حتى تستشعر الهدوء والسكينة"[5].

وما استخدامها للطير إلا دلالة بالسعي نحو الحرية، والتحليق عالياً بعيداً عن القيود. حيث استطاعت البطلة الانتقال عبر الأحلام إلى أماكن تبغيها الذات، فبالأحلام لا وجود للمستحيلات. فالطيران نحو مكان بعيد صعب المنال هو دليل على اللامحدودية للمكانة التي تسعى إليها، حيث تتحرك كيفما تشاء من دون الاصطدام بحواجز وعقبات ناتجة من الوسط الخارجي، التي من الصعب على الفرد أن يقهرها في العالم الواقعي.

وما قولها «أطير من قفصي الأرضي»[6] إلا ثورة عميقة تجتاحها بكل كيانها. فحركة الطير، تصور لنا البعد المسافي للمكان، اتساعاً، وارتفاعاً، وتحليقاً، وما التحليق إلا رمز الحرية، والأنا الأعلى بما تنضوي عليه من مثالية وأهداف نبيلة، حيث السفر إلى السماء مقر الآلهة.

تدور أحداث هذه الرواية في قرية من قرى لبنان الجنوبية، والتي هي صورة حية، ومطابقة لأغلب القرى الفقيرة الموجودة في لبنان. التي عانت، ولا تزال تعاني من القيود الإجتماعية والجهل والحروب المتتالية، وآثارها الواضحة على الفرد والمكان.

---

1 ـ إميلي نصر الله: طيور أيلول، دار نوفل، الطبعة الرابعة عشرة، 2012، بيروت، ص 17.

2 ـ إميلي نصر الله: م.س.، ص 17.

3 ـ م.س.، ص 17.

4 ـ م.س.، ص 18.

5 ـ مصطفى الضبع: م.س.، ص 119.

6 ـ إميلي نصر الله: م.س.، ص 17.

«تتطلع صوب الكروم»[1]

«علقت عيناها بالدوالي المجاورة»[2]

«وتابعت العبث بالعناقيد الدانية... وارتفعت حرارة الشمس تصلي وجودي وتزيد تشبثي بالتربة الحارة»[3]. نلاحظ دلالة الصورة المستوحاة من المكان فالسياق المكاني والوصفي له الدور الكبير في تحليل لشخصية البطلة. فالكلمات «تتطلع، علقت، تابعت...» تدلنا على مدى الإرتباط الوثيق بين البطلة والأرض الخيرة على الزمن المستمر المتتابع منذ وجود الشمس التي تزيد التشبث بالأرض من الماضي إلى الحاضر فالمستقبل.

ولكن «يبقى طعم الهجر على ألسنة السكان»[4] وأرادت الكاتبة أن توضح بكلمة يبقى أن الهجرة عن هذه القرية الوادعة ما زالت قائمة منذ القدم حتى اللحظة التي ستستمر أيضاً صوب المستقبل حيث «يصبّون النقمة على القرية الصغيرة الوادعة»[5].

فالأزمان في هذه القرية رتيبة غير مجدية والأماكن ثابتة غير متحركة، هذه العبارات وضعتنا أمام الحدث المراد إعلانه ألا وهو: رغم حب الأرض والتعلق بها مازال الإنسان يبحث عن المستقبل، والسير نحو الأمام، والهجرة صوب الأفضل.

وفي عبارة «كلما صفقت قدماي فوق أرصفة الإسفلت المائع، في شوارع المدينة، يزداد قرع الطبول في أذني... طبول غربتي الدائمة... وأمضي في ترنحي، أبحث عن وجه من الماضي، يشق سبيله في أمواج الوجوه المتدفقة بين المساكن الكبيرة الضيقة، حيث تصغر الأحجام البشرية»[6].

إن عبارة طبول غربتي الدائمة هي استمرار الزمن من الماضي إلى الحاضر والمستقبل. وما الطبول إلا رمز الثورة الدائمة. ثورة على مجتمع تعايشه، مليء منذ الماضي بعادات بالية تحد من طموح الأفراد، فتقيد حركتهم، ووجودهم،حتى وكلامهم فالأشياء لا تزال كما هي فالقرية «لا تحفل كثيراً بمرور الأيام. إن الزمن ينزلق على صخورها الصلدة...»[7].

ومع هذا: الحنين إلى الماضي كان يلازم مريم، ربما تبحث عن بساطة العيش والطيبة في وجوه أفرادها، هذا الحنين جعلها تعيد زمن الماضي بالحاضر المعاش، علها تحظى لو بقليل من الاطمئنان والراحة «بقيت أقود خطاي نحو تلك النيران، أكومها بيدي، أحترق

1 ـ م.ن.، ص 20.

2 ـ إميلي نصر الله: م.ن.، ص 21.

3 ـ م.ن.، ص 24.

4 ـ إميلي نصر الله، م.س.، ص 9.

5 ـ م.ن.، ص 10.

6 ـ م.ن.، ص 25.

7 ـ م.ن.، ص 25.

بألسنتها، على صور وجه أليف ينير عالمي الموحش»[1].

وتظهر لنا الصورة الفنية بوصفنا متلقين حدود الرؤيا للمكان بعناصرها الفيزيائية، إلى المشاركة الوجدانية، وهو ما يؤكد لنا «أن الصورة الفنية لا تثير في ذهن المتلقي صوراً بصرية فحسب، بل تثير صوراً لها صلة بكل الإحساسات الممكنة التي يتكون منها نسيج الإدراك الإنساني ذاته»[2].

وهنا تكمن عبقرية اللغة الروائية، حيث تعطينا أبعاداً حسية في اللاوعي عند الأفراد «كنا نعيش الحياة كلها، بكل وجه من وجوهها، وكانت المشاركة أبرز تلك الوجوه»[3]، «إن حزني يتكاثف ويرغي كلما انطلق الناس في عقال الصمت، يرنمون أناشيد الحياة، ويهللون متجاهلين الزمان المتربص بهم...»[4]. كانت مريم تقف خلف النافذة، تسمع وقع خطاه فأطلت تبحث عن مصدر الصوت. فانقض عليها بقبلة نارية من فوهة مسدسه... بقيت الجثة وقتاً طويلاً ممددة في الزقاق الضيق تستحم بالدماء الحارة»[5]. وهنا يظهر التناقض بين الصفات لإبراز مدى فداحة الموقف. قبلة مسدس قاتل، تستحم | الدماء، حب | جثة، فاطلت | فانقض. فمريم العاشقة تطل من النافذة والتي ترمز إلى الحرية في الأفق البعيد، لكنها تلقت رصاصة غادرة من الحبيب الذي طالما اعتقدت أنه مصدر الحياة والحب والحرية. وها هي تموت بالزقاق الضيق، الذي يشير إلى الموت والغموض والعدم، وهذه جميعاً دلالات على تجسيد الرؤيا للرواية وبالتالي توقف الزمن والوصول إلى الفناء. ولدى توقف الزمان والمكان في الرواية نجد أن الأشخاص يقومون بالدور عينه وذلك عن طريق وصول الذات إلى النهاية. فالزمان والمكان والشخصية، تعمل باجتماعها على تكوين الصورة.

ذلك أن البيئة تحتوي الإنسان بكل تفاصيله، فهو يدخل معها في علاقة متينة، وعند قراءة الحدث تكون الصورة الحقيقية لما أراد الراوي أن تنعكس في أذهاننا. «جمدت مكاني، جمدت أناملي فوق القميص الدافئ ولبثت أحدق إلى وجهه وقد تكون وجودي في عينيه»[6]. «بقي هو جامداً في الزاوية، ونظراته تخرق ظهري وعنقي»[7].

وللحرب والوضع الاجتماعي الدور الكبير في توجيه أشخاص هذه الرواية فهم يبحثون عن حياة أفضل، في مكان آخر مع كل المساوئ التي يخلفها لدى أفراد العائلة جميعًا «أنا

---

1 ـ م.ن.، ص 25.

2 ـ جابر عصفور: م.س.، ص 314.

3 ـ إميلي نصر الله: م.س.، ص 32.

4 ـ م.ن.، ص 36.

5 ـ إميلي نصر الله: م.س.، ص 44.

6 ـ إميلي نصر الله: م.س.، ص 44.

7 ـ م.ن.، ص 45.

مسافر يا مرسال، إن هجري سيحطم قلب أبي، ولكن الواجب ينسينا العاطفة»[1].

«طويلة كانت أيام غربتنا»[2]

لقد أدخلت إميلي صفة الطول على اليوم وهو صفة دلالية على الحنين والشوق إلى الجذور فهي تتكلم على الطول مجازياً نفسياً وليس واقعياً فالزمن يسير بالغربة بشكل بطيء. بينما يكون طبيعياً أو مسرعاً حسب الصورة، والحالة النفسية المراد نقلها إلى المتلقي.

«بدت المدينة كالحوت الجائع، يفتح فمه ويغلقه، وبين الفتح والإغلاق، يدخل الناس ويخرجون، وقد علت وجوههم إمارات الذعر»[3].

هنا يظهر لدينا أن الزمن يمشي بتراتبية منذ الماضي إلى الحاضر فالمستقبل، ضمن مكان واحد وهو المدينة. التي حملت صفة الحوت الجائع.

«كنت أبحث عن المستقبل[4]، بحثت عنه دائماً بقلق وحيرة، وكان ذلك دافعي لأخرج إلى العاصفة، لعلها ترفعني في ذروة عنفها، وتحلق بي إلى البعيد»[5]

«ورفعت ساعدي في محاولة للطيران»[6]

«وراحت الألوان تنعكس على صفحتها في تجدد مستمر»[7]

فحنان تبحث دائماً عن مكان مفتوح حاملة معها دلالة الحرية، والتي هي المحور الأساسي في الرواية، فهي تبحث عن المستقبل والحياة المليئة بالشغف والتطور. وبحديث الكاتبة عن الألوان وفي غير مرة ما هي إلا دلالة على البحث الدائم عن الطمأنينة والحياة في المستقبل المجهول لأن الزمن الحاضر والماضي بات واضحاً أمامها فهو وليد الحروب والجهل والتشرذم.

فهي تحب الحياة لذلك ستبقى دائمة البحث عنها الآن وغداً. وهي كناية عن الاستمرارية.

«أحب أن أعيش يا أمي»[8]

«هربت من البيت... كنت أقوم بالمحاولة الأولى للاستقلال»[9]

---

1 - م.ن.، ص 45.
2 - م.ن.، ص 82.
3 - م.ن.، ص 83.
4 - م.ن.، ص 85.
5 - م.ن.، ص 85.
6 - م.ن.، ص 140.
7 - م.ن.، ص 140.
8 - إميلي نصر الله، م.س.، ص 136.
9 - م.ن.، 137.

«أن أغلق باب الدار خلفي»[1]

يظهر لنا واضحاً أن المكان يعكس الأحاسيس للشخصية، بل إنه أكثر من ذلك فمن الممكن «أن يقوم بدور الشخصية ذاتها، وذلك باعتباره تصويراً لغوياً يشكل معادلاً حسياً ومعنوياً للمجال الشعوري الذهني للشخصية»[2].

كما يمكن أن «يمثل المكان رمزاً من رموز الانتماء بالنسبة إلى الشخصية لا سيما إذا كان هذا المكان أليفاً في علاقته بالشخصية بحيث يحقق لديها إحساساً بالغربة، بل ينمي الإحساس بالامتلاك»[3].

وننتقل إلى اللعب بالأزمنة وفق حاجات الكاتبة لنقل الصورة المرادة للمتلقي وبشكل فني سلس:

«كانت القرية كما تركتها»[4]

«وجوههم أكدت لي الرفض أكثر من القبول»[5]

«هذه البيوت عاشت في قلبي، تغذت من أضلعي، نحتها من المرمر والرخام، وها أنا أراها غبراء ودكناء، ترتدي ثوباً من الغبار والدهان، وقد طليت جدران بعضها بالزبل والسواد»[6]، حيث يتعانق الزمان والمكان فتارة يتوقف الزمان عند «القرية» لكنه يستمر بالمسير في «أضلعي» ضمن فترة زمنية واحدة.

«وهرعت إلى السيارة... أهرب، وأعود...»[7]

«وبت كرة طائرة بين مدينة تمسخني وقرية تنكرني...»[8]

«وبطلة خائرة في حلبة الصراع»[9]

عمدت نصر الله إلى التلاعب بالأزمنة والأمكنة، مرمر ورخام | غبراء دكناء، هرعت | وأعود، فالحالة النفسية للأشخاص تنعكس من خلال نظرتها للأمكنة التي تغيرت بتوقف الزمن عندها فالعلاقة الثلاثية بين الزمان والمكان تتغير تبعاً للحالة النفسية والإيدولوجية «فضلاً عن

---

1 - م.ن.، 137.

2 - بدري عثمان: بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، ط1، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر 1998، ص 132.

3 - يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني، ترجمة سيزار قاسم دراز، «ألف» مجلة البلاغة المقارنة، القاهرة، الجامعة الأميركية، 1986، ص 82-81.

4 - إميلي نصر الله: م.س.، ص 203.

5 - م.ن.، ص 203.

6 - إميلي نصر الله: م.س.، ص 203.

7 - م.ن.، ص 204.

8 - م.ن.، ص 204.

9 - م.ن.، ص 204.

أن الدلالات النابعة من هذه الفروق يمكن أن تعبر عن رؤية شخوص الرواية للعالم وموقفهم منه، كما وقد تكشف الوضع النفسي للشخوص وحياتهم اللاشعورية، بحيث يصير للمكان بعد نفسي يسبر أغوار النفس البشرية عاكساً ما يثيره المكان من انفعال سلبي أو إيجابي في نفس الحال فيه»[1].

## الخاتمة :

عملت إميلي نصر الله على نقل صور واضحة عن المرأة التقليدية، والتي هي صور نمطية ينظر إليها كما هي تنظر إلى نفسها بأنها غير مجدية وغير مهمة في مسيرة الحياة البشرية، إنها ضحية مجتمع وتقاليد يعيش واقعًا من الاختناق الفكري والاجتماعي والذي لابد من أن يتحرر ككل وأن يقف أفراده جميعهم في وجه السلبية التي اتسمت فيها مجتمعاتنا العربية.

«ولا ريب في أنّ تقييم مستوى نجاح الأديبة في إيصال المفاهيم التي تؤمن بها إلى قلب الرأي العام، عبر تقييم مستوى دقتها في توظيف المفردات والرموز، وكذلك عبر أسلوبها المميّز في تبيين الموضوعات، بهدف الخروج بفهم مشترك أكثرو ضوحاً وانسجاماً»[2]، بديهي أنّ مثل هذا الفهم لا يتيسّر إلاّ من خلال تبيين معاني المصطلحات الخاصة بالموضوع، وضمن هذا السياق، وقد كان الطابع العام لهذه الأعمال هو القدرة الفائقة للكاتبة على معالجة موضوعات المرأة، وسبر أعماق عالمها الخاص.

فقد شنت الروائية إميلي نصر الله الهجوم العنيف في أغلب أعمالها، عبر استعراضها لمظاهر التسلّط الذي تفرضه بعض العادات والتقاليد الاجتماعية، وبأسلوب أدبي شيّق تستثير مشاعر الغضب المكنونة في أعماق القارئ ضدّ تلك التقاليد، كما تشير إميلي نصر الله إلى ذلك، إذ تطرّقت في بعض أعمالها إلى موضوع الحرب الداخلية اللبنانية وما خلّفته من مآسٍ، إذحاولت تصوير مشاهد الصراع والعنف التي انتهت إلى حالة النزاع الاجتماعي والاقتتال الداخلي، لتعبّر بذلك عن أجلى صورها المتمثّلة في رمزية التسلّط والقهر التي ميّزت الرجل في لبنان عبر التاريخ الطويل لهذا البلد.

هذه الدراسة طمحت إلى الكشف عن ملامح الكتابة النسائية، وتتبع مسارها، وإبراز علاماتها، واستخلاص خصوصيتها، والكشف عن دلالات ملامحها، سيما وأنها تعكس رؤى أصحابها، فهي تضع البطلة كدليل قوي على طبيعة الحياة الاجتماعية، والهموم الواقعة التي

---

1 ـ مصطفى الضبع: م.س.، ص 109.

2 ـ البستاني، صبحي، الأدب اللبناني الحي، بيروت، دار النهار للنشر، 1988، 28؛ مندور، محمد، في الأدب والنقد، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 22.

تحاصرها كإمرأة، كاشفة عن عدة صور عبر تنوع الإشكاليات، والصور التي عايشتها، وعملت الكاتبة جاهدة لبث روح الأمل عبر تفاعل الشخصيات مع الأحداث وعناصر الرواية. وذلك كله ضمن لغة فيها الكثير من الحيوية، والجمال، بعيداً عن الرتابة، حيث قدمت همومها عبر لغة الواقع مرتبطة ومتغلغلة في الواقع الاجتماعي، والسياسي، والذاتي. والخوض في الكثير من القضايا متناولة همومها، وفقرها، وغربتها، ووطنها، وتمردها، وثورتها، وجسدها.

وبالتالي لا بد للشمس من أن تشرق من جديد، حاملة في ثناياها الكثير من المعرفة، والإختبارات الحياتية الجديدة، والرائعة، والعمل على تطوير الذات، والقدرات وتحسين شروط الحياة، لنخرج من سجون الماضي، معانقين الحياة والأمل.

## المصادر والمراجع:


1. إميلي نصر الله: طيور أيلول، دار نوفل، الطبعة الرابعة عشرة، 2012، بيروت،
2. بثينة شعبان، 100 عام في الرواية النسوية، دار الآداب،
3. بدري عثمان: بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، ط1، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر 1998،
4. البستاني، صبحي، الأدب اللبناني الحي، بيروت، دار النهار للنشر، 1988، 28؛ مندور، محمد، في الأدب والنقد، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،
5. جان نعوم انطونيوس، صورة المومس في الأدب العربي، دار المنهل اللبناني.
6. حميد لحمداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط. 3، 2000.
7. درّاج، فيصل، نظرية الرواية العربية، بيروت المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 2002م،
8. الرشدي، فن القصة القصيرة: 97؛ عبدالسلام، فاتح، الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1999م،
9. صالح محمد أبو جادو، 2002، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، عمان، دار الميسرة للنشرو التوزيع.
10. كيب، هاميلتون، أدبيات نوين عرب، ترجمة يعقوب آژند، طهران، مطبعة اطلاعات، 1366هـ، ش: 5؛ المقدسي، أنيس، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، بيروت، دار العلم للملايين، للطبعة الثامنة، 1988،
11. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دارالعودة ، بيروت، ط.1، 1982،
12. مير صادقي، جمال، عناصر داستان، طهران، مطبعة سخن، الطبعة الثالثة، 1376هـ ش: 34-35، 173؛ الرشدي، رشاد، فن القصة القصيرة، بيروت، دار العودة، الطبعة الثالثة، 1984م،
13. يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني، ترجمة سيزار قاسم دراز، «ألف» مجلة البلاغة المقارنة، القاهرة، الجامعة الأميركية، 1986،
14. Hamon Philippe « Pour un Statut Sémiologique du Personnage Poétique du Récit EDT Seuil 1977,



## - لعبة الرحيل في أدب إميلي نصر الله

د. طلال رفيق المير
أستاذ مساعد في الأدب الحديث – الجامعة اللبنانية – الفرع الثالث طرابلس
عضو المجلس الثقافي اللبناني وعضو منتدى طرابلس الشعري
06435440-03496630

لعل التوهّج الأدبي رهين أمور عدّة، بعضها يتعلّق بالأديب وأصالته، وثقافته، ولغته، وطريقة عرضه ومدى سلطته الفنّيّة في نفوس المتلقّين، وبعضها الآخر يتعلّق بثقافة القطب الآخر –ثقافة القرّاء– الّتي تتفاوت من دولة إلى أُخرى، ومن الريف إلى المدينة، ومن بلدة إلى أُخرى، والأمرُ الثالث يتعلّق بثقافة المرحلة وما تفرزهُ من إضاءات، ولعلّ اقتراب النتاج الأدبي من الإضاءات المذكورة يسهم إسهاماً ملحوظاً في توهّج الأدب المتوافِق مع إفراز المرحلة، وفي إبرازه ورفع شأنه، وهذا عائد إلى أن بين الإنسان ومسرح وجوده علاقة احتضان، تتكثّف فيستحضرُ الإنسان طقوسيّة عذبة يغتربُ في إشعاعاتها وأبعادها فيضيع في حاضر مستثارٍ بحلم غامض ورؤيا رهينة الخوف[1].

وإذا كانت إميلي نصر الله واحدة من نساءٍ قليلاتٍ، أَعطين اهتمامًا للأدب وللقصة بشكل خاص، فإنّ قيمتها تعود إلى النقاط الآتية:

1 ـ حاولتْ أن تسلّط الضوء على المرأة، على شقائها وعلى قدراتها في الوقت نفسه، فقد ورثت الذلّ والإهانة، وعانت الكثير، لكنها أثبتت أنها على المستوى الفكري الإبداعي لا تقل عن الرجل.

---

1 ـ تُراجع: سلام زعيتر: رمزية الأرض في أدب إميلي نصر الله. (رسالة دبلوم لم تُنشر. إشراف د. خريستو نجم. الجامعة اللبنانية 2008). ص أ.

2 . حاولت التمسُّك بأصالتها الشرقية فَرَكَزت الأضواء في التراث الفكري والسياسي والأدبي والعسكري مضيئةً وجه نساءٍ رائداتٍ على جميع المستويات منهن: بلقيس وزنوبيا والخنساء وأروى الصليحية وخولة بنت الأزور وولاّدة بنت المستكفي وغيرهن[1]، وكأنها خلال حديثها عن النساء المذكورات تحاول رفع معنويات نساء بلادها مشجعةً إياهنّ على التعلّم والعطاء لإثبات قدراتهن ومواهبهن.

3 . حاولت تصوير القرية اللبنانية وما يحيط بها من فقر وشقاء وتخلّف، واضعةً الإصبع الحسّاسة على الجراح من دون خجل أو خوف.

4 . حاولت أن تسلك مسالكَ الأدب من باب القصّة، مُثبتةً للغربيين أنّ العرب قادرون على الخوض في هذا المضمار. وترى الباحثةُ سلام زعيتر أن إميلي نصر الله إذا قصّرت عن كبار القصّاصين العرب مثل محفوظ وعبد الله وعوّاد، فإنها استطاعت، من خلال النموّ التراكمي للقلق، أن تسعى وراء الحقيقة لتجعل من الغياب حضوراً، ومن المنفى خلاصاً للذات الإنسانية[2].

5 . لم تعلن إميلي نصر الله الحرب على الرجل وإنما أقامت معه فعلَ مهادنةٍ، زارعةً بذور المصالحة في البيئة الشرقيّة أمّا إذا اشتدّ التأزّم عند بعض شخصيات قصصها، فإنها كانت تتعاطف مع هذه الشخصيات، مخضعةً التوتّر لمفاصل سلامٍ، فإذا كانت "مرسال" (إحدى شخصيات قصصها) تثور وتبكي وتنسى نفسها في بحيرة من القلق[3] من جرّاء حبّها فإن إميلي كانت ترى في الحب حالَ سُكونٍ، وحبالاً سحريةً تشدُّ القلوب إلى برّ الأمان[4].

6 . إذا كنا لا نجد في أدب إميلي نصر الله أدواتٍ فنيّةً عاليةَ المستوى، وصَوْغاً متيناً كصوغ أنطون غطّاس كرم ومصطفى صادق الرافعي وأحمد فارس الشدياق، فإننا في مقابل ذلك نجد فعل تعبير، يتجاوز بُعْدَه التعبيري إلى أعماق إنسانية إشعاعية الدلالة تجعل من الدفْق الحركي فعل حياة[5].

## المنحى الحركيّ في أدب إميلي نصر الله.

بنتْ إميلي أدبها وفاقاً لجدلية "الذات" و"الحرية" من دون أن تلغي الخارج الاجتماعي والديني والتراثي، مؤمنةً بأن الثورة البنّاءة لا تكمن في الهدم والعنف والتخريب وإنما في رفض

1 ـ إميلي نصر الله: نساء رائدات، ج1، مؤسسة نوفل. بيروت. ط1، 1986.

2 ـ سلام زعيتر: المرجع السابق، ص و.

3 ـ إميلي نصر الله: طيور أيلول. مطبعة نوفل. بيروت. ط2، 1986، ص 54.

4 ـ سلام زعيتر: المرجع السابق، ص 163.

5 ـ يُراجع وجيه فانوس: محاولات في الشعري والجمالي. اتحاد الكتّاب اللبنانيين 1995. ص 10 – 11.

الثبات، وفي الابتعاد عن السكون والانغلاق وهكذا أسّست إميلي أدبها على قطب الذات الحالمة التوّاقة إلى الحركة، فالحركة حياةٌ، والرفض حياةٌ لأنّه خرق مستمر للسكون والجمود.

وحركيّة الأديب تدفعه إلى أن يرى في النبوءة حدثاً تغييرياً أو ثوريّاً فما من نبي إلا رأى في البيئة الّتي نشأ فيها جموداً وفساداً وموتاً، فكانت رسالته دعوة إلى التغيير، لكن الأديب نفسه الذي رأى في الفعل النبويّ فعل حياة، رأى في رُتوب رجال الدين نقيض ذلك كالتقوقع والانغلاق.

من هنا كان رفض إميلي نصر الله لتقوقع بعض رجال الدين وخاصة أولئك الّذين يقفون وراء أسوار حجرية تمنع عنهم النور والنسيم والحياة فيقدّمون مواعظَ مسمومةً ترى في الحبّ خطيئةً مميتة[1] في الوقت الذي ترى فيه الكاتبة إميلي في أنغام الحب أجراس فرح تُقْرَعُ في الأُذنين[2].

فهل الأدب عند إميلي يترجّح بين المفهوم الغربي للأحاسيس والمفهوم الكهنوتي الشرقي؟ وهل الحبُّ الذي يُشكّل لبَّ الأدب بات يعيش في واقع رافضٍ له؟ وهل الأديبة سوف تنسحبُ من واقعٍ تسيطر فيه التناقضات؟ وهل طبيعةُ الحياة في لبنان، الحافلة بالمفاجآت، تجعلنا نعيش في دوّامة من المفارقات؟ وهل الهرب من هذا الزمن، خيرٌ من التجذّر فيه؟ وهل شُبوبُ العاطفة سوف يغادرُ الواقع المسطّح على جناح "طيور أيلول"؟

أسئلةٌ كثيرةٌ تتطايرُ مع الرياح الخريفيّة حاملةً معها الطير[3] الشريدةَ الهائمةَ، فهل "طيور أيلول" تُشير إلى المنحى الحركي الكامن في نفس الكاتبة؟ وهل طيور الخريف تمثّل ما تبقى من أمل في خريف عمرنا؟ وهل هذه الطيور ترمز إلى المهاجرين الشبّان الّذين سعوا إلى رزقهم في بلاد الاغتراب.

إنّ اختيارَ الطائر ليكون رمزاً للمهاجر إنما يعكس لنا رغبة إميلي في الاغتراب، مع العلم بأنّ الاغتراب الذي فرّق بين الحبيبين، زاد القلق عند كلٍّ منهما[4] لكنّ الرضى بقي سيّد الموقف[5].

والطائر ليس رمزاً للأمل فقط وإنما هو تعبير عن حركيّةٍ كثيفة في أعماق الكاتبة ولربما كانت الطيور تمثّل المهاجرين الذكور في حينٍ تكونُ فيه الفراشات الملوّنةُ الأنيقةُ تمثّلُ الفتياتِ المهاجرات ولا ندري إن كانت الكاتبة إميلي تحب الاغتراب رفضاً للجمود أو تحقيقاً للمنحى

---

1 ـ إميلي نصر الله: طيور أيلول. ص 28.

2 ـ إميلي نصر الله: محطات الرحيل. مؤسسة نوفل. ط2. 1997. ص 104.

3 ـ الطير هي جماعة الطير، مفردها طائر ويُجمع الطائر على صيغة طير وأطيار وطيور. (يُراجع لسان العرب والمعجم الوسيط والقاموس المحيط: مادّة: طير).

4 ـ عودة إلى طيور أيلول. ص 54 وما بعدها.

5 ـ المرجع نفسه. ص 181.

الحركي الذي يمثل لبّ الحياة، وقد تكون متوافقةً مع صادق جلال العظم الذي يرفض كل ما يتعلّق بالساحة العربيّة والذي يرى أنّ العقل العربي السائد ينقسم بين عبودية خضوع وجبروت إخضاع[1]، وما يؤكّد هذا القول ما صرّحت به إميلي في بُداءة القصة "إن هذه الطيور المهاجرة تسجّل نقطة جديدة في دائرة الزمن"[2] فماذا يريد جيل التحرّك هذا؟ أيريد تخطي الجدب والجفاف والخراب؟ وهل يريد بناء قصور لا تتسع إلاّ لذوي الأحلام؟

إنّ جيل الطيور هذا هو جيل الأدباء الّذين لم يتمكّنوا من التجانس والانسجام يكتبون خطايا التاريخ بأجنحتهم لأنّ الأوائل لم يتمكّنوا من قول كلّ شيء[3] فإذا اقتحموا التاريخ فعليهم الانتقال من مرحلة التجانس مع المجتمع إلى مرحلة التنافر المستمرّ[4] فلا بدّ من إيجاد زورق، يحمل أبناءنا وآمالهم الفتيّة إلى أرض المهجر الزاخرة بالحياة[5] لأنّ "الحظيرة البشرية"[6] في شرقنا بدأت تعاني الاختناق فكان الهربُ الأوّل لدى إميلي على لسان إحدى شخصيات قصصها من الغرفة المظلمة إلى الطريق ثم إلى كرم الزيتون[7]، حيث بدأت مسيرة رومنسية لطيفة المعالم ظهر فيها الحب أنشودة تواكب الطيور الشريدة وأغصان الزيتون وحصى الحقول[8] وترتاح إميلي لطبيعة القرية المتجدّدة باستمرار، فهي تعيش حكايات الحب في معظم فصولها ولكنها تأبى أن تسمع أخبار الحب المذكور[9]. وهذه الازدواجية دفعت إميلي إلى الهجرة من قريتها "الكفير" أو كما تدعوها الكاتبة "جورة السنديان" إلى المدينة الكبيرة "بيروت" محققةً القفزة الثانية، وكانت هذه القفزة حينها حدثاً كبيراً. كانت الموسيقى "تصدح وكان الجيران يصرخون ويقهقهون خلف النوافذ المغلقة وكان الزمان يتحرك من دون كلال، حيث ترصد حركته عقارب الساعة فوق الطاولة[10]. وتحس إميلي فُجاءةً أنّها قطعةٌ جاقّةٌ تشبه بعض محتويات المنزل، وقد تحسّ حيناً آخر أنّها غدت حلقة من حلقات الزمن ففقدت الإحساس بالاعتزاز الذي كانت تشعر به بين أشجار قريتها "جورة السنديان" حيث كانت "الإيحائية" تتغلب على الجمود داخل البناء الاجتماعي الهش. ثمّ ما لبثت أن وجدت نفسها أنثى ضائعة بين النساء الضائعات، فإذا حانت لحظة الإبداع، حال دون ذلك رِتاجٌ من ظلام الحضارة وسخافة السنين. وهنا يمكن القول إنّ

---

1 ـ صادق جلال العظم: ذهنية التحريم. رياض الريس. لندن. ط1. 1992. ص 130.
2 ـ إميلي نصر الله: طيور أيلول. ص 7.
3 ـ يُراجع عبدالله العلايلي: تاريخ الحسين. دار الجديد. بيروت. ط2. 1994. ص 13.
4 ـ المرجع نفسه. ص 35.
5 ـ إميلي نصر الله: طيور أيلول. ص 12.
6 ـ المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
7 ـ المرجع السابق، ص 27.
8 ـ المرجع نفسه، ص 27 و28.
9 ـ المرجع نفسه، ص 31.
10 ـ المرجع نفسه، ص 51 وما بعدها.

الحركة النقلية من الريف إلى المدينة لم تثمر.

هذا الفشل أدى إلى ولادةِ آليةٍ دفاعيّةٍ تحمل استنكاراً للفعل الخاطئ الذي قامت به؛ وهذه الآلية تتجلّى في العودة إلى القرية، لتتواصل مع الطبيعة من جديد، لكن القرية ظهرت ساكنةً مشبعةً بالبرود؛ تلاشت فيها أحلام الماضي، فحاولت الكاتبة إيقاظ الطبيعة من سباتها، فالبيت الذي تحولت غرفُهُ إلى سجون تحبس الرغبات[1] دفع بالكاتبة إلى اعتماد آلية "التسامي" في تصنيف الغرائز وبعض الظواهر الطبيعية، فإذا تعرّت "محاسن" إحدى شخصيات قصص إميلي في شرفة منزلها[2]، فإنّ علاقة نورانية سوف تقوم بين محاسن والإلهة "الشمس" الّتي كانت مقدّسة في الأزمنة القديمة، وأشعة الشمس هي الّتي تقوم بالتواصل المطلوب، وهنا يمكن القول إن الكاتبة أضفت شيئاً من الطهارة على العلاقة النورانيّة[3]، لأنّ الشمس ترمز إلى النور الأسمى[4]؛ فقد عُبدت مع بعض الكواكب والأجرام السماوية عند شعوب الشرق الأوسط في الأزمان الغابرة؛ والمعروف أنّ الحضارة الفارسية أفرزت احتراماً للنور حتّى إنها جعلت له إلهاً "أهورمازدا" وقد نجد تأليهاً ضمنيّاً للشمس في العهد القديم، حيثُ ترجع كل الأشياء إليها:

"تَزُولُ الحياةُ، زوالَ الغمامِ
تَبَدّدُ مثلَ ضبابٍ يُساقُ إلى الشمسِ
يسقطُ في حرِّها"[5]

هكذا انتقلت إميلي مع شخصياتها إلى عالم الإشراق والضياء أو إلى العالم الأسمى حيث يشيع الرضى والجمال، وهذا ما أحسَّهُ المصريون القدماء:

"أنتَ تشرقُ.. أنتَ تضيء.. أنت تملأ السماء
بالنور.. أنت ملكُ السماءِ المتوّجُ.. وإذ تهبط من قبّتها
تستقبلك بالرضى أرض الغروب"[6].

من هنا يمكنُ القول: إنّ إميلي انتقلت من التبعية العمياء، والطقوسيّة الموروثة، والمرتبة الترابية الفانية، إلى مرتبة النور الإلهي الخالد[7] حيث يسود عالم المثل والأحلام.

والقفزة الأخيرة الّتي حققتها الكاتبة، هي القفزةُ الهُمّى[8] وهي تتمثّل بالانتقال من الشرق

---

1 ـ إميلي نصر الله: محطات الرحيل. ص 238.

2 ـ إميلي نصر الله: المرأة في 17 قصة. مؤسسة نوفل. ط1. 1984. ص 64.

3 ـ سلام زعيتر: المرجع السابق، ص 241.

4 ـ جيلبير دوران: الانتربولوجيا. تر مصباح الصمد. المؤسسة الجامعية. ط3. 1991. ص 126.

5 ـ الكتاب المقدّس. أنا الألف والياء. داء المشرق 1989. سفر الحكمة (2/4).

6 ـ يُراجع شفيق مقّار: قراءة سياسية للتوراة. منشورات رياض الريس. لندن 1987. ص 136-135.

7 ـ سلام زعيتر: المرجع السابق. ص 333.

8 ـ الهمّى: هي مؤنث أفعل التفضيل: «أهم» وقد ورد هذا النعت مؤنثاً ليتوافق مع القفزة.

ومآسيه إلى الغرب المتطوّر والمزدهر، فهل لقي الغرب ارتياحاً لدى مشاعر الأديبة؟ وهل ارتاحت الأديبة للمواجهة الحضارية بين الشرق والغرب؟

لم ترتح الكاتبة للضوضاء الحضارية في أمريكا، فقد كانت تنفر من الصخب في المدن اللبنانية على رغم ضيق مساحتها، فكيف هي الحال في المدن الأمريكية الضخمة العامرة بكل ألوان الضجيج؟

إن الضوضاء لا تتوافق مع مزاج الأدباء، فهي تقف حائلاً يُعيق الكتابة ويمنع تدفّق الخواطر، وقد يشل الإبداع ويقفُ[1] استرسال المشاعر. من أجل ذلك، قصدت الكاتبة إميلي نصر الله قريبتها في مدينة أمريكية خالية[2] من السيارات هي مدينة "هنتنتون" بولاية "فرجينيا" الغربية. وكان من المنتظر أن تأنس الكاتبة لهذه المدينة الرافضة للآلات، والقريبة من الريف، لكن استجابة الكاتبة كانت مُشبعةً بالبرود واكتفت بقولها: "الإنسان يحتاج إلى موطئ قدم"[3]. فهل صُدمت الكاتبة بكثافة الوعي الغربي الساعي إلى إنقاذ المشاعر الإنسانية من طريق إقصاء الآلة أم أنها لم تجد توازناً بين الوعي الغربي الساعي إلى إبعاد الآلة، والوعي الشرقي الساعي إلى حمل لواء الآلات التكنولوجية والميكانيكية؟

إنني أرى أنّ البرود ناجم من جراء التلاقي بين جو يندرج في إطار يهدد الإنسانية ويتصدّى لكلّ ما يمتّ إلى المشاعر بصلة، وجوٍّ آخر يرتكز في مبادئ ساعية إلى كشف الإنساني في البشري برعاية وعي جديد يوقظ ذاتنا الضائعة بين الركام. هذه المفارقة دفعت الكاتبة إلى أن تفكّر في تحصين نفسها أمام انغراس الإنسان في ظروف يصعب عليه أن يسيطر عليها فكان البرود المذكور تجلياً للنشاط المكبوت الباحث عن مساحة من العدم يقيم في أحشائها.

والأقصوصة الّتي ندرسها الآن تحمل عنوان "اللعبة وبيتها"[4] وتتلخص في أنّ رجلاً مسنّاً ثريّاً هو فريد سمعان أتى إلى قرية "جورة السنديان" طالباً يد "فدى"، صديقة الكاتبة، وكانت في الرابعة عشرة من سِنِي عمرها، وكان هذا العريسُ[5]، صاحب "الكاديلاك" البرّاقة، الّتي جذبت أنظار أهل القرية جميعاً، قد استطاع أسر فدى واجتذابها فرحلت معه إلى أمريكا فمكثت في بيت يشبه القصر ويحوي معظم ألوان التحف. وكانت فدى تقيم في هذا البيت كلعبة أنيقة الثياب تتابع

1 ـ يقف استرسال المشاعر أعلى من يُوقفُ لأنّ أوقف بهذا المعنى هي لغة رديئة كما يرى ابن منظور (لسان العرب مادة وقف) والفيروزآبادي (القاموس المحيط مادة وقف). ولم ترد أوقفَ بهذا المعنى في الشعر الجاهلي أما أوقفتُ الأرضَ فتفيدُ أنني جعلتها وقفاً وأقصرتُ عنها وتركتها، وهي بمدلول تختلف.

2 ـ هذا ما أوردته الكاتبة والأعلى أن تقول في مدينة خلوٍ من السيارات (يراجع القاموس المحيط. مادة: خلا).

3 ـ إميلي نصر الله: المرأة في 17 قصة. مؤسسة نوفل. ط1. 1984. ص 113.

4 ـ إنها ضمن مجموعة المرأة في 17 قصة وهي تقع في الصفحة 111.

5 ـ هذا ما أوردته الكاتبة والصواب «عروس» للذكر والأنثى أما لفظة عريس فتعني الحبل (يراجع لسان العرب، مادة: عرس).

مسيرتها، مكتومةَ الأنفاس والأحاسيس غيرَ مانعةٍ نفسها من محاولة السبر والاكتشاف. وفي النهاية تكتشف فدى –الطفلة الكبيرة– الّتي نضجت أنّ منزلها الزوجي، على فخامته، لم يعد يتسع للعروس، الدمية الناضجة، الّتي زرع فيها الزمن وعياً جديداً، غير قابلٍ للارتهان فغادرت المنزل مخلِّفة وراءها "زوجاً على أعتاب العجز والشيخوخة وبيتاً فارغاً من دفء الأولاد"[1].

وينبغي التوقّف عند نقاطٍ عدة إزاء هذه القصة:

1 – رَكَزَتِ الكاتبةُ الأضواء في التفاوت الكبير بين البيئة الشرقية والبيئة الغربية، فالرجل الشرقي الثري يشتري زوجه فتصبح من ضمن محتويات المنزل فلا تغادره، أمّا في البيئة الغربية فالزوج شريك في القرار وفي الاختيار.

2 – المجتمع الشرقي نصير الرجل ولو أدّت هذه النصرة إلى إحداث بعض الظلم وبعض الخلل، أمّا المجتمع الغربي فغالباً ما ينصر المرأة وذلك عائد إلى أنّ الحياة العربيّة شهدتْ صنوفاً من التقاليد الخشنة انعكست على مسيرة الحياة، جعلت الإنسان الحسّاس يشقى ويعاني[2].

3 – كانت الكاتبة معتدلةً في إصدار الأحكام فهي ترى في التروّي ضرورةً ملحّةً، لأنّ المسألة تتعلّق بالشِّق العاطفي، فمن هذا المنطلق نرى الكاتبة الشرقيّة إميلي تتأثّر خُطى الخراب الذي أصابَ المنزل العامر، فالرجل العجوزُ أضحى هرماً غير قادر على السير وكان تهدّل كتفيه وذبولُ عينيه[3]، خير دليل على خَواء بيته إلاّ من الأزهار الغافلة عن المأساة. وبقي الرجل العجوز مصاحباً بفعل التذكّر إزاء حسناءَ غادرتْ من دون أن تعد العاذلَ المنتظر بالرجوع.

4 – واستمرّت إميلي في مسيرة الاعتدال، فهي ترى أن "فدى" الّتي عانت الفقرَ والعوز، رأت في "فريد سمعان" المنقذ المؤقت ولم تكن تدري، أنّ سيارة "الكاديلاك" الّتي يمتلكها سوف تغدو بعد عشر سنين رميماً لا يُحييه انبعاث، وأن الأوراق النقدية الّتي كانت ثمناً لها سوف تغدو غباراً منثوراً، وربما آنست عذراً في قلب "فدى" فهي طفلةٌ، والطفل بحاجة إلى تجريب كل شيء[4].

5 – وقبل إسدال الستائر على القصة، لا بدّ من التذكير بأن الكاتبة، بعد اطلاعها على مأساة الزوجين العربيين المقيمين في أمريكا قد استعادت ذاكرةً تحاولُ الاختباء والهرب، لكنها ظهرت فُجاءةً، مختبئةً في لباس أمريكي، إنها ذاكرة الحب العذري وما تحوي من طلاسم

---

1 ـ إميلي نصر الله: المرأة في 17 قصة. ص 118.

2 ـ يراجع ياسين الأيوبي: مقدّمة كتاب خريستو نجم: جميل بثينة والحب العذري. دار الرائد العربي. بيروت. 1982. ص ز.

3 ـ إميلي نصر الله: المرأة في 17 قصة. ص 118.

4 ـ يراجع غابرييل فروشاد: دراسة في علم النفس الحديث. تر. رفاه الناشد وفيصل العبدالله. دار الشرق العربي. بيروت وحلب. ص 87.

وألغاز، فهل تَغرّبَ البكاء قبيل اغتراب الأديبة؟ وهل هربت إميلي من وعي عاطفي كسيح إلى وعي آخر أشد إيلاماً وفتكاً. لقد انتقلت إميلي لترى صورة جميل مجسّدة في صورة "فريد سمعان" أو متقمّصةً فيها، فجميل رأى الحسْنَ كله في صورة بثينة، كما رأى بثينةَ شادِناً[1] أتعبه الجرْيُ[2] خلف أمه الظبية لكنه لا يزال يحتفظ بحسنه، احتفاظَ "فدى" بجمال الألعاب. يقول جميل [من الطويل] واصفاً بثينة:

"وأحسنُ خلْقِ اللهِ جِيداً ومُقلةً تُشبَّهُ في النسوان بالشادن الطفْلِ"[3]

وتستمر مسيرة الاحتجاج الصامت والتمرّد الأبيض في قصة "نجمة الصباح"[4] ومؤداها أنّ "فارساً" طلب "خزما"[5] للزواج، بعد أن أُخِذَ بحسنها وجمالها، محاولاً إغراءها باليسر والبُحبوحة اللذين يواكبان مسيرته الحياتية مقللاً من تأثير فروق السنين بينه وبين عروسه، لكنّ نار الغيرة نغّصت هناء العروس وقتلت ما تبقّى لديها من أحلام. ومشهد النهاية مؤثّر في أقاصيص إميلي فموت الزوج المسنّ أمرٌ منتظر، والفرَجُ منتظر بعد الموت أيضًا لكنّ الفرج المنتظر وصل متأخراً بعد تحوّل شَعر "خزما" الفاحم إلى كُومة رماد، وبعد تباطؤ مسير الدم في شرايين الأطراف، لكنّ أمراً واحداً لم يتغير، عنيتُ به استمرار التبخيس الذاتي لدى "خزما" الّتي طلبت من ابنتها أن تأخذها إلى المقبرة حتّى تستأذن زوجها بالرحيل[6].

ولا يخفى، على القارئ، ذلك التقارب الكبير بين أُقصوصتي إميلي "اللعبة وبيتها" و"نجمة الصباح"، فكلتا الأُقصوصتين، تحمل احتجاجاً على "تهميش" المرأة، وإلغاء دورها، وكلتاهما تحمل تبخيساً للفتاة، فهي عاجزة عن البتّ بمصيرها، فهنالك دوماً من يأخذ بدلاً منها، القرارات اللازمة. أمّا الثناء الذي يقدّم للعروس فهو يوظّف من أجل غاية رخيصة وقذِرة، عنيتُ بها زيادة التسلُّط، أمّا الفقر الذي عانتْ ذيوله والدة "خزما" فهو ساعد أيضاً في التهميش. فالأم الّتي تزوجت رجلاً فقيراً، تتحول أحلامها إلى أشغال شاقّة[7]، وتتابع الأم

---

1 ـ الشادن هو الظبي الذي بدأ ينسلخ عن أمّه.

2 ـ هل يحسّ جميل أنّ الحبيبة بدأت تحسُّ إرهاقاً من مسيرتها؟

3 ـ عن خريستو نجم: جميل بثينة. المرجع السابق. ص 108.

4 ـ لا يوجد «نجمة» في اللغة العربيّة تحمل دلالة الجرم السماوي وإنما هناك نجم. أما النجمة فلها مدلول آخر: كل نبتة من دون ساق وجمعها «نَجْم» كما في قوله تعالى ]والنجْمُ والشَجرُ يسجدان[ (يراجع لسان العرب، مادة: نجم).

5 ـ [أرجّح أن الاسم هو «خَزَمَة» وهو وعاء ضيق من خوص تضع فيه المرأة عدّتها وأدواتها الخاصة] ومن يطّلع على تفريعات جذر خزم يجد أنّها جميعاً لها مدلول الذل والانقياد. [وربما سميت المرة خزمة للإيحاء بأنّها مطيعة وليّنة].

6 ـ إميلي نصر الله: المرأة في 17 قصة. ص 145.

7 ـ إميلي نصر الله: المرأة في 17 قصة. «نجمة الصباح». ص 140.

حديثها وهي تكفكف الدمع بكفّيها المشققين[1] راجيةً أن تُعلّم ابنتها كيف تؤكل الكتف وتعيش في بُحبوحة ورخاء ورغد. وهنا لا بدّ من التفكير بأنّ الكاتبة إميلي نصر الله الّتي انمازت بالطهر والتعفّف، وبتسامي الغرائز، رأت دورها يبرز في تحقيق ما أخفقت الطبيعة والبيئة والمجتمع في إظهاره، فكانت رؤياها تتجاوز الواقع فتتوحد الحاسة الجمالية بنقيضها فتتعانق الثنائيات الضديّة و"يتكهرب عالمان"[2] ويولد قطبان شديدا التعارض والتوتّر:

أ- قطب الخضوع والاستكانة والخنوع.

ب- قطب النرجسية الكثيفة وما تجذب من "خلايا تسلّطية".

أمّا قطب الخنوع والاستسلام، فيبدأ عند الأنثى الشرقية في طفولتها المتوسطة عندما تبدأُ تحضيرَ طقوسِ الدخول في المجتمع ضمن إطار قوانين العائلة[3] الّتي تفرض عليها "قداسة الخضوع" متأثرةً خطى أمّها وغيرها من نساء العائلة. وهذا القطب مرفوض تمام الرفض لدى إميلي نصر الله فهي ترى فيه نقيضاً لحركة التحوّل ومسيرة التطور والانفتاح وهي تركز في هذا المفهوم معظم أقاصيصها وخاصة أقصوصة الشرنقة، وهي ترى أنّ النساء الشرقيات يتفننّ في حياكة جدران الشرنقة[4].

وفي الختام، ينبغي القول: إن زمان "التقوقع" لا يزول إلاّ بولادة زمان الحركة، فالحركة شكّلت محور الحياة الدينية والميتولوجية في الحضارات القديمة، ففي سفر التكوين، كانت حركة "الغمر العظيم" بُداءة تحطيم الركود، ثم تلتها حركة روح الله المرفرف فوق الغمر، وتلا ذلك حركة إبداعية تجلّت في خلق الإنسان من طين، ثم حركة انحدارية تجلّت في حرمان الإنسان من الخلود والحكم عليه باصطحاب الشيخوخة والمرض والموت والعودة إلى التراب[5]. فإذا أخفقت الحركة المكانية في تحقيق نتائج مع الكاتبة إميلي، فإن الحركة الانحدارية أدّت دوراً معاكساً، مثل ولادة شرانق جديدة وعتيقة في آن، وطنين النحل فوق ثغور الأقحوان، عاجز عن اقتحام سدود الشرنقة وجدرانها[6]، فانتهت حركية الكاتبة، وكأنها تخاطب المجتمع الشرقي بقولها: "دثّروني فأنا لا أُطيق المفاجآت". وتنتهي مسيرة إميلي، من دون أن تتعب طيور أيلول، وقد بقيت أجنحتها السوداء، تظلل الزمان، ونوح الحجارة، ولعبة الفرار في "جورة السنديان"، آخر "محطات الرحيل".

1 ـ هذا ما أوردته الكاتبة وهو ليس خطأ فقد استخدم العرب الرحمن والكبد والقدم في صيغة التذكير لأنّها أعضاء، والعضو مذكّر، كذلك ذكّروا الخمر على أنّها شراب والشراب مذكّر وكذلك ذكّروا الكأس على أنّها وعاء.

2 ـ كمال أبو ديب: جدلية الخفاء والتجلّي. دار العلم للملايين. ط3. 1984. ص 241.

3 ـ غابرييت فروشاد: علم النفس الحديث. ص 134.

4 ـ تستشهد الكاتبة بقول لورنس: «البشريّة لم تتخطَّ بعد مرحلة الشرنقة». (يراجع: المرأة في 17 قصة. ص 17).

5 ـ شفيق مقار: قراءة سياسية لتوراة. رياض الريس. لندن. 1987. ص 149.

6 ـ إميلي نصر الله: المراة في 17 قصة. أقصوصة الشرنقة. ص 22.



## 4 . الإيديولوجيا في كتابات "إميلي نصر الله" قراءة في رواية "الرهينة"

الدكتورة عائشة شكر
أستاذ مساعد ومدربة في مادة اللغة العربية وآدابها في الجامعة اللبنانية
aida_chokr@hotmail.com

**ملخص**

تصوّر الكاتبة في روايتها ما يحدث في المجتمع اللبنانيّ الذكوريّ الذي يتغذّى من التّضحية بالمرأة (رانية) من أجل الرّجل (نمرود)، فتبني عالمها الروائيّ المتاثّر بالإيديولوجيا التي ترفض هذه الثقافة. وفي كلّ مشهد من مشاهد الرواية، كانت الكاتبة تدكّ حجراً من أحجار المجتمع القديم، وتمهّد لقيام مجتمع جديد يتبنّى قيم الحريّة، والمساواة، والعدالة. لذا تعدّ هذه الرواية مساهمة من مساهمات إميلي نصر الله في تعزيز الأدب النسويّ، وعلاقة المرأة باللغة، وعلاقتها بالرجل، وبذلك تصبح شريكته في صنع الواقع والتاريخ.

Ideology in the Writing of Emilie Nasrallah

A reading on the novel (The Hostage)

In her novel, the writer depicts what happens in the Lebanese masculine society which is nourished on sacrificing a woman (Rania) and confiscating her role, her way of thinking and her freedom for the sake of man (Namroud), so she builds her own narrative world which is affected by the ideology that rejects this culture. In every scene of the novel, she tears down one of the stones of the traditional society

and paves the way for the rise of a new society that adopts the values of equality, justice, and freedom. Therefore, this novel is considered one of the contributions of Emilie Nasrallah in reinforcing the feminist literature and the relation of women to language and her relation to man so that she becomes man's partner in the making of reality and history.

الأديب المبدع هو الذي لا يتقيّد أدبه بزمان ومكان معيّنين، لأنّه يمتلك القدرة الثوريّة للعودة من المطلق المجرّد إلى الحياة، كلّما دعت الحاجة. فإيديولوجيّته تأبى الخضوع، إذ تمتدّ خارج حدود النصوص؛ لتبني جسوراً مع الواقع، فيصير إمكانيّة دائمة لخلق جديد وإضافته إلى العالم، وهذا ما نعدّه الذروة، والذروة لا يمكن تجاوزها، لأنّها الوصول.

وإذا كانت النصوص الصالحة لكل زمان ومكان تعنى بالإنسانيّة بشكل عام، وتتبنى قضاياها، فتسهم في خلق مجتمع أفضل، فإنّ رواية "الرهينة" لإميلي نصر الله قد ركّزت على قضية المرأة، وحريّتها، وهمومها، واهتماماتها، وهي قضايا لا تموت، ولا تخصّ مجتمعاً معيناً. فكيف قدّمت الكاتبة قضيّتها؟! وكيف أثّرت الإيديولوجيا في بناء عالمها الروائيّ؟!

رواية الرهينة لا تسلّم القارئ مفاتيحها مباشرة، لأنّها تحتاج قراءتين، الأولى تنقل الأحداث وتفاعلها، والثانية تلتقط الإشارات، وتحلّلها لتكشف الحقائق الكامنة وراء كلمات النّص، ورموزه، ومشاهده، والتي تبتغي الكاتبة منها تعديل سلوك الآخرين، ولا عجب في ذلك ما دام نصّها يمتلك قدرة سحرية لخلق الايبودا، تلك الخدعة الجميلة التي تروّض العقول، وتدفعها لتبنّي استراتيجيّتها في طقس جميل الكلمات مبني على نحو مخصوص.

تنطلق الكاتبة من الرّيف اللبنانيّ، لتشيّد عالم روايتها، فتتكئ على تفاصيل الحياة هناك، وعاداتها وتقاليدها، فتهاجم ما هو مستقر وثابت، حتى بات يعدّ أمراً مألوفاً وعادياً.

تنهل الكاتبة من مشاهد الطبيعة الجميلة، لتصوّر حياة فتاة يُقرَّر مصيرها منذ اللحظة الأولى لولادتها "تعدّانها لتصبح زوجة نمرود الخالد" فتصير رهينة هذا الوعد الذي يمنح "ذكراً" صكاً بملكيتها، فيجرّدها من إنسانيّتها، ويستلبها، فتصبح مستعبدة في مجتمع لا ينظر إلى المرأة إلا بوصفها آلة إنجاب واستمراراً للنسل.

"تطلّ القابلة من شق الباب، وتهمس الاصطلاح التقليدي: ولدت "توها"! الحمد لله على سلامة أمّها.

الرجل المهيب يقترب من والد "توها"، فيربّت على كتفه، ويقبّل جبينه، فتنسحب النساء بصمت.

. ندعوها رانية .. رانية الحي، اسم جميل...

. وتعيش في رعايتكما بدلال... تعدانّها خير إعداد لتصبح زوجة نمرود الخالد"[1].

تنطلق الكاتبة هنا من ما يحدث حقاً في المجتمع اللبناني الذكوريّ، الذي يهلّل لولادة الذكور، ويضعهم في مرتبة أعلى من مرتبة الإناث، ولا يخفى علينا ما لكلمة "توها" من دلالة، فهي كناية عن المصيبة، أو عن شيء غير سار، وهذا ما ينزع الإنسانية عن الفتاة التي يمتنع حتى عن ذكر جنسها أو اسمها" ولد للإنسانية مخلوق جديد"[2]. فالكاتبة اذاً تركّز نقدها على الممتنع، وتتوغل إلى آليات التفكير عند الناس، فتهاجمها في قوالب الفهم، وآليات الخطاب، وفي تبنّيها أنظمة المجتمع المحدود وأعرافه، لذا تخلق بنيات سردية، وتقدم أحداثاً وأفكاراً مناسبة لذلك تنقل وجهة نظرها. وهذا ما يسمّى بالمنظورية أي الفكرة القائلة إنّ معرفتنا بالواقع لا يمكن أبداً أن تكون غير موسوطة بل تتوسّط دائماً وجهة نظرمعينة.[3]

ولا يخفى علينا ما للإيديولوجيا من تأثير في نصّ نصر الله، لذا يأتي نصّها أحياناً مفاجئاً، إذ تقوم داخل السرد بانعطافات سرديّة غير متوقعة، بتأثير من هذه الإيديولوجيا التي تتحكّم في مفاصل نصّها "توقفت سيارة أجرة أمام باب المعهد، اقتربتُ أسال السائق عما إذا كان في استطاعته أن ينقلني إلى الكراج، فوجئت بمروان يجلس في المقعد الخلفي ثم ترجّل بخفّة فخطف الحقيبة، ووضعها في صندوق السيارة، وشدّني من يدي إلى الداخل من دون أن يترك لي فرصة الاستفهام عمّا يجري... ظلّ مروان صامتاً وكنت مرتاحة كما لم أذق راحة من قبل ولم أتحرك أو أحتج حتى حين مدّ ذراعه، وجعلها مسنداً لظهري"[4].

فالكاتبة تقبض على أعنّة الكلمات، وتوجّهها لتمرّر رسائلها، وتحطّم ما هو ثابت، منطلقة من متانة أناها، وعمق رؤيتها وفهمها الواقع، لتبحث في ضياع الآخر والمجتمع الذي يتبنّى مفاهيم تسقط حق الإنسان/المرأة في العيش بحرية وكرامة. فأولى وظائف نصها إعادة الفرد/المرأة إلى نفسه، وخلق علاقة انسجام بينه وبين مجتمعه، ليكون مجتمعاً ناجحاً، لذا يسير السرد مسارات غير متوقعة، لكنّها ثابتة، منطلقة من الطبيعة إلى الإنسانية، ومن القوة إلى الحق ومن العلم إلى التحرّر... لأنه يؤمن بهذا كله.

فثقافة المجتمع التي تعاني من الجمود والقولبة، تتطلّب جرأة عالية في الخطاب، وقدرة على مواجهتها، وقول الحقائق كما هي من دون مداهنة، لأنّها ثقافة تتغذّى من التضحية بإنسانيّة المرأة، ودورها، وحضورها، ومصادرة تفكيرها، وخنق طاقاتها، فهي تستبيح حريتها وكيانها ووجودها من أجل الرجل، وهذا ما يسهم في خلق عوائق أمام تقدّم المجتمع. وماذا

---

1 ـ إميلي نصر الله، الرهينة، ص 22.

2 ـ م.ن.، ص.ن.

3 ـ جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص 36.

4 ـ إميلي نصر الله، الرهينة، ص 168.

ننتظر من ثقافة تضع المرأة في خدمة الرجل إن كان أباً أو زوجاً أو حبيباً، وتبيح له امتلاكها، ونقل هذه الملكية من شخص إلى آخر؟! امرأة كهذه يضحّى بها في سبيل الجماعة، وتسير وفق برنامج مسبق يحدده سيدها، فهل يكون لها وجود أمام أنظمة الإكراه، والإلغاء، والوكالات الحصريّة، والتبعيّة العمياء التي يرعى الأهل وجودها، وتوارثها، وانتقالها من جيل إلى آخر؟!

"تعيش في رعايتكما بدلال تعدانّها خير إعداد لتصبح زوجة نمرود الخالد"[1].

"أجل،اليوم أفهم معنى أقواله وتصرفاته، أرادني أن أنمو تابعة له، خاضعة لمشيئته، مقولبة في قالب تعاليمه، وأن أصبح غريبة ...غريبة"[2].

هكذا تقدّم الكاتبة مسرحاً يدلف منه الإيديولوجي والمتخيّل، وفي كلّ مشهد من مشاهده تدكّ حجراً من أحجار هيكل المجتمع القديم، وتخلق تصوّراً جديداً لمجتمع المستقبل، وهي في تثويرها الرؤية، تسهم في خلقه، إذ توقظ "الأنا" التي قولبها المجتمع على مثاله، وتدفعها إلى التحرّر، لتصبح واعية خلّاقة، فتبني جسوراً قويّة بين رغبتها وذاتها، ثم بين ذاتها والعالم.

"لماذا لا أرتمي في هذا الحلم الجميل وأنسى قيودي، وارتهاني، وأطلّق الماضي؟! وليفعل نمرود ما يحلو له"[3].

هكذا تقوم الكاتبة بخلخلة نظام الوعي عند البطلة (رانية) لتعيد ترتيب علاقتها بالواقع، فتبني شبكة مفاهيم جديدة، والاستفهام الوارد هنا دليل على التمرد، إذ انعكس في البداية تساؤلاً وحيرة واستغراباً ثم اجتراح وسائل تتيح لها أن تتخلّص مما هي عليه. إنّها حيلة الكاتبة لدفع القارئ إلى فهم الواقع وتشخيصه، وكأنّها تقدّم بوساطة تقنياتها السرديّة مشروع تحرّر يعكس نظرتها إلى الحريّة والعدالة والمساواة بين الجميع من دون أن يتحوّل مشروعها إلى شعارات داخل الرواية غير منسجمة مع سير أحداثها.

ويركّزهذا المشروع على تعليم المرأة، بوصفه أداة للمعرفة والوعي والتفكير إذ لا ممارسة ممكنة للحريّة من دون إمكانيّة التفكير بصورة خلّاقة وشجاعة تمكّن من اختراق حدود المسكوت عنه. "العلم يزيدك خبرة ويعطينا فرصة للتفكّير"[4].

والكاتبة العارفة بخبايا المجتمع، ونفسيّات الشخصيّات لا تجعل هذا التحرّر محقّقاً في الحال على طريقة "كن فيكون" لأنّها تعلم أنّ هذا الأمر يتحقّق بشكل تدريجيّ، لذا لا نرى التحوّل الكبير في حياة رانية، إنّما انعطافات تقدّمها مناضلة من أجل حريتها، إذ تضع ما

---

1 ـ إميلي نصر الله، الرهينة، ص 22.

2 ـ م.ن.، ص 37.

3 ـ م.ن.، ص 137.

4 ـ م.ن.، ص 157.

يجري موضع السؤال والفحص، لتفهم، فتسعى إلى إعادة ترتيب علاقتها بنفسها وبالآخر في ضوء فهمها الجديد .

"لقد خطوتِ الخطوة الأولى وهي الأصعب، ولم يعد أمامك سوى مسافة قصيرة جداً... لا تتراجعي"[1].

فالكاتبة إذاً وضعت البطلة موضع التساؤل والشك، وجعلتها تشعر بذاتها، بوصفها إنسانة حرة لها كيان ومشاعر وميول وفكر، وإن كانت –كما قلنا– لاتتعامل مع تعليم المرأة (رانية) على أنّه صيغة حتمية للتغيير، إنّما مشروع أو إمكانيّة خوض تجربة التحرّر التي تؤدّي إلى علاقة جديدة بفكرة الحريّة

"تحولّت الشهادة إلى علم من أعلام التمرّد، وراحت تلوح لي"[2].

فتمرّد رانية استراتيجيّة لفرض علاقات جديدة مع واقعها، ومع المجتمع بأكمله، لكنّ التغيير مرتبط بأبنية المجتمع وحقوله بالمعنى الذي نجده عند بيير بورديو، أي مرهون بمواقع الفاعلين الإجتماعيّين، وبإراداتهم، ومكتسباتهم وخياراتهم، ومواقفهم[3].

"تذكّرتُ عبارة مروان ونحن في الغابة، قال لي: إنّنا آدم وحواء، المخلوقان الجديدان في عالم جديد لحسابنا وسعادتنا وراحتنا، وارتكيت فوق موجة ذلك الشعور المستسلم المريح"[4].

"هكذا حقق الإنسان الحلم المستحيل، ووطئت أول قدم بشرية وجه القمر"[5].

ولا يخفى علينا ما تسعى إليه الكاتبة هنا من تشويق لعوالم الحريّة والحبّ والتحرّر، ولا تكتفي بهذا الأمر إنّما تدخل من باب علم النفس لتؤجّج الصراع داخل شخصيّاتها، فهي تعلم أنّ المواجهة الحقيقية تكون مع الذات، خصوصاً بين الوعي واللاوعي الذي يحتفظ بالموروثات الجماعيّة، والأفكار الشخصيّة للإنسان، فالوعي عند رانية يدرك، ومع ذلك نراها تخضع في أحيان كثيرة، لأنّ اللاوعي في أعماقها ما زال مقيّداً بقيود الجماعة، ولا يمانع الخضوع لها "كانت أحمال ثقيلة تشدّ بي، تثبتني بالتراب، تغلّ روحي، وتمنعها من التحليق"[6]. هذه الأفكار السلبيّة ثمرة إيحاءات اللاوعي المقيّد بقيود تمنعها من التحرّر، ومع توقها إلى الحرية ظلّ يمتلك فائضاً من الفعاليّة والقدرة على تكبيلها، تصل إلى حد إفقاد القوة الواعية

1 ـ إميلي نصر الله، الرهينة، ص 215.
2 ـ م.ن.، ص 167.
3 ـ علي حرب، أوهام النخبة، ص 69.
4 ـ إميلي نصر الله، م.س، ص 194.
5 ـ م.ن، ص 218.
6 ـ إميلي نصر الله، الرهينة، ص 158.

دورها[1]، لذا نراها أحياناً عاجزة، مستسلمة، تناقش، وتتمرّد، وتخضع، وتضع أحلامها موضع تساؤل "الحرية أين هي؟ هل أبصرها إنسان؟ هي كلام يتسلّى به المحرومون، طيف يداعب مخيلة السجناء"[2].

هذه التساؤلات تظهر المواجهة بين الوعي واللاوعي، كما قلنا، والصراع مع النفس، وهذا يجبر رانية على أن تحيا حياة لا تريدها "وأهلكِ؟ وعد أبيك، وقلب أمك، وأيام الطفولة وذكريات الماضي؟ هذه الشهادة ما كانت لولاه، تعقّلي وعودي"[3].

فالأحلام عالية، وما نيلها بالتمنّي، إنّها تتطلّب مواجهة، أوّلها مواجهة النفس وخنوعها واعتيادها الرضوخ، وهذا يذكّرنا بقول نيتشه "إن كنت تبحث عن الحمل الأثقل، فها أنت ذا قد وجدتَ نفسك" فالوعي يضعها أمام مسؤوليّة صعبة تتطلب كثيراً من الجهود، لذلك نراها تهرب أحياناً، فتبدو محطّمة، تتقيّد بقيود الجماعة "وبكى الإنسان في ذاتي.. لن أقوى على مواجهة الغد"[4].

إذاً تسهم هذه الرواية في تكوين الفضاء الفكريّ للمجتمع بكل أنواعه، ضد محاولات نفي المرأة، واستبعادها، وتشييئها، لأنّها ترفض غير المعقول، لتمهّد للفكر المنتج والفعّال، وهي بإضاءتها حياة رانية، تكشف الحقائق التي تحاول الثقافات الجامدة طمسها، فتحوّلت إلى آداة لفهم الذات، والواقع، والعالم. ولا يخفى علينا أنّ التغيير يبدأ من النفس، لأنّ ما نصبو إليه أو ما نريد تغييره، يتغيّر بقدر ما نتغيّر نحن بالذات. فالهدف الذي نسعى إليه، يتحقق بقدر ما نشتغل على النفس والفكر. من هنا أهمية صنع الأفكار، وإعادة ابتكارها، فبواسطتها تتمّ صناعة العالم، وتكوين المشهد، وتغيير الواقع، ورسم المصائر"[5].

ورواية الرهينة تراعي هذا الجانب في محاولتها صوغ واقع جديد، لا يطال المرأة فقط، وإن ركّز عليها، إنّما الرجل أيضاً، فإنّ المتمعّن في تفاصيلها يرى أنّ الفكر والتفكيرالخاص بكلا الطرفين من ضمن أهدافها الإصلاحية. فمثلاً وضع نمرود خطيب رانية المفترض يثير الشفقة، لأن الرواية تقدّمه عاجزاً عن أن يختبر عاطفة الحبّ الحقيقيّ مع امرأة تكون شريكته الحقيقيّة لا سجينته الهاربة. فيبدو كائناً مبرمجاً، منفياً خارج أعماقه وهويته. يعتقد أنّ له ذاتاً مستقلة يستمدها من ماله وأوامره ونواهيه، لكنّه في الحقيقة سجين معتقداته الموروثة، ومسلوب الإرادة والقرار، يعوّض بالرعب وأسطرة نفسه وتسلطه عن هذا السلب ومحو الداخل. وهذا ما انعكس

1 ـ يونغ، جدلية الآنا واللاوعي، ص 155.

2 ـ إميلي نصر الله، م.س، ص 158.

3 ـ م.ن. ص 167.

4 ـ م.ن.، ص.ن.

5 ـ علي حرب، أوهام النخبة، ص 12.

على شخصيته فشطرها شطرين، فإذا هو المحبّ المساعد، والمتسلّط، والغامض الرجعيّ، الذي يريد إلغاء الـ"هي" في سبيل الـ"أنا". فشخصيته امتداد للمجتمع الرجعيّ وثقافته، لذا عجز عن أن يكون ذاته. فأيّ أمر أشدّ ألماً من هذا النّفي؟ ألم يقل الفارابي"كلّ موجود في آلة فذاته لغيره، وكلّ موجود في ذاته فذاته له". وهل من بؤس أشدّ إيلاماً من الزواج بفتاة تناديه "عمو"، ولا تهتمّبوجوده واهتماماته وعواطفه؟!

وأيّ مجتمع هذا الذي لا يفسح في المجال للذاتيّة الفرديّة كي تكون نفسها فتبدع؟ إنّه مجتمع يحتجز أفراده، ويصادر حريّاتهم، فيصبحون رهائن أو موتى مع وقف التنفيذ! أهكذا تبنى المجتمعات؟! بنفي المرأة وإبعادها ومصادرة كيانها وقرارها وتحويل الرجل إلى كائن يطاردها؟! أسئلة كثيرة تطرحها هذه الرواية، لتفهمنا أنّ المجتمع العقيم، لا ينتج، تذوب فيه الذات في الجماعة التي تحارب الطبيعة نفسها. هذا المجتمع يرى أن الرجل ليس موجوداً إلا بقدر ما يكون متسلطاً، حتى العائلة/الحضن الدافئ قد تحوّلت إلى آداة لطمس الحرية والذات والمتاجرة في حياة بناتها، تشتري وتبيع وتمنح صكوك ملكية للآخر تتيح له امتلاكهن. إنّها راعية التخلّف الذي يخدم مصالحها، وهذا ما ينبغي التنبّه إليه "وتابع نمرود: إني لا أمزح يا سعيد، إذا ولد لكما بنت، تعدانني بها؟...أما أبوك فكان يشعر طوال حياته، بأنه مدين للبك بالحياة واللقمة، وإغتنم الفرصة ليردّ له دينه...

- وجعلني الطمع سجينة في قفصه الذهبي؟ وهذا ما أردتموه لي، لابنتكم الوحيدة، كيف استطعتم يا أمي، أين عطف الوالدين؟"[1].

يقال إنّ لا قيمة لكتاب تقرأه وتبقى بعده كما كنت قبله، لأنّ مهمة الكتاب ليس صناعة الجمال فقط إنّما المساهمة في صناعة الأفكاروالواقع[2] . ورواية الرهينة من الكتب التي تكتسب أهمّيتها من فكرها، ومن احتكاكها بغير المعقول ومحاولة عقلنته، لذلك يظل قارئها مشدوداً إليها حتى بعد قراءتها، إذ تظلّ تطرح عليه أسئلتها، وتدفعه للتفكير، وبالتالي لتغيير علاقته بذاته والغير والعالم. إنّها نتاج المعرفة والوعي والرفض الذي توصّلت إليه الكاتبة، ورهانها من أجل خلق مجتمع أقل استلاباً وأكثر تقدماً وتحقيقاً للمساواة والعدالة، وهي مساهمتها في إظهار الحقائق في مواجهة محاولات طمسها.

وإذا كانت المرأة في نظر شوبنهور قد تملك مقدرة فائقة، إلّا أنّها لا تستطيع أن تكون عبقريّة، لأنّها لا تستطيع الخروج من ذاتها، والنّظر من خلال عقلها إلى القضايا بعيداً من عواطفها ورغباتها[3]، فإنّ إميلي نصر الله استطاعت أن تثبت عدم صحة هذه الرؤية، إذ نراها

---

1 ـ إميلي نصر الله، الرهينة، ص 132-133.

2 ـ علي حرب، أوهام النخبة، ص 64.

3 ـ علي الوردي، خوارق اللاشعور، ص 69.

في هذه الرواية قد عاينت مجتمعها من خلال عقلها لا عاطفتها، وحكمتها ورؤيتها الثاقبة لا رغباتها، فاخترقت بذلك حدود ممنوعاته، وثارت على العرف الذي يدمّر الكيان، وخاطبت الإنسانيّة بلغة الحبّ، وهاجمت العادات الموروثة المدمّرة، واهتمت بقضية تهمّ البشرية جمعاء من دون تفريق بين رجل وامرأة، فلم تكن شخصاً عادياً يكتب، إنّما كاتبة مفكّرة، مقلقة للنظام الثابت، مهدّدة لكيانه، وهذا النوع من الكتّاب يعدّ توينبي نتاجه عبقرية، لأنّه يبغي تحويل المجتمع من حال إلى حال من دون أن يبالي بما ينال في سبيل ذلك[1].

هكذا تقتحم الكاتبة عالم الرجال بعد أن عدّ الرجل وحده لقرون عديدة منتج المعرفة، وكانت المرأة مجرّد متلقّية، تعيش على هامش الثقافة، وخارج دائرة الفعل، مغيّبة بسبب سيطرة ضمير الـ(هو) على ضمير الـ(هي) الذي لايحضر إلّا من خلاله[2]. وقد استطاعت إميلي نصر الله أن تظهر من خلال ضمير الـ(أنا) لتقول إنّ المرأة حاضرة، وتقارع الرجل في مجال الإبداع، وتشارك في كتابة الثقافة، وصناعة الأحداث. وروايتها الرهينة مساهمة من مساهماتها في تعزيز وضع الأدب النسويّ، ومنعطف من منعطفات علاقة المرأة باللغة، وعلاقتها بالرجل، وتحولّها إلى ذات فاعلة منخرطة في صناعة الواقع والتاريخ من أجل تغييرهما.

فكما أنّ عظمة الشاعر تقاس برأي جبران بمدى هدمه[3]، فإنّ عظمة الرواية تقاس بمدى الانعطافات التي تحدثها في المجتمع، ورواية الرهينة انعطافة متقدّمة في مرحلة تاريخيّة، سيطر فيها الفكر التقليديّ المناهض للمرأة وحريتها، وهذا الفكر هو الذي هاجمته الكاتبة، وصارعت من أجل اندثاره مع مجموعة من أدباء وأديبات عصرها، ودفع المجتمع إلى تبنّي فكر آخر يكون متناسباً مع حقّ كلّ إنسان في العيش بحريّة وكرامة، فاستحقّوا التحيّة .

1 ـ م.ن.، ص 70.

2 ـ عبد الله الغذامي، المرأة واللغة، ص 7 – 8.

3 ـ أدونيس الثابت والمتحوّل، ج 4، ص 178.

## قائمة المصادر والمراجع

### 1 . المصادر :

- إميلي نصر الله، الرهينة، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، طبعة 7، 2017.

### 2 . المراجع:

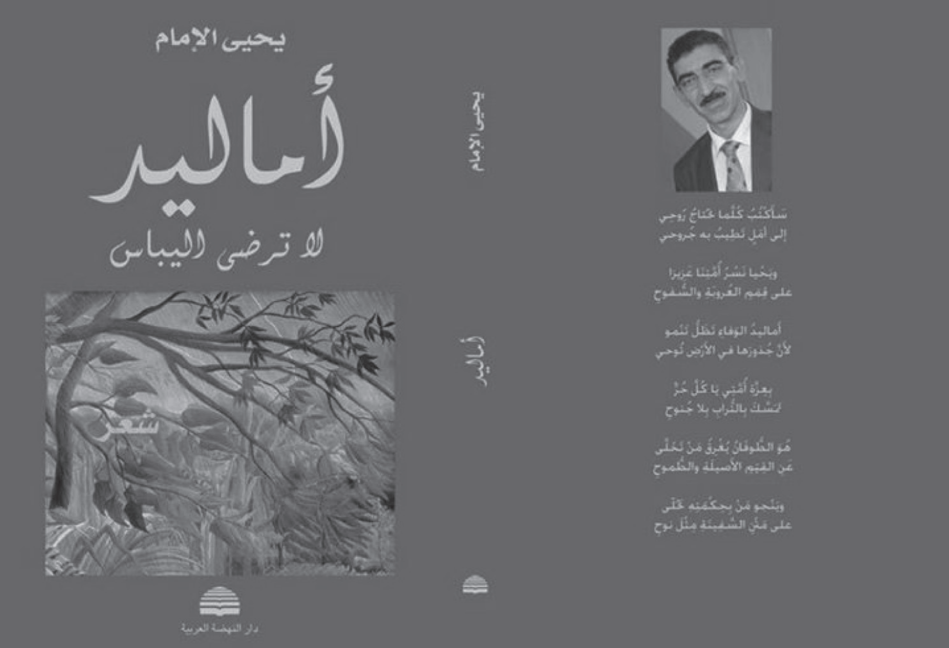
- أدونيس، الثابت والمتحوّل، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط10، 2011.
- بارت، رولان، لذّة النص، ترجمة فؤاد صفا، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط1، 2017.
- البازعي، سعد، جدل الألفة والغرابة، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، لبنان، ط1، 2016.
- حرب، علي، أوهام النخبة، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت، لبنان، ط5، 2012.
- العروي، عبد الله، الايديولوجيا العربيّة المعاصرة، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت، لبنان، ط4، 2011.
- الغذامي، عبد الله، المرأة واللّغة، المركز الثقافيّ العربيّ، ط. إلكترونيّة.
- سيرل، جون، العقل واللّغة والمجتمع، ت. سعيد الغانمي، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
- صفدي، مطاع، ماذا يعني أن نفكّر اليوم، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ط2، 2016.
- صفوان، مصطفى، الكلام أو الموت، ت. مصطفى حجازي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، لبنان، ط1، 2018.
- صفوان، مصطفى، حب الله، عدنان، إشكاليّات المجتمع العربيّ، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- الوردي، علي، خوارق اللاشعور، شركة الوراق للنّشر المحدودة، بغداد، العراق، 2015.

يونغ، ج

- دليّة الأنا واللاوعي، ت. نبيل محسن، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 1997.

# كتاب العدد

## ديوان أماليد لا ترضى اليباس
## للشاعر الحقوقي الأستاذ: يحيى سليمان الإمام
### الصادر عن دار النهضة العربية –بيروت 2018-1-5








**قام بنقده وتقديمه: الأستاذ الدكتور علي مهدي زيتون**

رئيس قسم اللغة العربية في الجامعة اللبنانية
ورئيس مجلس أمناء جامعة المعارف – بيروت
a.m.zaitoun@hotmail.com

لعلّ القضيّة الأولى التي تثيرها مجموعة يحيى الإمام الشعريّة الموسومة بعنوان "أماليد لا ترضى اليباس"، هي علاقة الشاعر بالمتلقي، ونجاح هذه العلاقة هي المؤشر الأساسي لنجاح القصيدة. لا يمكن لشاعر، مهما علا أوسه، أن يكتب قصيدة من دون الحضور القبلي للمتلقي الذي يتناسب مستواه الثقافي مع مستوى تلك القصيدة. ذلك أن الحضور القبلي هو المؤسّس القويّ للكتابة. تختل هذه العلاقة إذا فرض القارئ، لسبب غير فنيّ، على الشاعر ما يقول، أي أن تتعالى قاعدة المسايرة فتخترق رؤية الشاعر، وتحدّد لها ما ترى.

فالشعر، أولاً وأخيراً، أسلوبٌ من أساليب القول قائم على ثلاثيّة. تبدأ برؤية الشاعر إلى العالم، أعني بها ثقافته، وتمرّ عبر العالم المرجعي، أعني به المادّة التي تشكّل موضوع القصيدة، لتنتهي باللغة التي يعبّر بها عن العمق الذي التقطته الرؤية من بين أعماق العالم المرجعي. وإذا كانت الرؤية بصمة لا تماثلها بصمةٌ أخرى، فإنّ العمق الذي نفذت إليه هو عمق خاصّ بهذه الرؤية، في اللحظة التي توجّهت بها إلى تلك المادّة. وتأتي اللغة، بناء على هاتين المقدّمتين، لتمثّل خصوصيّة وفرادة هي رأس مال الشاعر. كيف لا، ولا يكون الشاعر شاعراً إذا لم تكن الفرادة سمة قصيدته المحورية.

ولئن مثلت هذه الثلاثيّة الرأي العلميّ في الشعر، فإنّ وضعيّة الملتقي ومستواه الثقافي من جهة، واللحظة التاريخيّة السياسيّة التي قيلت فيها القصيدة من جهة ثانية، سيكونان عاملين

حاضرين في تحديد البُعد الوظيفي للنصّ الشعري. وإذا هدفت القصيدة، وهي مكتوبة لملتقٍ، إلى أسر ذلك الملتقي إلى عالمها، فإنّ نجاحها متمثّل بالانخطاف الذي يشعر به حين يستمع إليها. وغياب مثل هذا الانخطاف يعني غياب القصيدة نفسها، تكون محض تكلّم.

ويبقى أن قصيدة يحيى الإمام هي التي استدعت هذه المداخلة النظريّة. ذلك أن قصيدته تنتمي بقوّة إلى ما كنّا نصفه بالشعر الملتزم الذي يقوم على تحريض المظلوم وعلى التشهير بالظالم. فحرارة الاندفاعة التي عرفها شبّان الستينيات والسبعينيات من القرن المنصرم جعلتهم لا يستسيغون أيّة قصيدة لا تشكّل القضايا الكبرى سمتها الأساسيّة: من تحرير فلسطين، إلى الوحدة العربية، إلى العدالة الاجتماعية. وإذا ما بقيت هذه القضايا الثلاث حلماً بقطع النظر عن مدى محافظة هذا الحلم على فعاليته وحضوره، فإنّ رجالاً مثل يحيى الإمام، ولو كانوا قلّة، ما زالوا قابضين على جمر هذه القضايا.

كيف لا، وعنوان مجموعته "أماليد لا ترضى اليباس"، تعبيّر قويّ عن ثقة الشاعر الكبيرة بقضيّته، وغمزٌ واضح من قناة الكثيرين الذين تسرّب الإحباط إلى نفوسهم، وغزا الركون والوهن عقولهم؟ فالمسألة بالنسبة إلى يحيى قرار. إمّا أن ترضى اليباس فتسقط، وإمّا ألاّ ترضاه فتكون مقاوماً حقيقيّاً للزمن الصعب وللمناخ الصحراوي المنقضّ على الأماليد قاصداً إيباسها.

ويأتي إهداؤه المجموعة إلى والده الشهيد المجاهد سليمان الإمام ليشكّل إشارة واضحة إلى عدم رضى يحيى باليباس من ناحية، وإلى تفرّغه ليتحمّل الأمانة التي خلّفها له والده شهيدُ الدفاع عن عروبة فلسطين من ناحية أخرى. كيف لا، والأب الشهيد هو أحد الفدائيين الأوائل الذين عبّدوا الطريق إلى فلسطين الحبيبة.

وهو حين يخاطب والده ساخراً:

أمّا بعد فقد نصر اللهُ العربا (ص 8)

فإن سخريته هذه مفعمة بالاحتقان الذي يضمر رسائل حزينة يتآكلها القهر متعدّية إلى الحاكم العربي المتخاذل من جهة، وإلى الإنسان العربي من جهة ثانية، علّها تنفذ إلى أعماق وجدانه فتحرّك ما ترسّب فيه من حماس للقضيّة. وأكثر ما يوجع في خطابه إشارته إلى انقلاب المقاييس.

أمّا أنت فسوف يحاكمك التاريخ؛

لأنك أورثت الإرهاب لجيل يحترف الغضبا...

أمّا أنت فسوف يعاقبك القانون؟

لأنّك علّمت الأغوار دروساً في التخريب (ص 8)

ولا يملك القارئ دمعته حين يستمع إلى يحيى وهو يقول:

الآن جوادك في العرقوب يحنّ إليك...

يغار عليك..

يسأل عنك وفود الصلح ولا يخجل (ص 9)

ولئن كانت هذه القصيدة وجدانية بقدر ما هي ملتزمة، استطاعت أن تحكّ الذات على محك قضيّة الأمّة الكبرى، فإنها كانت خطاباً موجها إلى الضمير العربي يطالبه بتحديد موقف من الثنائيّة الضديّة: (النظام العربي المستسْلم المتآمر/ القضيّة الكبرى وشهداؤها). لقد كانت هذه القصيدة صرخة في هذا الفضاء العربيّ الموبوء، صرخة ما زالت مؤمنة بقوتها وبقدرتها على الفعل. هي صرخة مقاومةٌ لإمكانية يباس الأماليد .

ولئن كانت الخطابيّة هي النمط السائد في قصيدة يحيى الإمام، والخطابيّة نمط أسلوبيّ متسّق مع مذهب الالتزام الشعري الحريص على تثوير القارئ، إلاّ أن خطابيّة القصيدة اليحيويّة غير غارقة في المباشرة التي تقوم على نظم إيقاعي لأفكار وشعارات معروفة مسبّقاً. هي خطابيّةٌ الشعريةُ سمتُها الأساسية، خصوصاً أنّ الشاعر لا يتوجّه إلى المتلقي بالخطاب، يتوجّه به إلى جهة تعنيه وتعني متلقّيه. يخاطب القدس قائلاً:

قومي لأجل محمد وتوضّئي    من دمع غزّة أو غدير دماكِ

وتضرّعي ليعيش طفلٌ ثائر    حافٍ يدوس اللؤم في الأشواكِ

لقد خرجت دعوتُه القدسَ إلى الوضوء بالقدس من هويتها الوضوعية بوصفها مدينة ليجرّد منها فارساً مسلماً مستعدّاً للنزال. وهذا الوضوء لم يكن وضوءاً عادياً. كيف لا، وماؤه دمع غزّة ودم القدس نفسها؟ إنه وضوء ثوريّ مقاوم. لقد حُمِّلت الخطابيّة، هنا، من الايحائيّة الشعريّة ما حُمِّلت. وينتقل يحيى بالخطابية نقلّة جديدة متوغلة في دنيا الشعريّة، عندما يطلقها على لسان طفل مقدسيّ ثائر يسير إلى الموت بعين لا يرفّ لها جفن.

ويموت ثم يقول:

لا يا سارقا    مني تراب القدس لست بباكِ

سأعود ثانية وأحمل رايتي    يا قدس أفدي بالدما أقصاكِ (ص 15)

لقد انشقت الخطابيّة، عند يحيى، عن أصلها الذي كان لها في سبعينيات القرن الماضي، جافت المباشرة، لتعبّر بلغة شعريّة رائقة، عن رؤية يحيى إلى قضيّة القدس، وإلى قضيّة الرجال المستشهدين بين يديها. لقد ساق التركيب الموت ليصبح حياة، حياة ناطقة تمثّل وقفة عزّ أومأت إليها الكناية اليحيويّة: (يا سارقاً ـ مني تراب القدس لست بباك)، فتبدّت موقفا شديد الصلابة يحتار الذهن في تصوّر أبعاده.

ولا يقلّ خطابُه السيد حسن نصر الله شعريّةً عن خطابه القدس. وكان كنزك وعدا صادقاً، فأنا قد صرت ألمح في مسراك طيف أبي (ص 42).

ذلك أن صدر البيت لا يمثّل خصوصيّة نصر الله الجهاديّة، بقدر ما هو تعريض بمالكي

الكنوز الذين اتّهموا وعده الصادق بالمغامرة، قصد تشويه الحقيقة لصالح العدو الإسرائيلي. والكناية في عجز البيت لا تعبّر عن حال وجدانيّة خاصة بيحيى ابن الشهيد الذي قضى على درب القدس، بقدر ما تقرأ بعين الغيب الدرب الذي اختطّه سيّد المقاومة والذي سيوصل حتما إلى القدس .

ولئن حملت خطابيّة يحيى هذا القدر من الشعريّة، فكيف بقصائده التي تجاوز فيها تلك الخطابيّة، خصوصاً في قصيدته الخاصة بالشيخ الشهيد المجاهد أحمد ياسين. فما أحيلى ذلك التساؤل الذي يفيض شعراً على لسانه:

من قال: الشيخ الثائر ماتْ؟

فالشيخ يطوف على الأمصار على صهوة تلك الغيماتْ (ص 23).

إنّ الاستفهام الانكاري الذي عمر به السطر الشعريّ الأول، لا يستدعي إجابة، ولكنّه يطرح مسألة دقيقة عبر إعادة التعريف بمعنى الموت. يلفت الانتباه إلى موت هو الحياة، موتٍ يسبغ الاستمرارية على مفاعيل الشهادة، فيجعلها عابرة للزمان . والصورة التي أعقبت ذلك الاستفهام (فالشيخ يطوف على الأمصار على صهوة تلك الغيمات)، إنّما ترسّم لنا الشهادة فعلاً عابرا الحدود، مبشرّاً بالتغيير الذي يعود بالخير العميم على فلسطين وعلى الأمة.

يبقى أننا أمام شاعر واعد. أنبأتنا مجموعته الأولى بثقافة وطنية عميقة، وموقف إخلاقي راقٍ قدّماه حمّالَ همّ، ملتزما. وهي ثقافة، وإن طرحت على التردي العربيّ أسئلتها المرّة، فإنّها قد طرحت على ثقافة العصر أسئلتها الأخلاقية والوطنية المرّة نفسها. أسئلة لم تستطع الإجابة عنها سوى تجربتي غزّة وجنوب لبنان. وشاعر هذه وضعيّته مطالب بامتلاك ثقافة نقديّة أدبية تناسب موهبته وأخلاقياته، فيتجاوز الخطابية إلى ما بعدها، ليجعل من قصيدته سؤالاً محرِجاً يُطرَح على ثقافة العصر، فلا تستطيع الإجابة عنه.

# 6- Références bibliographiques


1-Amri R, 2014 : Estimation régionale de l'évapotranspiration sur la plaine de Kairouane (Tunisie) à partir de données satellites multi-capteurs. Hal, archives-ouvertes, 176p.

2-Ardoin S., 2000 : Prise en compte des spécificites de l'évapotranspiration en zone semi-aride dans la modélisation globale de la relation pluie-débit. Mémoire de DEA, sciences de l'eau dans l'environnement continental, 114p.

3-Bouteldjaoui F, Bessenasse M, Guendouz A., 2011 : Etude comparative des différentes méthodes d'estimation de l'évapotranspiration en zone semi-aride (cas de la région de Djelfa). Nature et technologie, pp109-116.

4-Gaufichon, L., Prioul, J.L., Bachelier, B., 2010. Quelles sont les perspectives d'amélioration génétique deplantes cultivées tolérantes à la sécheresse ? Fondation FARM.

5-Hamimed A, Nehal L, Khaldi A, Azzaz H, 2014 : Contribution à la spatialisation de l'évapotranspiration d'un agro-système semi-aride en Algérie par utilisation de la télédétection et du modèle METRIC, Physio-Géo, volume 8, 58p.

6-Kehdy N., 2013 : la gestion intégrée quantitative de la ressource en eau souterraine, cas du Caza de Zahlé. Thèse présentée en vue de l'obtention du doctorat, Université Saint-Joseph, Beyrouth, 330p.

7-Lambert S, 2011 : Impacts des changements climatiques sur la disponibilité de l'eau dans le sud de Québec. Essai présenté au Centre Universitaire de Formation en Environnement en vue de l'obtention du grade de maître en environnement, 58p.

8-Le Bourgeois F., 2010: Cours de bioclimatologie à l'usage des forestiers, institut des sciences et industries du vivant et de l'environnement, 245p.

9-Lecarpentier C., 1975 : l'évapotranspiration potentielle et ses implications géographiques. Annales de géographie, pp. 385- 414.

10- Mjejra M., 2016 : Etude de l'évapotranspiration dans le bassin versant de Mjerda (en Tunisie) : apport de la télédétection satellitaire et des systèmes d'information géographiques. Hal, archives-ouvertes, 300p.

11- Thornthwaite, C. W., 1944. Report of the committee on transpiration and evaporation. Trans. Am. Geophys. Union, 5: 687 pp.

12- World Water Forum, 2011.Background Note for the Thematic Priority "Contribute to Food Security by Optimal Use of Water" of the World Water Forum 6. Draft May 2011. Thematic Process Core Group.

élevées, notamment durant la période printanière et estivale.

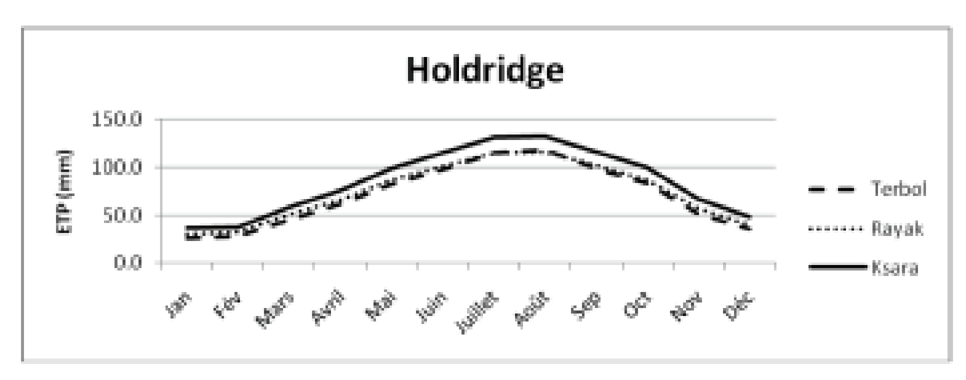



**Figure 5 : Moyenne mensuelle de l'ETP estimée par la méthode de Holdridge, pour la période 1998-2011.**

Cet écart entre la station urbaine (Ksara) et les deux autres, plus rurales (Terbol et Rayak) pourrait s'expliquer par le paramètre température des deux formules de l'ETP, notamment chez Holdridge. Ce paramètre climatique est remarquablement plus élevé dans la station de Ksara à cause de sa nature urbaine (îlot de chaleur urbain) et à cause de sa position géographique sur les versants Est du Mont-Liban où elle subirait l'effet de foehn qui engendre un réchauffement intense.

## 5- Conclusion

L'évapotranspiration potentielle, qui traduit la "demande en eau" du climat, a été estimée par différentes méthodes en se basant sur les variables climatiques relevées au niveau des stations météorologiques de Terbol, Tal El Amara (Rayak) et Ksara durant la période 1998-2011.

L'analyse comparative des résultats obtenus permet de mettre en évidence :

A l'échelle annuelle, la formule de Blaney-Criddle semble estimer le mieux l'évapotranspiration potentielle dans les régions semi-arides comme celles de la Beqaa, avec peu d'écarts dans les résultats entre les stations. La formule de Thornthwaite semble fortement surestimée l'ETP alors que celle de Papadakis la sous-estime considérablement.

A l'échelle mensuelle, l'estimation de l'ETP est plus problématique. La méthode de Blaney-Criddle conduit à une meilleure approximation de cette composante pour les deux périodes printanière et estivale, tandis que la méthode de Holdridge serait plus adaptée pour la période automnale.

L'évolution mensuelle calculée de l'ETP mensuelle basée sur le critère thermique montre une différence selon les caractéristiques géographiques de la station. Les deux stations rurales (Terbol et Rayak) semblent avoir le même comportement alors que le site urbain connaîtrait une ETP bien plus élevée.

Cette première approche montre la difficulté d'estimer l'ETP en l'absence de stations de mesures d'une part et, d'autre part, l'importance des caractéristiques géographiques des sites. Ainsi, compte tenu de l'importance de l'ETP, notamment dans une région comme la Beqaa, il s'agira de l'appréhender dans sa dimension spatiale afin de pouvoir mettre en relation l'occupation du sol, l'ETP et l'évapotranspiration réelle (ETR).

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| Juillet | 173.1 | 168.0 | 115.3 | 2.9 | 33.4 |
| Août | 140.6 | 154.2 | 118.7 | -9.7 | 15.6 |
| Sep | 100.2 | 136.0 | 99.3 | –35.7 | 0.9 |
| Oct | 80.5 | 111.9 | 85.9 | –39.0 | -6.7 |
| Nov | 46.2 | 66.9 | 52.7 | -44.8 | -14.0 |
| Déc | 34.1 | 38.0 | 39.6 | –11.4 | -16.1 |

**Tableau 5: Ecart relatif de la moyenne mensuelle des deux méthodes d'estimation del'ETP (Blaney-Criddle et Holdridge) comparées à celle de l'ETP moyenne mesurée dans la station de Tall El Amara (Rayak) pour les années 2009, 2010 et 2011.**

### 4.1.2- Evolution temporelle

Une approche comparative de l'évolution temporelle des moyennes de l'ETP, tels que calculées par Blaney-Criddle (Figure 4) pour la période retenue et sur les 3 stations montre une bonne correspondance des résultats pour la période automnale et hivernale. On relève un léger décrochement pour ksara en été. L'ETP y est bien plus élevée qu'ailleurs.

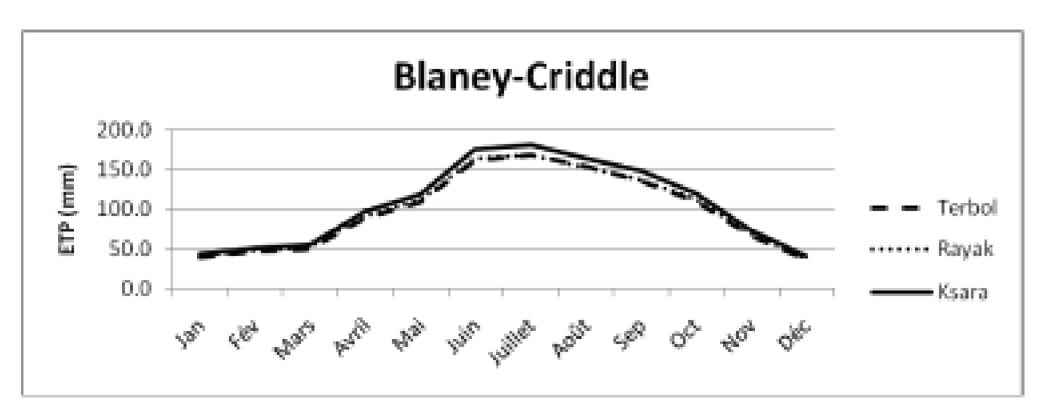



**Figure 4 : Moyenne mensuelle de l'ETP estimée par la méthode de Blaney-Criddle pour la période 1998-2011.**

Cette augmentation estivale revient à la présence de la sécheresse pendant les mois de l'été, où les précipitations sont quasi absentes, avec une élévation de la température, augmentation de la radiation solaire et de la quantité de l'évaporation accompagné avec une diminution de l'humidité. L'écart entre le maximum estivale et le minimum (fig. 5) hivernale et plus de 350 mm selon Blaney-Criddle et plus de 230 selon Holdridge, cette situation oblige les agriculteurs à augmenter leurs heures d'irrigation en augmentant le débit de prélèvement des puits, en créant ainsi une pression accrue sur les ressources en eau souterraines.

Avec Holdridge, si les courbes de Rayak et Terbol sont bien confondues (Figure 5), On remarque que Ksara donne des résultats supérieurs, notamment en été, aux deux autres stations. Si les courbes de Rayak et Terbol sont confondues chezHoldridge, on constate qu'à Ksara les valeurs restent plus

| Année | Blaney-Criddle | Holdridge | Papadakis | Thornthwaite |
|---|---|---|---|---|
| 2009 | 1 | 34.4 | 36.2 | -90.2 |
| 2010 | -7 | 16.4 | 43.8 | -130 |
| 2011 | -23.9 | 11.9 | 46.3 | -160.5 |

**Tableau 4 : Ecart relatif des différentes méthodes d'estimation de l'ETP comparées à celle de l'ETP moyenne mesurée dans la station de Tall El Amara (Rayak) pour les années 2009, 2010 et 2011.**

ETPi : ETP calculée par les méthodes empiriques utilisées.

L'analyse comparative entre les résultats annuels obtenus par les méthodes empiriques avec les valeurs mesurées de la station de Tall El Amara (Rayak) pour les années 2009 et 2010 (tableau 3 et 4) permet de mettre en évidence que l'ETP calculée par la méthode de Blaney-Criddle est celle qui est la plus proche des données mesurées (écart variant entre 1% et -7%). L'année 2011 est plus problématique puisque Holdridge est la formule qui donne les résultats théoriques ayant l'écart le plus faible (12%) avec les données relevées (tableau 4). Quelle en serait la raison ? Causes métrologiques (qualité des données, lacunes, interruption des données) ou météorologiques?

En se basant sur les années 2009-2010, il s'avère que Blaney-Criddle donne les meilleurs résultats. Cette conclusion correspond à celle de Bouteldjaoui et al., 2011, qui a travaillé sur une zone semi-aride, la région de Djelfa en Algérie. L'auteur a démontré que l'ETP calculée par la méthode de Blaney-Criddle a conduit à une bonne estimation de cette composante climatique. De plus, cette méthode a été utilisée avec succès, dans la région de Rio Negro, une des provinces méridionales de la République Argentine à contexte climatique sub-aride. Cependant, la transposition de la formule deBlaney-Criddle à d'autres climats, notamment aux climats humides, s'avère inadéquate et conduit à des résultats souvent erronés et très surestimés, au contraire de la méthode de Thornthwaite qui est valable pour ces régions (Lecarpentier, 1975).

L'analyse des ETP mensuelles (tableau 5) montre une différence selon les saisons : Holdridge donne les écarts les moins importants (de 0.9 à 14%) pour l'automne. Blaney-Criddle donne de très bons résultats pour l'été (0.1 à 9.7%) alors que pour l'hiver et le printemps les ER varient de 11.4 à 28.7%.

| Mois | ETP mesurée (mm) | ETP Blaney-Criddle (mm) | ETP Holdridge (mm) | ER Blaney-Criddle | ER Holdridge |
|---|---|---|---|---|---|
| Jan | 35.3 | 42.6 | 34.0 | -20.7 | 3.7 |
| Fév | 40.6 | 48.8 | 32.5 | -20.3 | 20.1 |
| Mars | 70.5 | 50.2 | 47.3 | 28.7 | 33.0 |
| Avril | 98.9 | 89.4 | 61.3 | 9.6 | 38.0 |
| Mai | 133.2 | 109.3 | 83.1 | 17.9 | 37.6 |
| Juin | 162.3 | 162.5 | 99.5 | -0.1 | 38.7 |




**Fig. 3 : Moyenne annuelle de l'évapotranspiration potentielle estimée (en mm/an) selon 4 formules empiriques, pour la période d'étude 1998-2011.**

**Quant aux deux autres formules, elles donnent des valeurs moindres. On obtient 929 mm en moyenne pour Hodridge et 617 mm pour Papadakis (avec des différences significatives entres les stations). On observe une différence de plus de 76 % entre les résultats de Thornthwaite et Papadakis.**
**Compte tenu de ces différences dans les résultats, nous avons voulu comparé sur le seul site qui mesure l'ETP, Talla amara, les résultats calculés aux données mesurées en se basant sur les valeurs de l'écart relatif « ER » (Boutekdjaouiet al., 2011).**
**L'écart relatif est défini par :**
**ER = (ETP mesuré – ETPi) / ETP mesuré × 100 eqn 5**
**Dans laquelle :**

| Année | Blaney-Criddle (mm) | Holdridge (mm) | Papadakis (mm) | Thornthwaite (mm) | ETP mesurée (mm) |
|---|---|---|---|---|---|
| 2009 | 1164.5 | 844.7 | 822.2 | 2451.5 | 1288.5 |
| 2010 | 1222 | 947.4 | 637.2 | 2611.5 | 1133.3 |
| 2011 | 1147.1 | 814.8 | 497.1 | 2410.6 | 925.3 |

**Tableau 3 : Valeurs annuelles de l'ETP calculées par les différentes formules dans la station de Tell El Amara (Rayak) pour les années 2009, 2010 et 2011.**

## 3.2- Formules hygrométriques

### a- formule de Papadakis

ETP = 5.625 (ea – e)   eqn 4

ea(mb) = tension de vapeur saturante de la température maximale moyenne (Tableau 2 )

e (mb) = tension moyenne de vapeur

| T (° C) | Pr. de vapeur saturante (Pa) | T (° C) | Pr. de vapeur saturante (Pa) | T (° C) | Pr. de vapeur saturante (Pa) | T (° C) | Pr. de vapeur saturante (Pa) |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| - 29 | 42.17 | -9 | 283.93 | 11 | 1312.7 | 31 | 4495.9 |
| - 28 | 46.73 | -8 | 309.98 | 12 | 1402.6 | 32 | 4758.5 |
| -27 | 51.74 | -7 | 338.19 | 13 | 1497.8 | 33 | 5034.3 |
| -26 | 57.25 | -6 | 368.74 | 14 | 1598.75 | 34 | 5323.9 |
| -25 | 63.29 | -5 | 401.76 | 15 | 1705.5 | 35 | 5627.8 |
| -24 | 69.91 | -4 | 437.47 | 16 | 1818.4 | 36 | 5946.6 |
| -23 | 77.16 | -3 | 476.06 | 17 | 1938.0 | 37 | 6281.0 |
| -22 | 85.10 | -2 | 517.72 | 18 | 2064.3 | 38 | 6631.5 |
| -21 | 93.78 | -1 | 562.67 | 19 | 2197.8 | 39 | 6998.7 |
| -20 | 103.26 | 0 | 611.15 | 20 | 2338.8 | 40 | 7383.5 |
| -19 | 113.62 | 1 | 657.1 | 21 | 2487.7 | 41 | 7786.3 |
| -18 | 124.92 | 2 | 706.0 | 22 | 2644.8 | 42 | 8208.0 |
| -17 | 137.25 | 3 | 758.0 | 23 | 2810.4 | 43 | 8649.2 |
| -16 | 150.68 | 4 | 813.5 | 24 | 2985.1 | 44 | 9110.7 |
| -15 | 165.30 | 5 | 872.5 | 25 | 3169.2 | 45 | 9593.2 |
| -14 | 181.22 | 6 | 935.3 | 26 | 3363.1 | 46 | 10097.6 |
| -13 | 198.52 | 7 | 1002.0 | 27 | 3567.3 | 47 | 10624.6 |
| -12 | 217.32 | 8 | 1072.8 | 28 | 3782.2 | 48 | 11175.1 |
| -11 | 237.74 | 9 | 1148.1 | 29 | 4008.3 | 49 | 11750.0 |
| -10 | 259.90 | 10 | 1228.0 | 30 | 4246.0 | 50 | 12349.9 |

Tableau 2: Pression de saturation (eam) en fonction de la température maximale moyenne.

## 4- Résultats et discussion

### 4.1- Choix des formules convenables pour la région d'étude

Les résultats de l'ETP calculés font apparaître de grandes différences (fig. 3)

#### 4.1.1- Comparaison des résultats de l'ETP

La figure 3 montre que la moyenne de l'ETP, telle que calculée par Blaney et Criddle, est de l'ordre de 1218 mm. Les écarts entre les stations sont faibles : moins de 5% (pourcentage d'erreur acceptable). Thornthwaite donne une valeur moyenne d'ETP bien plus élevée, de l'ordre de 2574 mm. Par contre les écarts entre les stations pour Thornthwaite sont plus importants, ils sont de l'ordre de 7 à 10%.

## b- Méthode de Thornthwaite (1944)

La formule de Thornthwaite est utilisée lorsqu'on ne dispose que de la température comme seule donnée climatique. Elle exprime l'évapotranspiration potentielle (ETP) par la formule suivante :

$$Etp = 16 * \left[\frac{10 * T(m)}{I}\right]^{a} * F(m,\varphi)$$ $$Etp = 16 * \left[\frac{10 * T(m)}{I}\right]^{a} * F(m,\varphi)$$

equ.2

Dans laquelle :

ETP : Evapotranspiration moyenne du mois (m=1 à 12) en mm,

T : Moyenne interannuelle des températures du mois, oC,

a: 0.016 * I +0.5

I :Indice thermal annuel

$$I = \sum_{m=1}^{12} i(m)$$ $$I = \sum_{m=1}^{12} i(m)$$

$$i(m) = \left[\frac{T(m)}{5}\right]^{1.514}$$ $$i(m) = \left[\frac{T(m)}{5}\right]^{1.514}$$

F(m) : Facteur correctif fonction du moi (m) et de la latitude (tableau 1)

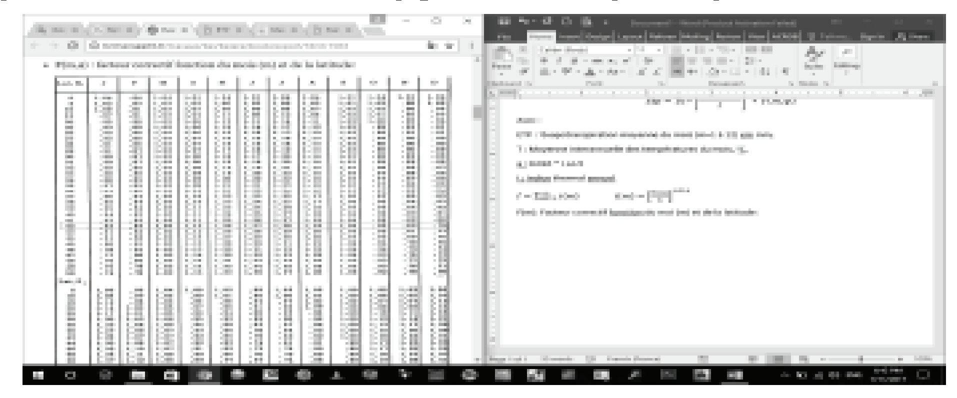


Tableau 1 : Facteur correctif fonction du moi (m) et de la latitude

## c- Formule de Holdridge

Dans ce cas, l'ETP est considérée comme une fonction linéaire de la température. La formule ne nécessite pas de coefficient régional ou cultural. Cependant, le coefficient de t varie selon les mois. La formule est la suivante :

ET mm/mois = 5 t (mois de 31 jours) equ.3 a)

=4,84 t (mois de 30 jours) equ. 3 b)

=4,56 t (Février) equ. 3c)

Dans laquelle :

t = température moyenne en ° C

La plaine de la Beqaa est essentiellement agricole. Les espèces plantées sont fortement consommatrices d'eau. L'exemple de la pomme de terre est le plus significatif. Elle constitue 65% de la production de la région. Le blé (20%) est irrigué par aspersion notamment en début de saison estivale. Le reste, comme les légumes ou la vigne (15 % de la production), ne constitue pas une menace réelle pour la ressource en eau. Les potagers sont irrigués au goutte-à-goutte et la vigne, bien qu'irriguée par des canaux, ne constitue que 4 % de l'activité agricole (Kehdy, 2013). En ce qui concerne les deux contreforts du Mont-Liban et de l'Anti-Liban, les agriculteurs ont transformé leurs versants en des terrasses plantées essentiellement de cerisiers qui ne nécessitent pas d'irrigation. Cette espèce constitue 5% de la surface agricole totale de notre région d'étude (Kehdy, 2013).

Par conséquent, le caza de Zahlé est une zone d'étude intéressante pour l'estimation de l'évapotranspiration potentielle à cause, notamment, de ses enjeux économiques et agricoles.

## 3- Méthodologie

Les formules mises au point pour calculer l'évapotranspiration potentielle sont nombreuses. Selon les paramètres climatiques qu'elles intègrent trois catégories apparaissent : i) les formules thermiques basées sur un seul élément climatique « la température », ii) les formules hygrométriques qui utilisent le déficit de saturation, iii) les formules énergétiques qui incluent le bilan radiatif.

Compte tenu de notre réseau météorologique insuffisant et en fonction des paramètres climatiques disponibles, nous n'avons pu traiter que les formules appartenant au deux premières catégories. Les données météorologiques de 3 stations (Ksara, Terbol et Rayak) ont un pas de temps mensuel pour la période allant de 1994 à 2011. Cette période fournit une série complète de données indispensables (température et humidité) pour le calcul de l'ETP par les formules retenues. La densité du réseau apparait faible, mais on peut considérer que ces stations sont assez représentatives du Caza. Les résultats obtenus ont pu être comparés aux données de l'ETP mesurée par la station de Talla Amara qui ne disposé que de 3 années de relevés (2009, 2010 et 2011).

### 3.1- Formulesthermiques

### a- Blaney-Criddle (1945)

Une des plus connues et plus anciennes formule de l'ETP est celle de Blaney et Criddle (Lecarpentier, 1975)

ETP (pouces) = k t p / 100        equ.1

Dans laquelle :

t = température moyenne de la dite période en°F

p = durée d'éclairement de la période exprimée en pourcentage de la durée éclairement de l'année entière

k = coefficient variable en fonction de la région et des cultures (K = 0.7 )

Aussi avons-nous comparé ces différentes approches afin d'identifier la méthode la plus adaptée à une zone, comme celle de la Beqaa (plaine intérieure du Liban), qui est située à la lisière des milieux arides et semi-arides.

**2- Présentation de la zone d'étude**

Notre zone d'étude, est située dans la plaine de la Béqaa centrale entre les deux chaines de montagnes du Mont-Liban et de l'Anti-Liban, sur une superficie d'environ 28150 hectares. Cette région est délimitée par le Caza de Baalbeck au Nord, la Syrie à l'est, les Caza de Joub Jannin et de Rachaya au Sud et le Mont-Liban à l'Ouest (Figure 1). Elle est traversée par le Litani, et comprend plusieurs aquifères contenants des sources émergentes comme Nabaa el Berdawni (Kehdy, 2013).

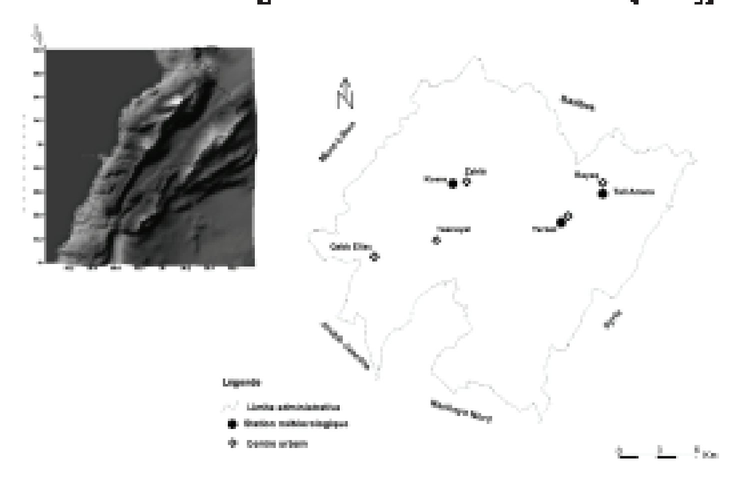


**Figure 1- Localisation de la zone d'étude**

Le climat est de type continental. La pluviométrie ne dépasse pas le 650 mm/an pour la période 1998-2011 (Figure 2). D'après Balaj et Raghawan (2000), les 2/3 des précipitations retournent à l'atmosphère par évapotranspiration. La température moyenne annuelle est de 14.3°C pour les stations rurales (Terbol et Rayak) et 17 °C pour la station urbaine de Ksara. L'humidité relative moyenne annuelle est de l'ordre de 55% pour la plaine (Observatoire du Ksara, Institut des Recherches Agronomiques Tell-Amara, INCARDA Terbol).

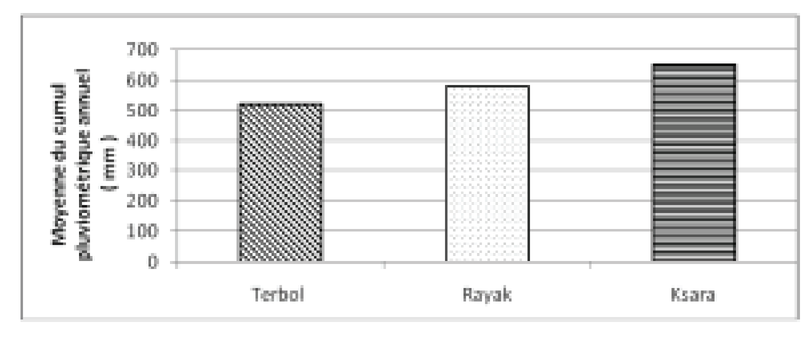



**Figure 2- Moyenne du cumul pluviométrique pour 3 stations de la Béqaa Centrale (1998-2011)**

Ce paramètre permet de comprendre les mécanismes régissant les relations entre les eaux de surface et les eaux souterraines, d'évaluer les fluctuations du niveau piézométrique des nappes phréatiques et aussi d'estimer les besoins en eau d'irrigation (Sirimed, 2012 in Hamimed et al., 2014).
Les formules mises au point pour calculer l'ETP sont nombreuses (Lecarpentier, 1975), elles peuvent être thermiques (Blaney–Criddle, Holdridge, Thornthwaite, ...), hygrométriques (Olivier et Papadakis, Hargreaves, ...) ou énergétique (Turc). Aussi avons-nous comparé ces différentes approches afin d'identifier la méthode la plus adaptée à une zone, comme celle de la Beqaa (plaine intérieure du Liban), qui est située à la lisière des milieux arides et semi-arides.
Le calcul de l'ETP, pour la région de la Béqaa centrale (Caza de Zahlé), était basé sur une série des données climatiques (température, humidité relative) des stations météorologiques de Ksara, Rayak et Terbol, pour la période allant de 1998 à 2011.
Mots clés : Evapotranspiration potentielle, agriculture, Beqaa Centrale.

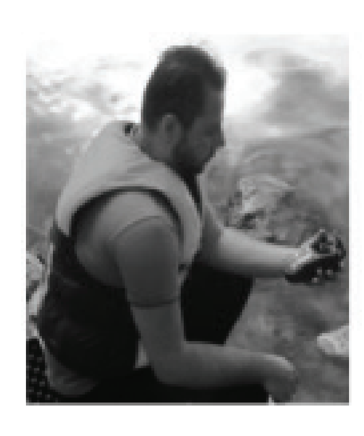
## 1- Introduction

L'augmentation de la population mondiale de 7 milliards d'habitants en 2011 à 9 milliards en 2050, ainsi que les incertitudes de plus en plus fortes liées notamment au changement climatique (l'augmentation anticipée des températures et la fréquence des événements extrêmes comme la sécheresse et les vagues de chaleur), pourraient provoquer une diminution des ressources en eau aux basses et moyennes latitudes, ainsi que dans les zones arides et semi-arides (World Water Forum, 2011; Gaufichon et al., 2010)

Par conséquent, il s'avère important d'optimiser l'utilisation de l'eau, notamment en agriculture, très hydrophage. Avec 70% de la consommation mondiale d'eau, l'agriculture est sans conteste le secteur d'activité le plus consommateur d'eau. Très souvent traditionnels les dispositifs d'irrigation ont un très faible rendement, et dans nos régions, ce dispositif à ciel ouvert est responsable de pertes d'eau par évaporation. Développer un système d'irrigation qui augmente la productivité de l'eau tout en l'économisant devient une priorité.

Pour accroitre l'efficacité dans l'utilisation de l'eau, il parait important d'estimer l'évapotranspiration potentielle, notamment dans les zones arides ou semi-arides où la valeur moyenne mesurée est aux alentours de 1600 mm/an (Bouteldjaoui et al., 2011). L'ETP représente l'eau susceptible d'être perdue sous forme de vapeur par la végétation et le sol quand l'eau ne constitue pas un facteur limitant de son développement (Lebourgeois, 2010, Mjejra, 2016, Thornthwaite, 1944). Les variations de l'ETP dans le temps sont fonction des caractéristiques de la surface évaporante et du pouvoir évaporant de l'atmosphère (c'est-à-dire des caractéristiques climatiques).

Cependant, l'ETP est une donnée très difficile à obtenir dans des pays qui manquent de stations synoptiques. Aussi, elle peut être calculée à partir de formules plus ou moins complexes suivant la quantité de données climatiques disponibles. Les formules mises au point pour calculer l'ETP sont nombreuses (Le Carpentier, 1975), elles peuvent être thermiques (Blaney-Criddle, Holdridge, Thornthwaite, ...), hygrométriques (Olivier et Papadakis,, Hargreaves,...) ou énergétique (Turc).







**D. Naji Kehdy** **D. Jocelyne Adjizian Gérard** **D. Georges Karam**

# Estimation et Variabilité de l'Evapotranspiration Potentielle dans une Zone à Stress Hydrique La Béqaa (Liban)


1- Naji Kehdy: Département de Géographie Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Université Libanaise. naji.kehdy@hotmail.com

2- Jocelyne Adjizian Gérard: climatologue et chef de Département de Géographie a l'Université Saint-Joseph. Jocelyne.gerard@usj.edu.lb

3 - Georges Karam: CREEMO, Département de Géographie (FLSH, Université Saint-Joseph) Georges_k84@hotmail.com



**ملخص:**

تتطلب الإدارة المستدامة للموارد المائية وبخاصة تلك المتعلقة بالزراعة، فهماً جيداً لعناصر الميزان المائي. ويعتبر التبخر-النتح واحداً من أهم هذه العناصر: فهو يسهم في فهم الآليات التي تحكم العلاقات بين المياه السطحية والجوفية، بالإضافة إلى أنه يساهم في تقييم تذبذبات مستوى المياه في الخزان المائي الجوفي وفي تقدير الاحتياجات المائية المطلوبة للري.

يوجد الكثير من المعادلات التي تستخدم لاحتساب مؤشر التبخر- النتح، منها التي تعتمد على درجات الحرارة (بلاني – كريدل، هولدريج، ثورنثويت)، وأخرى على الرطوبة (أوليفيه، بابادكيس، هارغريفز) أو الطاقة (تورك). لذا قمنا بمقارنة هذه الطرق المختلفة لتحديد الطريقة الأكثر ملاءمة لمنطقة سهل البقاع، الذي يقع على تخوم المناطق القاحلة وشبه القاحلة.

استندنا في احتساب مؤشر التبخر-النتح في سهل البقاع (قضاء زحلة)، على معطيات مناخية (الحرارة والرطوبة النسبية) لمحطات كسارة وعميق وتربل، وذلك للفترة الممتدة من سنة 1998 حتى 2011.



## Résumé

**La gestion durable des ressources en eau et, en particulier, celles qui concernent l'agriculture, nécessite une bonne maîtrise des éléments du bilan hydrique. Un de ses éléments revêt une importance primordiale : l'Evapotranspiration Potentielle (ETP) (Amri, 2014; Lambert, 2011; Ardoin, 2000).**

# باب الجغرافيا

Faculty Research Journal, 20 (4),65-98.

19. Gayford, C. (2003). Participatory methods and reflective practice applied to research in education for sustainability. Canadian Journal of Environmental Education 8(1), 129-142.
20. Gough, A. (2005). Sustainable schools in the UN Decade of education for sustainable development: Meeting the challenge? Southern African Journal of Environmental Education, 23, 48-63.
21. Gruenewald, D. (2015). Accountability and collaboration: Institutional barriers and strategic pathways for place-based education. Ethics, Place and Environment 8(3), 261-283.
22. Hatch,J. (2012). Doing qualitative research in educational settings. Albany, NY: State University of New York Press.
23. Hughes, R. (2002). Planet Earth. New York: Alfred A. Knopf.
24. McDuff, M. (2016). Conservation education and outreach techniques Oxford, UK: Oxford University Press.
25. McKeown, R. (2002). Education for sustainable development toolkit. Waste Management Research and Education Institution. Available online at: http://www.esdtoolkit.org/about.htm
26. Padilla, M. (2011). Environmental education to environmental sustainability. Educational Philosophy and Theory, 33(2), 217-230.
27. Powers, A. (2004). An evaluation of four place-based education programs. Journal of Environmental Education, 35(4), 17–32.
28. Rozzi, R., Massardo, F., Anderson, C., Heidinger, K. &Silander, J.Jr.(2006). Ten principles for biocultural conservation at the southern tip of the Americas: The approach of the Omora ethno botanical park. Ecology and Society, 11(1), 43–77.
29. Sauvé, L. (2017). Environmental education between modernity and postmodernity: Searching for an integrating educational framework. Canadian Journal of Environmental Education, 4(1), 27-56.
30. Savelyeva, S., Savelyev, D., & Cary, M. (2010). Practicing ESD at school. Journal of Education for Sustainable Development 4, (2), 259-269.
31. Scott, W. (2016). Judging the effectiveness of a sustainable school. Journal of Education for Sustainable Development, 3(1), 33–39.
32. Shumba, O., Kasembe, R. Mukundu, C., & Muzenda, C. (2008). Environmental sustainability and quality education: Perspectives from a community living in a context of poverty. Southern African Journal of Environmental Education, 25, 81-97.
33. Sterling, S. (2010). Learning for resilience, or the resilient learner? Towards a necessary reconciliation in a paradigm of sustainable education. Environmental Education Research, 16(5), 511-528.

Stokes, M., Davis, C., & Koch, G. (2005). Categorical data analysis using the SAS System. Cary, NC: SAS Institute, Inc

## References


1. Allen, I. (2005). Embarking on the decade for sustainable development: A Swaziland View. Applied Environmental Education & Communication, 4(3), 283-287.
2. Barbosa, N. (2000). Educating for a sustainable future. Prospects, 30(1), 71-85.
3. Bourn, D. (2005). Education for sustainable development and global citizenship. Applied Environmental Education & Communication, 4(3), 233-237.
4. Burde, D. (2006).Education in crisis situations: Mapping the field. Washington DC: Creative Associates Incorporated and Care.
5. Carlson, C. (2005). Improving the delivery of health and education services in difficult environments: Lessons from case studies. London: HSRC
6. Carvalho, C., De Filho, N., Leal, W.,& William, H. (2009). An analysis of the problems of developing environmental education in protected areas. The Environmentalist, 18(4), 223-229.
7. Cloud, J. (2005). Some systems thinking concepts for environmental educators during the decade of education for sustainable development. Applied Environmental Education & Communication, 4(3), 225-228.
8. Colchado, J. (2003). Engaged institutions: Impacting vulnerable youth through place-based learning. Rural School and Community Trust. Available online at: http://www.ruraledu.org/articles.php?id=2081
9. Creswell, J. (2008). Educational research: Planning, conducting and evaluating quantitative and qualitative research (3rd edition). Upper Saddle River, New Jersey: Pearson Education, Inc.
10. Davies, L. (2004). Education and conflict: Complexity and chaos. New York: Routledge.
11. Edwards, B. (2000). Educational reform and sustainable development. Prospects, 30(1), 57-70.
12. Eilam, E., & Trop, T (2011). ESD Pedagogy: A Guide for the perplexed. Journal of Environmental Education, 42(1), 43-64.
13. Ernst, J., & Monroe, M. (2014). The effects of environment-based education on students' critical thinking skills and disposition towards critical thinking.Environmental Education Research, 10(4), 507-522.
14. Feinsinger, P., Margutti, L., & Oviedo, R. (2007). School yards and nature trails: Ecology education outside the university. Tree 12 (3), 115-120.
15. Fulford, D. (2005). Biodiversity education at a Natural World Heritage site: Kirstenbosch botanical garden. Roots, 2(1): 3.
16. Gadotti, M. (2010). Reorienting education practices towards sustainability. Journal of Education for Sustainable Development, 4(2), 203-211.
17. Gahan, C., &, Hannibal, M. (2015). Doing qualitative research using QSR NUD*IST. Thousand Oaks, CA: Sage.
18. Galang, A. (2001). A post-modern approach: Environmental education. Miriam College

**Previous training in the teaching of Earth education:**

---

**B. Details of the lesson**

**Topic:**

**Was the topic related to Earth education?**

**If not, how were Earth tenets addressed in the topic?**

**Earth education content:**

**What was the Earth education content brought up in the lesson?**

**Knowledge of subject matter:**

**How knowledgeable was the teacher about the Earth education content that she taught?**

**Involvement of students:**

**How did the teacher engage the students in the lesson?**

**Teaching/learning materials:**

**What kind of teaching/learning materials did the teacher use?**

**Assignments:**

**What kind of assignments did the teacher give to the pupils?**

**Were they related to Earth tenets?**

**Reflection questions:**

**a. To what extent do you think you have been successful in integrating Earth education tenets in your lesson?**

**b. Do you use outdoor experiences to teach your lessons?Give reasons for your answer.**

the world is constantly growing larger. One can no longer be a competent citizen, parent, or teacher merely by knowing about one's home community, state, and nation. One must also know a great deal about the world, our Earth.

Ours is a world of crisis and it may continue so for a long time to come. The only thing which seems certain about the world at times is change, and even the tempo of change is accelerated.

It is no simple task to introduce students to this vast, complicated, chaotic, changing world community, our planet Earth. It cannot be done by adding another subject to the already overburdened curriculum; it must be done by having the world dimension added to all phases of existing subjects. It cannot be done by the social studies field alone; it must be done by work in all fields.

The little that parents and teachers can do may seem trivial to them. In such moments it may be well to remember the truth so simply stated in the African proverb: "A river is made great by its little streams."

## Appendix A
## Interview Guide for Teachers

School: …………………

Cycle: ……..

Gender: ………..

Teaching experience:………

Education Level:……………………

Previous training in the Teaching of Earth: ……………………………….

Research Question 1: What are the three teachers' perceptions of incorporating the tenets of the Earth into the students' education?

1. What do you understand by Earth?

2. What do you understand by Earth education?

Research Question 2: What are teachers' teaching practices to incorporate Earth education into their English language curriculum?

1. How do you include Earth education content in your daily teaching?

2. What methods do you use in teaching the tenets of Earth in your subject?

## Appendix B
## Lesson Observation Guide

A. Teachers' personal information

Subject:……………….

Cycle:……………..

No. of Students:……………………………

Gender: ……

Age: …………

Teacher's experience: …………….

Educ. Level ……………

In this paper, the three teachers consider Earth education as education which is focused on helping learners develop knowledge about Earth, and in most cases, they referred to the biophysical component Earth only. The three teachers' perceptions on the incorporation of Earth education into the English language curriculum revealed that they think that the teaching of Earth education is important, emphasizing that the knowledge would help the students cope with their daily life (Colchado, 2003; Davies, 2004). This positive attitude indicates that the three teachers are ready to teach it if they get support. Generally, the three teachers insisted that Earth education should be taught in all cycles. It should be incorporated in the English language curriculum.

With respect to the methods used, the three teachers pointed out that they usually use student-centered methods during their teaching to enhance thinking, cooperation and Earth knowledge (Galang, 2001; Ernst & Monroe, 2014). The teachers emphasized the importance of all the methods suggested in the literature review of this paper.

The three teachers' collective concern is that Earth education opportunity in English language curriculum would be denied to students because they lack hands-on activities and field trips in their schools (Gayford, 2003; Gruenewald, 2015). From their knowledge of their educational institution, the teachers would declare that students are eligible of Earth education only after they are involved in an enjoyable, funny, responsible and edifying learning experience and when they use activities that take a positive approach and focus on what individuals can do to help (Hughes, 2002; Powers, 2004; Shumba, et al., 2008; Padilla, 2011). Despite their varying levels of comfort with this reality, all three teachers would continue to teach, assess and grade Earth education to put it on the English-only pathway to educational opportunity.

## 16- Implications

The findings of this study reveal how two schools and three teachers tried to incorporate Earth education into the English language curriculum. The findings are local and particular to these teachers and the two schools. However, implications drawn from this study may provide insight into other schools in other contexts and into ideas about Earth education in general.

This study points to a need not only to rethink traditional approaches for Earth education, but, perhaps to rethink educational opportunity itself. For fostering Earth education, all students must have access to opportunities that are not just real, but authentic and participatory. Moreover, teachers need to change their orientation and thinking mentality to accommodate new changes in the curriculum. They need to change the way they think about themselves and about Earth. They need to start doing the things that can preserve the Earth as well as promote peaceful co-existence.

Most of the English language teachers do not possess the knowledge to teach Earth education. How can they disseminate and implement knowledge that they do not have? This situation suggests that there is a need for teacher education to design appropriate training programs, both pre-service and in-service, that can help teachers in the teaching of Earth education.

## Conclusion

Some people say that the world is growing smaller and in a sense that is true. Yet, in another sense,

## 13- Reflection on the Lesson

After the observation, the teacher and the researcher reflected on it. The researcher asked her about her lesson and whether she was successful in incorporating Earth education. Rebecca answered by saying that:

"I think I was successful because the topic itself was related to Earth education as water is a part of Earth. Moreover, it has evident personal relevance for lives of the learners."

When the researcher asked her about taking students outdoors, she responded telling the researcher that she may face the problem of their being young and many and she cannot manage them all by herself. She told her that she always tried to link the topic to the students' daily life.

The above description is presented as an example of how teaching and learning usually take place while incorporating Earth education. Although what is usually integrated about Earth is not clearly stated in the English language curriculum, teachers still try to relate what they are teaching to what surrounds them especially Earth and its components and their daily lives.

## 14- Teachers' Perceptions of the Methods They Use in Teaching Earth Education

The three teachers expressed the same opinion that Earth education teaching methods should make the learners participate through learning by doing. This is directly related to student-centered approach. This is clear in the following:

"The methods which are suitable for the teaching of Earth education are those which give the individual student the opportunity to do things for himself or herself. It is by doing that the student develops different skills. For example, we insist that they plant trees so that they can get fruit, firewood, and timber for building. If we just tell them without making them do it they will not be able to grow even a single tree when they go back to the community after finishing school." (Rebecca)

They emphasized the participation of the learners by doing when teaching about Earth to help them develop skills which they can use in their daily lives. Consequently, this would enhance the thinking skills of the students.

## 15- Discussion of the Results

The main purpose of the study was to investigate three English language teachers' perceptions of the incorporation of Earth education into the English language curriculum. The discussion is done in the light of the two research questions and is linked to the literature review. The study was qualitative in nature. The data was collected through interviews and observations.

The findings of the study partly reflect the definition which is education about, in and for the Earth. It is partly because the teachers' perceptions of Earth education were limited to education about the Earth, which is mainly concerned with getting factual knowledge about the Earth. Very little emphasis was given to education for the Earth which is concerned with the development of skills and attitudes towards Earth. None of the teachers described Earth education as education on Earth, which refers to Earth as a learning platform where learners can engage in observations and investigative activities. This could be because most of the teaching and the learning is conducted in the classroom through the propagation of knowledge (Carlson, 2005).

The awareness of the three teachers of the importance of the Earth education is lucid. To find out how it is implemented, the second research question investigates the teachers' teaching practices in their incorporating Earth education.

## 11- Teachers' Teaching Practices in Teaching Earth Education

The second research question is concerned with the teachers' teaching practices in incorporating Earth education. This research question spotlights the teachers' ways in which they integrate Earth education in teaching, and the teaching methods used. The interviews were followed by a few lesson observations to see how teaching was actually being carried out in the classroom.

The three teachers were encouraged to discuss how they teach Earth education. They admitted that there is no uniform way in which they can include Earth education because the approaches differ. The three said that they used it as a teaching and learning resource. They all added that they teach Earth education when they teach structure, vocabulary, comprehension, poetry and composition skills. In addition, language teaching has no defined content. Earth issues could provide a rich source of content. This is clearly stated in the following:

"When teaching, for example, reading aloud or for comprehension, I refer to a passage about Earth. When I come across vocabulary which is related to Earth like trees, bushes, etc., I use it to teach. Using the passage and the vocabulary, you can discuss with the pupils the uses of trees, importance of taking care of trees and bushes on Earth, and what will happen if we cut down the trees or clear the bushes." (Daisy)

"I include it in composition writing, like "Write a composition on the benefits of forests" or I ask the pupils to compose poems with Earth messages." (Pauleen)

"I make the students learn vocabulary from the things on their Earth, make sentences which have messages and read passages about Earth for reading comprehension. For example, in teaching the use of "because" and "since" they would make sentences like, "the maize crop was poor because there was no rain" or "He got sick because he drank dirty water." (Rebecca)

The teachers' statements show how Earth education texts and information can be used in developing language, while at the same time helping the learner develop Earth knowledge.

## 12- A Lesson Observation:

A lesson observation took place in cycle two. Rebecca was teaching a reading comprehension passage with the title, Water Pollution.

By using the questioning technique, the teacher started by asking the students to mention the different uses of water in their homes and school. They answered that they used water for drinking, washing, cooking, for irrigation and for keeping fish. The second question was about the places where there is water. The students talked about places like rivers, lakes, ponds, oceans, springs and rain.

This was followed by group work asking students to discuss the different activities which can make the water dirty. Then each group had its own presentation about the ways of making water polluted like dumping waste in the river. Finally, she gave them an assignment to find out the dangers of making water polluted.

participants were not taken out of their context.

In order to analyze the data, the researcher read it from all sources (transcripts, observations, field notes, and documents) to get "a sense of the whole" (Hatch, 2012, p.181).

In addition, she recorded her impressions and developed preliminary interpretations. She was aided in her organization and display of data by NUD*IST (Stokes, Davis, & Koch, 2005; Galam & Hannibal, 2015), a qualitative software program. Through the process of coding, she identified what she considered to be essential features and the ways in which the features interacted. For example, as analysis progressed the three teachers' notions of the best practice to make students aware of the importance of the Earth through teaching its tenets according to some of the methods suggested in the literature review for each cycle in this paper became clearer. For a measure of trustworthiness, she asked each teacher participant to check a draft summary of her interpretations and to provide feedback.

## 10- Teachers' Perceptions of Incorporating Earth Education into the English Language Curriculum

The first question aimed at finding out how teachers perceive and understand the ways and concepts suggested for each cycle in the literature review. They were asked what the Earth means to each one of them. Rebecca described it as a physical setting and the other two as a socially constructed setting. Rebecca said, "Earth is the total of all the physical things that surround human beings." On the other hand, Pauleen said, "I can say that man or people are part of the Earth because he is one of the living things."

The majority of the respondents described Earth education as education about the environment. The answers were only related to the cognitive and awareness perspectives of Earth education. Rebecca was concerned with sustaining lives because she said that we need knowledge about the Earth to sustain our lives. Daisy talked about knowledge about the Earth in terms of security. She argued that some of the objects on Earth are dangerous.

Rebecca added that Earth education is education that makes an individual aware of the environment. This awareness here refers to an individual's ability to recognize, feel or be conscious of events, patterns and even objects in his/her surroundings. Pauleen argues that because the Earth is something which is always there, people may not be aware of it, so Earth education is a means of developing awareness of the environment among the people. The aforementioned can be illustrated in the following:

"Earth education is education that enables an individual to be aware of his/her environment. Although the Earth is always there, we might not be aware of it. We take it for granted!" (Rebecca)

"As I understand, Earth education is education that enables us as human beings to know our environment and develop an awareness of the different things which are in our environment. Developing awareness is important because it helps an individual know the state of the environment." (Pauleen)

"Earth issues motivate students. Learner's motivation increases if they are studying something rather than just studying language."(Daisy)

b. What are teachers' teaching practices to incorporate Earth education into their English language curriculum?

## 7- The Two Schools' Setting

The study was conducted in two public schools in Zahle. The main motive for choosing Zahle is based on the importance of the environment of that area and it is being the city of the researcher. The schools were chosen so that the first one, Al Berdawny Public School, is a primary school (cycle one and two), and the second one, Houch Al Oumara Secondary Public School is a secondary school. Although the schools were different, they are similar in some aspects like class size, availability of teaching and learning resources, and implementing the Lebanese curriculum.

## 8- Teacher Participants

Participants for the qualitative inquiry were recruited from of all teachers whose courses were scheduled to enroll many tenets of the Earth in their Lebanese English curriculum. Three teachers agreed to participate: Rebbeca, Daisy and Pauleen. Most importantly, they took into consideration the suggested activities in the literature review for each cycle they are teaching. Their selection was influenced by the aim of the study and also on the aspect of trying to get variations in experiences as far as possible. The class level the teacher taught was also taken into consideration. Rebecca is a cycle one and two teachers in Al Berdawny Public School. Daisy is teaching cycle three in Houch Al Oumara Secondary Public School. Pauleen is teaching cycle four in the same secondary school. The professional qualifications of the teachers were not considered as a criterion for selection because almost the three participants had the same qualifications.

## 9- Data Collection and Analysis

Data for this study was collected using the mixed approach methods (Creswell, 2008) and it included interviews and lesson observations (Appendix A and Appendix B). Through interviews the researcher was able to obtain the teachers' opinions, points of view, values, feelings, attitudes, perceptions and practices regarding the incorporation the Earth education into the English language curriculum. Through observation, she could see what teachers actually do to obtain a deep understanding of what they say and do about the issue being investigated. To understand how the experience of incorporating the tenets of the Earth into the English Language curriculum by each participant, she spent one academic year with the teachers. She was familiar with the two school's sites and personnel because she was a counselor.

Before the observation began, the participants and the researcher met for an initial interview. This interview lasted 30 to 40 minutes and was guided by a set of questions designed to get information about teachers' experiences, their attitudes and accommodations (Appendix A). All interviews were recorded for analysis. The first interview was followed by weekly classroom observations. The researcher observed the lessons and developed a written account of how the lesson was conducted and all that happened in the class. After each observation, she spoke with teacher participants asking questions related to the observation (Appendix B). The findings can be valid and reliable because the

should be a thrilling one, giving pupils a sense that the world is moving in the right direction to give people everywhere more to eat and higher standards of living.

Closely linked with this are the efforts to find new sources of food: by increasing the rice supply through better farming methods as devised by the Japanese, by supplying fertilizers to the farmers as is being done on a large scale in India, by salvaging the deserts as is being done in Pakistan, or by bringing submarginal lands into use. This can be tied in closely with developments in the United States, such as the planting of the tree belt in the Middle West, the current use of contour plowing, and the development of hybrid corn (Brown, 2005).The work of the Food and Agricultural Organization of the United Nations and the research projects of UNESCO in the use of arid lands will interest some pupils.

Because of the tremendous importance of atomic energy, a simplestudy of it can be made, with particular emphasis upon its peacetime uses.

The topic of the Earth as the home of man is a large one, but it should be fascinating for all grade levels. A comprehensive and cumulative curriculum, based upon the needs and interests of children and society, can develop the major concepts mentioned effectively, using the wide variety of resources and experiences now at hand for learning.

## 4- Purpose of the Study

The paper is written with the aim of encouraging teachers to expose their students to practical and meaningful activities by implementing a student-centered approach to incorporate Earth education into the English language curriculum.

## 5- Methodology

The author of this paper has painstakingly provided different methods of fostering the tenets of the Earth. Different approaches were suggested. Each section in the review of literature acts as a guide for classroom teachers. The methods were carefully selected, taking into cognizance its relevance and interest to students for the different cycles. In developing the three sections for the four cycles, the author has made sure the approaches selected were rich in local content and suitable for the background of students in the public and private schools in Lebanon.

Mainly, the data and findings reported here are drawn from a semester long study of three teacher's attitudes and perceptions of the inclusion the Earth education in their English language curriculum. This paper describes the results obtained from the qualitative data analysis. The author spent one year in three teachers' classrooms gathering detailed information on their experiences with the approaches they adopted to integrate the Earth education mainly through interviews and classroom observation (Appendix A and Appendix B).

## 6- The Research Questions

Two research questions guided the analysis of the data for this paper:

a. What are the three teachers' perceptions of incorporating the tenets of the Earth into the students' education?

was available around them. They have also discovered that their sandy soil is good for vegetable flowers, fruit trees, and grazing and they have built their economy around these products. Since there is wind most of tile time, they have used it until fairly recently for making power through wind mills. And since the surface of the country is flat and money not too plentiful, they have resorted to bicycles for transportation. Similarly, they have learned to drain the swamps and to build dikes to increase their land (Davies, 2004).

As pupils study different nations or find examples of these major concepts from various parts of the globe, they can learn about terracing in China or the Philippines and the turning of deserts into fertile land in Lebanon, India, and Pakistan. They can study canal building in Egypt and Panama, learn about the tunnels in Switzerland and Italy or find out about bridges in many parts of the world. Maps of many kinds can help children to learn about the continents, the major mountains, the various bodies of water, and the fertility of soil in different parts of the world. At this stage in their development young children can also begin to learn where the major resources of the Earth are located and how man has used them for many purposes (Bunle, 2006).Some children may find an elementary study of geology interesting at this point.

The Importance of firsthand, concrete experiences and of experiments cannot be emphasized too much. Books, audio-visual resources, and trips to farms, research centers, weather stations, and similar places can also be rich experiences (Bunle, 2006).Fortunately, there is considerable material for the middle-grade reader on the Earth as the home of man and other living things.

## 3- Cycle Four

By the time students reach the upper grades they should be able to understand better many of the concepts already mentioned and add a few more complicated ones.

The ways in which land and climate have affected human beings can be illustrated in a variety of parts of the world, with special reference to the river valleys of the Nile, Tigris-Euphrates, Indus, and Hwang-Ho, where it is believed that early civilizations began.Mountains as the great barriers to contacts between people can receive fuller attention, especially as pupils study the history of South America, China, India, and Italy (Feininger et al., 2007).

The effect of geography upon political life can also be introducedat this stage. The ways in which the geography of Switzerland has affected its policy of neutrality, the ways in which the location of the United States has influenced its political isolation until recent times, and the long effort of Russia to secure warm water ports are three striking examples of a concept which can be illustrated with many examples (Carlson, 2005).

At this stage, children can begin to learn how the struggle for raw materials around the world has led to imperialism and colonialism. Examples can be drawn easily from current events, whether it is Iran, Saudi Arabia, Indonesia, or Thailand which is in the news at the moment.

Students need to learn how dense the population of some parts of the world is and how that affects world affairs, from the three and a half million persons on the small island of Puerto Rico to the seven hundred million on the relatively poor island of Japan (Rozzi et al., 2006).

The story of how people today in many parts of the globe are building dams and irrigation projects

can learn that mostof the world is water and that men live only on a very small part of the land surface. Longitude andlatitude need not be stressed, but they can be introduced as ways of helping people to locate places on the Earth and as a part of the necessary knowledge.
Children in this grade can grasp the concepts of how the Earth affects man and how man has changed and used the Earth's surface.The stories of harbors, bridges, subways, tunnels, and airports can be told and read. Students can learn a little, too, about how man can utilize the soil.
Maps are important at this stage of development. The concept of a continentand such land and water forms as islands, peninsulas, bays, seas, lakes, and rivers can bestudied. Children find it fascinating to explore some of the major rivers of the world, such as the Nile, the Tigris-Euphrates, the Yellow, the Congo, the Indus, the Volga, the Amazon, the Danube, the Litani river, and some of the rivers in Lebanon, learning how these have been the highways of manfor centuries. The major mountains of the world can be studied in an elementary way and maps of various kinds made of them, helping children to discover how they have been barriers betweenpeoples, whether they are studying the Himalayas or the Andes, to take two outstanding examples. Stories of the scaling of the highest peaks often prove fascinating to young children of this age (Sauvé, 2017).Finally, they can make a simple study of conservation and its importance in preserving the resources we have and in replenishing our supplies where that is possible (Cloud, 2005).Considerable attention should be given to the ways in which man has used the Earth as well as how he has been affected by it.
The experiences by which these concepts are introduced can be many and varied. In order to understand the Earth as a part of the solar system, children should construct their own miniature planetariums. They may want to study the shadows in the school yard or playground. They may be able to visit a nearby observatory or planetarium and to purchase their own small telescopes. The folk tales of the stars can be used effectively at this point as part of the language arts program of a school (Scott, 2016).
The construction of a large globe, made with wire and paper or canvas, can become a major center of interest. An elementary school can start, with each successive class adding some major geographical features to their globe. Carried on as a class or school project, this can be a memorable learning experience (Scott, 2016).Where large reproductions of the world are available in the community, field trips should be made to them.
The movements of man to the most suitable parts of the Earthcan be studied as a part of a unit on the Earth or as an integral part of any science and social studies program. Children will soon discover that the temperate zones have become the major abode of man. Some of them will be interested in tile ways in which scientists are exploring the possibilities of making other parts of the globe habitable (Sterling, 2010).
Almost any part of the Earth can be used to illustrate how theEarth has affected man and how he has used and changed it. Norway, for example, is a mountainous country where people have learned to live on the fringes of the fjords and to take their livestock into the mountains in the summer. But these Norwegians have also learned how to make electric power from their mountain streams and to put out to sea, from the days of the Vikings to the present (Carvalho et al., 2009).
In The Netherlands the people have made their homes of brick, using the clay and sandy soil which

meaning. It would begin to mean the black rocks called coal which children obtain from the custodian or from home, the carrots and radishes they have dug from their own garden, or the tomatoes which they shared with at lunchtime (Bown, 2005).

The resources for carrying out such a program are ample. The great out-of-doors should be the science laboratory for children. In large cities, the parks and zoos, the botanical gardens, plus occasional small plots of ground or window boxes must suffice. The planetarium can be visited by older primary grade children (Cloud, 2005).

Young children should be introduced to the idea of the balance in nature by their own aquarium and terrarium as well as by stories about how the Earth replenishes itself and how air, water, fish, animals, and other parts of the Earth aid each other (Heimlich, 2007).

They should have a globe somewhere in the room and have some elementary instruction about maps, learning a few of the simple symbols which they will use all their lives. In this connection, teachers will want to have a suspended globe or cradle globe.

Some day an enterprising school can provide a physical map of the world in concrete on its playground so that primary school children can become acquainted with some of its major features through play on it, before they actually study it.

Young children should have pets at home or at school, cats or dogs or tropical fish. Where it is impossible to keep them at school over long periods, they can be brought in for a day. Where children cannot have pets at home permanently, they can have them for short periods of time. A promising practice is the lending library of pets from zoos, with two weeks as the best length of time for children to "borrow" them. In extreme cases, children can at least observe and handle pets at zoos or in the few children's museums which keep live animals (Edwards, 2000).

Gardens can give children more meaningful experiences about the sun, soil, and water than a host of audio-visual experiences. Where home and school gardens are out of the question, window boxes or small dishes of shallow water for sweet potatoes, lima beans, carrot tops, or avocado seeds can be used. Children can also observe cloud formations, examine water in its different forms, observe the sun and stars, and learn about the Earth in other ways (Eilam & Trop, 2011).Trips should be made to the zoo, the circus, the park in a city, and to a wide variety of places in smaller towns and the country (Eilam & Trop, 2011).

Of course, there should be paints and brushes and clay for children to reproduce what they have seen. Whether their reproductions are scientifically accurate does not matter; they should paint what they have seen and give teachers and parents clues as to what to help them look for another time (Gadotti, 2010).

Through these and other experiences, young children can learn about the world in which they live, how it affects them and other people, and how they can adjust to it and use it. Also, they can learn to regard it with awe and wonder, qualities too often neglected in our current curricula (Sterling, 2010).

## 2- Cycle Three

Many of the topics just mentioned can be pursued further and further in cycle three. The Earth can be explored as a part of the solar system, with a clearer idea of day and night and the seasons.Children

This article investigates different ways of incorporating Earth education into language curriculum in the four cycles.

## 1- Cycle One and Two

A group of young children has been down to the seashore for the day. They have waded in the ocean, splashed water over each other, scooped sand with tiny shovels into bright pails, collected all shapes and sizes of shells and curious debris from the sea, built little canals to let the water trickle into its channels, and made giant castles with their hands-all too soon to be destroyed.
Another group has taken part of a beautiful autumn day to walkthrough tile woods, to scuff through the fallen leaves, to pick up some of the brightest castaways from the trees, or to hide tiny bits of stone wood in their pockets or purses. Perhaps they have stopped by a stream to hunt the fossils which the water has loosened from little rock animals.
Still another group has taken a trip through a botanical garden or park and has enjoyed feeding the squirrels or looking at the flowers.
Or another group of children has visited the planetarium and marveled at the story of Earth and sky. In such ways, children need to discover the Earth - through water, sand, leaves, fossils, flowers and stars. These are happy experiences for them, highly emotional in nature, shared with their peers, their friends, and their families.
It will be years before they understand the solar system, but they can learn early in life that they live on a large ball called the Earth and that it spins in the air like a top. They can learn that night and day have something to do with the spinning of the Earth. They can see the Earth and feel it and turn it in a candle globe or a reproduction in the form of a balloon (McKeown, 2002).
They can learn from the fossils or the rocks they bring to school that this Earth is old and that the sand in their sandbox was once like the rocks. By rubbing stones together they can actually see how the sand was formed (McKeown, 2002).
By direct experiences, they can learn about the various bodies of water called oceans, rivers, lakes, or streams, depending upon where they live. They may even learn that the blue parts of the globe represent water and the green and brown parts usually refer to rich Earth and rocky lands.
By planting seeds in rich, black Earth and in sandy, rocky soil they can discover that there are different kinds of soil and that most plants grow best in rich Earth with plenty of sunshine and water. Even in crowded city schools, young students can learn somethingabout the sun, soil, and water from the seeds planted in milk cartonsand carefully tended over a period of weeks (Allen, 2005).
Young children need to experience the Earth by playing in sand, soil, and even mud. They need to feel it and enjoy it. Eventually, they need to know that it is valuable as well as enjoyable and that people plant trees to save it from going down the streams and rivers to the sea (Allen, 2005).
Young students can also learn something about the Earth as a giant storehouse. A trip to a coal mine or a silver, lead, or zinc mine is a possibility for some. Where such trips are impossible, films, films - strips, pictures and others can provide vicarious experiences (Barbara, 2000).
Young children can bring to school samples of things which grow under the ground or above the Earth's surface. Gradually the concept of the Earth as a place full of valuable things can take on

تضمين مبادئ الأرض في منهاج اللغة الإنجليزية لطبقات مختلفة. ثلاثة من مدرسي اللغة الإنجليزية من أربع حلقات: الحلقة الأولى، الثانية، الثالثة والرابعة تمت مقابلتهم وملاحظتهم ومن مدرسات في مدرستين حكوميتين في زحلة: مدرسة البوشي الرسمية وثانوية حوش الأمراء الرسمية. تقترح هذه الدراسة على المعلمين تبني نهج تعزيز تعليم كل ما يتعلق بكوكب الأرض من خلال تطبيق نهج يركز على الطالب وإشراك الطالب في الأنشطة العملية مثل الرحلة الميدانية التي من شأنها منحهم فرصًا للتعليل على مبادئ الأرض. وكما تستكشف أفضل الطرق لتطوير طلاب المدارس قوى التفكير العلمي.

## Introduction:

The story of the Earth can be a thrilling one to children of all ages. There are somany chapters in it that are filled with mystery and adventure that almost every student should find it interesting.

There is the story of the formation of this planet and the history of the seemingly endless period in which the Earth was the home of animals whose fossil skeletons we stare in museums today. There is the mystery of the movement of the Earth as it revolves around the sun and moves on its own axis to give us day and night. There are the colorful and tragic stories of the men who dared to declare the Earth round, defying the so-called wise people of their day, and of those who ventured into the great unknown and discovered uncharted continents, oceans, mountains, and even groups of people with civilizations at least as advanced as theirs (Fullard, 2005).

And still the quest goes on for more data about the world, with expeditions to the Arctic and Antarctic, with explorations through giant telescopes, with diving into the depths of the oceansto learn about there, and with scientific experimentation and speculation about flights to Mars or the Moon or other planets (Gough, 2005).

Most important is the history of the Earth as the home of the man.This is a continuous account of man on the move, exploring new parts of the Earth and colonizing them. It is likewise the story of how man has tamed the elements, domesticated animals, learned to plant on the surface of the globe, and to mine within it (Savelova et al., 2010).

The Earth has fed man and biled him. He has conquered it to some extent, learning how to ride across its waters, to tunnel through its mountains, to dig canals, to terrace the Earth, and to bridge its streams and rivers.

Yet, man has wasted the Earth, too. Millions of acres of desert and denuded hillsides are the monuments to his pillage and destruction. Today he is paying a huge price for the folly of his ancestors and his own waste. Meanwhile, he is trying to bring back to life vast waste lands, seeking new sources of food from the air, from the sea, and from the laboratory, and trying to double or triple the present production of food by new and better ways of growing crops (Gough, 2005).

This Earth is man's workshop and his laboratory. And it is his playground, too. He rushes to the mountains or the seashore to escape the heat and the humidity. He dons skis to glide over its surfaces. He swims in its waters and plays on its land. There is pleasure on this giant ball as well as work.

In telescopic form, this is the world which we are permitted to help children to discover. Parents and teachers are their guides, but the excitement of discovery must be theirs (Shamba et al., 2008). There is work involved in equipping these young explorers, but there is pleasure, too, for, those who gladly teach.



# Incorporating the Precious Home Earth Education into the English Language Curriculum

**Dr. Janet Ayoub Al Maalouf**

**Assistant professor, Linguistics and Education – English Department**

**Ayoubjanet4@gmail.com**

**Abstract:**

**The schools that make the greatest contribution to life in the next generation will be those schools that are related to the world community, our Earth. Yet, they are firmly anchored in their communities. This article is an exploratory and suggestive rather than comprehensive and definitive. The qualitative approach is adopted in the study. It tackles methods in which students must be educated in loyalty to the highest ideals of the world community, the planet Earth. It serves a special function in the area of education for international understanding. The paper examines a variety ofways in which the tenets of Earth can be included into the English language curriculum of different cycles. Three English language teachers of four cycles: cycle one,two, three and four were interviewed and observed. They are teachers of two public schools in Zahle: Al BenbawnyPublic School and Hauch Al umaraSecondary Public School. The paper tries to suggest that teachers should adopt an approach in promoting Earth education by implementing student-centered approach and by engaging students in practical activities such as field trip that would give them opportunities to demonstrate the tenets of Earth. It explores the best ways to develop world-minded school students.**

**Key words: Earth Education, cycles 1, 2, 3 and 4, International understanding, English language curriculum**

**ملخص**

المدارس التي تقدم أكبر مساهمة في الحياة في الجيل القادم ستكون تلك المدارس المرتبطة بالمجتمع العالمي، أرضنا. ومع ذلك، فهم يرتبطون بثبات في مجتمعاتهم. هذه المقالة استكشافية وموحية أكثر من كونها شاملة وحاسمة. تم اعتماد النوع النوعي في الدراسة. إنه يعالج الأساليب التي يجب أن يتعلم بها الطلاب الولاء للمثل العليا للمجتمع العالمي في كوكب الأرض. وهي تؤدي وظيفة خاصة في مجال التعليم من أجل التفاهم الدولي. تبحث الورقة في مجموعة متنوعة من الطرق التي يمكن بواسطتها

# باب اللغة الإنكليزية

# Flash Journal of Research

## Scientific journal semi-annual temporary

**the definition:**

**Is a semi-annual scientific journal published by the National Society for Culture and Development 1193 / AD.**

Headed by Dr. Haifa Suleiman Imam.

Publishing and Distribution: The Arab Renaissance House, Beirut, Lebanon

**Semi-Annual Journal**

**Copy no. 1 / January 2018**

# Flash Journal de Recherche




مجلة نصف سنوية علمية محكمة

**Journal scientifique semestriel temporaire**

**LA DÉFINITION:**

**C'EST UNE REVUE SCIENTIFIQUE SEMESTRIELLE PUBLIÉE PAR LA SOCIÉTÉ NATIONALE POUR LA CULTURE ET LE DÉVELOPPEMENT. 1193 / AD.**

**Dirigée par le Dr Haifa Suleiman Imam.**

**Édition et distribution: La Maison arabe de la Renaissance, Beyrouth, Liban**



**Dar Annahda Alarabiya**